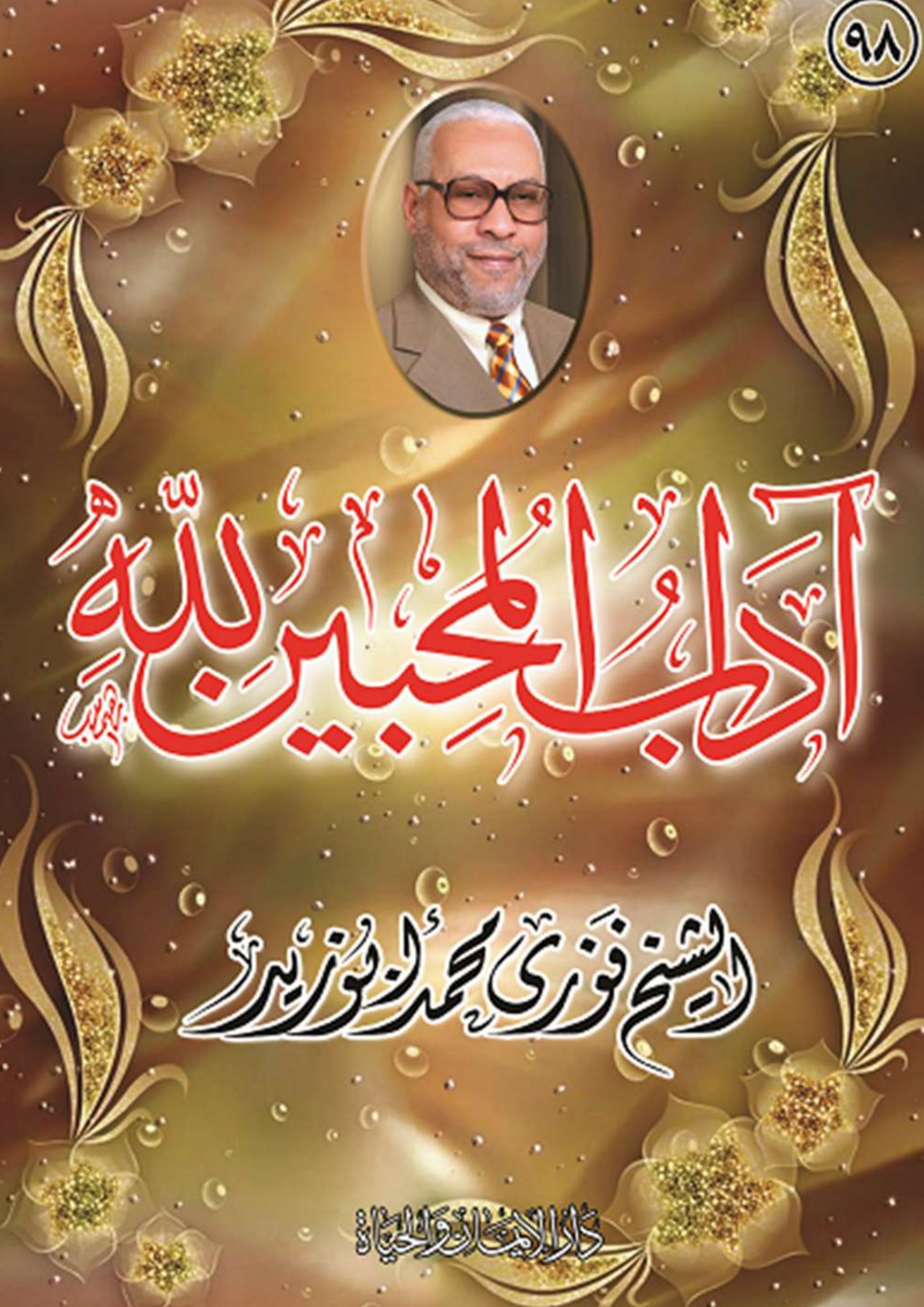

٩٨
آداب المحبين لله
الشيخ فوزي محمد أبوزيد
دار الإيمان والحياة



(٩٨)

آدابُ المُحِبِّين لله

الشيخ فوزى محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	آداب المحبين لله
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	١٥ رمضان ١٤٣٦ هـ، ٢٠ يونيو٢٠١٦ م
كتاب رقم	الثامن والتسعون من المطبوع
سلسلة	دراسات صوفيه معاصرة الكتاب السادس عشر
الداخلى	٢٢٤ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
إيداع محلى	٢٠١٦/١٤٣٨٤
ترقيم دولى	978-977-90-4059-2
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحب عباده المقربين من قبل القبل ورزقهم حبه وذكر ذلك في كتابه وقال في شأنهم:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة]

ونسأله عز شأنه أن نكون من أهل هذه الآية ..... وممن سبقت لهم الحسنى فيها بالعناية آمين .. آمين .. يارب العالمين ...

والصلاة والسلام على سر البداية وسبب العناية ومفتاح الجنة وصاحب الشفاعة العظمى لأهل الولاية سيدنا محمد وآله الذين أحبوه وأصحابه الذين أعانوه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وأتباعه الذين اشتاق لرؤيتهم وبادر بمودتهم واجعلنا منهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

وبعد، ...... فإن لله قوماً ملأ قلوبهم بمحبته وهيئ أبدانهم لخدمته وأعانهم بعونه وأمدهم بحوله وطوله وقوته، وهم يحنون إليه حنين الأرواح إلى أجسامها والطيور إلى أوكارها والحقائق الراقية إلى نعيمها في الجنان، وتطالبهم قلوبهم بمواصلة محبوبهم والسعي في العمل الموصل إلى حبه ورضاه، ويعوقهم عن الوصول إلى ذلك إبليس وجنوده، والنفس وحشودها، والهوى وأتباعه، ويساعد على ذلك مجالسة الغافلين ومخالطة البطالين.

فأردنا أن نستعين بالله ونعين إخواننا المحبين الصادقين الطالبين لرضاه جل في علاه على تبيان السبيل الموصل إلى فضل الله والذي ينال به العبد إكرام مولاه وتفتح له به خزائن عطاياه.

فبينا العوائق التي ينبغي أن يتخلى عنها العبد المراد لأنها آفات تقطعه عن طريق الله ﷻ وتحرمه من قربه سبحانه وتعالى ورضاه وتمنع عنه جوده ونفحاته وعطاياه.

وذكرناهم بما ينبغي أن يتجملوا به من الأحوال العلية والصفات المرضية التى بها يصيرون من الأتقياء الأنقياء الذين يسخر الله ﷻ لهم ما في الأرض وما في السماء:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية)

وكذلك يصيرون من الوجهاء يوم العرض واللقاء.

وأسأل الله ﷻ ان ينفع بهذه الآداب كل من تاب إلى الله وأناب واتبع هدي الحبيب المصطفى وعمل بما في السنة والكتاب وأن يجعله نبراساً للمجدين وميزاناً للمخلصين ونافعا لكل من قرأه أو عمل به من الصادقين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه ومن بهم اقتدى



الجميزة يوم ٨ من رجب ١٤٣٧هـ، الموافق ١٥ من أبريل ٢٠١٦م

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com



الوصل التمهيدى

تجديد أحوال أهل المدينة المنورة

نجوم الاقتداء والاهتداء

شروط الوصول لمقامات الصالحين

طهارة القلوب

تأسيس مجتمع المدينة المنورة

الإخلاص

مراعاة الأحكام الشرعية

المودة والمحبة

دواء المحبوبين

السالك المعيب

□

الوصل التمهيدي

تجديد أحوال أهل المدينة

إن من أهم غايات الصـــالحين الســـابقين والمعاصـــرين تجديد حال أهل المدينة المنورة لمن التف حولهم من المحبين ......

بحيث يكون كل من انتمى إليهم ......

أو وصل بفضل الله ﷻ إليهم في أي مكان وفي أي زمان ......

صورة مطابقة سلوكاً وعملاً وحالاً واعتقاداً لأهل مدينة النبي العدنان ﷺ.

وهذه منية كل الواصلين، وأمل كل العارفين، وبغية كل الأفراد الوارثين:

أن يجدد في مجتمعه الذي يعيش فيه أحوال ســـيد الأولين والآخرين ومن حوله من الأنصـــار والمهاجرين والصـــحابة الســـابقين رضـــوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ولذلك ينبغي لكل من توجه إليهم أو جلس بين أيديهم .....

أن تكون هذه بغيته ......

وأن يكون هذا أمله ......

أن يجدد في نفسه، وفي بيته، وفي الإخوان الذين يلتف بهم في المكان الذي يقيم فيه حال أهل المدينة المنورة.

فإذا أكرمنا الله ﷻ وأعاننا بعونه، وأمدنا بحوله وطوله وقوته وصـــنعنا على قدرنا ذلك – ولو كنا أفراداً قليلين – كنا لأهل الأرض ....

كالنجوم التي يستضيئون بها في ظلام الليل في السماء.

نجوم الاقتداء والاهتداء

ما النجوم التي يستضيء بها أهل الأرض في هديهم وفي سيرهم وفي سلوكهم وفي أخلاقهم؟ أهي النجوم التي في السماء؟ لا، ولكن النجوم التي في الأرض، والتي يقول فيها إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

وي عجيب صارت الأرض سما والسـما قد سُـخِّرت بالمجمل
أيها الأرض بمن نلت العُلا؟ بالحبيب محمد وبآله بالأمثل

نالت العلا بالحبيب محمد ﷺ، وبآله الطيبين، وبمن مشـــوا على مثليته وهديه وسيرته من التابعين والصادقين إلى يوم الدين، وفيهم يقول ﷺ:

{ إِنَّمَا أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ }[1]

وهل بعد انقضاء العصر الأول خفتت النجوم وانتثرت النجوم؟ حاشا لله ﷻ، لا يموت نجم إلا ويقوم مقامه نجم آخر، يُظهره الله يضـــيء لعباد الله، ويتبعه من اهتدى بهداه، ويســـيرون معه حتى يوصـــلهم إلى أرقى الأحوال التي كان عليها أصـــحاب رسول الله ﷺ، ونسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين. رضي الله عنه

[1] ى غ غ ه غ كق

ولذلك قُصَّــاد العارفين والصـــالحين غير بقية الخلق أجمعين، لا بد لهم من أوصـــاف ظاهرة وباطنة تختلف عما نراه من أهل الدنيا، وأهل الأهواء، وأهل الحظوظ، وأهل الشهوات أجمعين.

شروط الوصول لمقامات الصالحين

أصـــحاب الصـــالحين يقول لهم رب العالمين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خاطبهم بخطاب الإيمان، ثم قال لهم: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة)..

أي أن الإنسان إذا أراد النفع والانتفاع بما جعله الله ﷻ في قلوب الصادقين من معارفهم الإلهية، وأنوارهم الربانية، وأحوالهم النبوية، وأخلاقهم القرآنية، لا بد أن يصـــحح الإيمان أولاً، ثم يرتقي بعد ذلك إلى درجة تقوى الله ﷻ ثانياً، ثم بعد ذلك يصحب العارفين والصالحين والصادقين، هذا لمن أراد الانتفاع بما جمَّلهم الله ﷻ به من بضاعة إلهية.

أما من أراد الانتفاع بما حولهم من منافع دنيوية فهذا لا يراعي هذه الحيثية، ولا يطبق هذه الشروط القرآنية.

من أراد أن يبلغ مبلغ الرجال، يريد أن يجمل نفســـه بالأحوال التي صـــار بها الرجال رجال، وأن يجمل أعضـــاءه وجوارحه بالأعمال التي وصـــل بها الرجال إلى مقام الرجال.

ومن أراد أن ينتفع بما حول الرجال يأخذ ما حولهم وما في أيديهم، ولكنه محرم عليه أن يأخذ ذرة واحدة مما في قلوبهم، لكل قوم مطلبهم، ولكل قوم مشربهم.

والطالبون للبضاعة الإلهية والتنزلات الربانية، والإفاضات المحمدية لا بد أولاً أن يُطهروا طور التجليات الإلهية فيهم من الأدران الدنيوية، والشـــهوات النفســـانية، والأهواء الإبليسية، وجبل الطور فيَّ وفيك هو القلب، لأنه موضع تجلي الله.

فإن الله ﷻ عندما يتنزل لعبد من عبيده بعطاياه أين يُنزلها؟: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٤الفتح) ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨** ﴾ (الرعد).

فالعطايا الإلهية المخصوصة للمخصوصين للقلوب، أما عطايا الجيوب قد يأخذ المعيوب منها أكثر من الصـــالح المحبوب لأنها فتن تجري على الناس في الدنيا اختباراً من حضرة علام الغيوب، قال سيدنا سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصـــلاة وأتم الســـلام عندما أتاه الله ﷻ ما لم يؤت أحداً قبله من الملك والســـلطان الظاهر:

﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل).

أما عطاء القلوب لا يكون إلا لمحبوب لأنه دليل على الحب له من حضرة علام الغيوب ﷻ، ليس فيه اختبار ولا فتنة ولا امتحان، عطاء مخصوص لمخصوصين.

طهارة القلوب

فأول ما ينبغي أن يفعله مريد الالتحاق بالصالحين والصادقين أن يُطهر ماعون قلبه من الدنيا الدنية، والشهوات النفسية، والأهواء المردية، حتى لا يجعل فيه موضعاً لغير مولاه، فإن الله ﷻ لا يتنازل عن ذلك، ولا يقبل إلا بذلك، قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ } [٢]

على سبيل المثال: إذا كان الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٤النمل) هؤلاء الملوك العاديين، فما بالكم بملك الملوك ﷻ؟!! فملك الملوك ﷻ إذا دخل مدينة القلب جعل أعزة أهلها من النفس وجنودها، ومن الشيطان وجنوده، والهوى وما يتبعه أذلة، وأعز القلب والروح والسر والخفا والأخفى .. وكل ما يريد الله، ولا يريد غير وجه مولاه جل في علاه.

ى ه ء غ ق

فيُطهر قلبه لمولاه، حتى يصـــل في هذا التطهير أن لا يكون فيه محلاً، ولا موضـعاً، ولا ذرة لسـواه ﷻ، يقول سـيدنا أبو بكر الصـديق ﷺ وأرضـاه: ((ذرة من محبة الله ترفع أهل الجهالة إلى أعلى مقامات القربى)) ويوضح ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ فيقول: ((وإلا فمن كان هو بلال الحبشـــي؟ ومن كان هو صـــهيب الرومي؟ ومن كان هو سلمان الفارسي؟ حتى صاروا نجوماً يُهتدى بهم)) ما الذي رفعهم؟

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) فامتلأت به قلوبهم من محبة محبوبهم وهو الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (١٦٥البقرة).

والحب لله ﷻ لا يرضاه الله إلا إذا كان خالصاً، لا يرضي بالشريك أو الشركة معه، فإذا أشـــرك في حبه أو معه الأولاد أو المال أو الوظيفة أو الشـــهرة أو غير ذلك فلا يقبل الله ﷻ هذا الحب لأنه قال في كتابه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) ....

لا بد أن يكون العمل خالصاً مخلصاً لوجه الله الكريم ﷻ.

تأسيس مجتمع المدينة المنورة

فأســـس حضـــرة النبي ﷺ مجتمع المدينة المنورة الذي جعله الله ﷻ نموذجاً يُحتذى للمجتمعات الإلهية الدنيوية الطيبة إلى يوم القيامة على عدة أمور:

الإخلاص

الأمر الأول:

أن يكون كل أفراد هذا المجتمع حريصـــون كل الحرص قبل كل عمل، وأثناء كل عمل، وبعد كل عمل على الإخلاص في هذا العمل لوجه الله ﷻ.

فالإخلاص هو الأساس الذي يُبنى عليه صالح الأعمال لكي يقبله الواحد المتعال ﷻ .... والإخلاص أن يبتغي بهذا العمل وجه الله، كالصـــفوة المباركة الذين قال الله فيهم في سورة الكهف، وأمر النبي ﷺ أن يُصبِّر نفسه معهم:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)

لا يريدون إلا رضاه، وإلا النظر إلى وجهه يوم لقياه، حتى أنهم لا يرجون من الكونين ولا من الدنيا والآخرة ولا حتى من الجنة سواه.

وإذا طلبوا الجنة طلبوها لأنها الموضع الذي يحظون فيه بالنظر إلى وجه الله، ويقال لهم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة).

وهذا الإخلاص هو أساس قبول الأعمال في جميع الأحوال، ولذلك ورد أن الإمام الغزالي ﷺ وأرضاه وهو يعالج سكرات الموت التف حوله تلاميذه وطلبوا منه الوصية وهو في هذه اللحظة، فأخذ يردد الإخلاص الإخلاص الإخلاص حتى خرج نَفَسه الأخير.

الإخلاص ألا يبتغي بعمله شهرة ولا سمعة ولا ظهوراً بين الناس، ولا أن يعرفه الخلق، بل مراده أن يعرفه الحق ﷻ، ولا يلتفت إلى الخلق طرفة عين ولا أقل.

وعلامته أن الإنسان لا يزيد عمله في السر بينه وبين ربه عن عمله الذي يعمله أمام الخلق، ولا يزيد إتقانه للعمل في خلوته عن إتقانه للعمل في جلوته، فإذا أتقن الإنسان العمل في جلوة أمام الخلق، وأسرع فيه في الخلوة كان في إخلاصه نقص يحتاج إلى تقويم، لأنه راقب الخلق ولم يراقب الحق ﷻ.

أما من يعمل أمام الخلق ويترك العمل أمام الحق فهذا – والعياذ بالله - دخل في ثلة المنافقين، لأنه لا يعمل إلا للخلق، قال فيه ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ }[3]

لأنه لا يصلي إلا إذا رآه الناس، ويترك الصلاة عند غيبتهم، ولا يصوم إلا إذا عرف الناس، ويترك الصيام في خلوته عند غيبتهم، ومثل هذه الدقائق لا بد أن يتدبرها المريد جلياً، ويحاسب نفسه عليها حساباً عسيراً.

لن يحاسبك عليها أحد، ولكن العطاء ينزل من الواحد الأحد على حسب إخلاصك لله ﷻ، أنت وحدك الذي تُقدِّر عطاءك، وأنت وحدك الذي تستدعي من الله ﷻ فضله وكرمه وجوده بإخلاصك الذي تراعيه وتتوجه به إلى الله ﷻ في كل أعمالك وأحوالك.

إذاً لا بد أولاً من الإخلاص، وقد قالوا: ((من لم يتمرن على الإخلاص في بدايته لا يصل إلى كمال التوحيد لله ﷻ في نهايته)) فأنت محتاج دائماً التدريب على الإخلاص لأنه يوقظ القلب، ويُحرك النفس، ويصحح الضمير، حتى تصل إلى مقام: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد).

ءغ غ قم غة عهكق

إذا تدرب الإنســـان على الإخلاص فليعلم علم اليقين قول القوم: ((الخلاص بالإخلاص)) الخلاص من الحجب التي تمنعك عن فضـــل الله وكرم الله بالإخلاص، والخلاص من هموم الدنيا ومشـاغلها ومتاعبها بالإخلاص، والخلاص من أوحال يوم القيامة وأزارها بالإخلاص ... الخلاص من كل أمورك الظاهرة والباطنة بالإخلاص، فلا مناص من الإخلاص إن أردت أن تكون من الخواص؛ خواص عباد الله ﷻ.

مراعاة الأحكام الشرعية

الأمر الثاني:

درَّبهم حضــرة النبي ﷺ بعد ذلك على مراعاة الأحكام الشــرعية عند أي عمل يعملونه لله أو لخلق الله، ولذا لا يوجد في هذا الدين نصيب للجهلاء، ولا يعفيهم الجهل من الحساب يوم الدين، فإن طلب العلم فريضة وليس نافلة أو سُنة.

أول فريضة يطالب المرء بطلبها بعد معرفة الله ﷻ أن يعلم أحكام شرع الله في الأعمال التي يريد أن يتقرب بها لمولاه، أو يعملها مع خلق الله ﷻ في هذه الحياة.

ولذلك قال ســـاداتنا الصـــالحون في تعريف التصـــوف أنه علم وعمل، علم بالشـريعة وعمل بها على أحكام الحقيقة، وهي الإخلاص والصدق والخشوع والحب والود لله ﷻ، فإذا عمل بما علم ورَّثه الله ﷻ علم ما لم يكن يعلم

لذلك ينبغي على كل مريد سعيد أن يزن كل عمل يعمله، ولو كان عملاً لا يبالي به، أو لا يهتم به، أو لا يعبأ به، يزنه بميزان الشريعة المطهرة.

لأن الله ﷻ ربما ينظر إليك وأنت تعمل عملاً قد لا تبالي به، فينظر إليك ﷻ نظر غضب أو سخط فتسقط من عين الله ﷻ.

وقد يعمل الإنسـان معصـية ويرى نفسـه عبد سـوء ويندم ويرجع إلى الله ﷻ فيكون كما قال ابن عطاء الله السكندري ؓ: ((رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً)).

إذاً لا بد من ميزان الشـريعة؛ لا يسـقط من يدك طرفة عين، إياك أن تُقبل على أي عمـل لا تعلم حكم الشـــرع فيـه، فليس عنـدك حجـة تقـدمهـا لله ﷻ لأنــه قـال:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النحل)

ما عذرك بعد ذلك؟!.

أي عمل يعمله الإنسـان له توجيهه في شـريعة الرحمن، وله كيفيته العملية فيما ورد عن النبي العدنان ﷺ، فليس لك حجة، أصـــول العمل في كتاب الله، وكيفية تنفيذ هذا العمل تجدها في أحوال سيدنا رسول الله ﷺ.

فإذا قلت أعلم هذا العمل وأصـــوله، لكن لا أعلم تطبيقه، فحجتك مردودة: ..

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

ارجع إلى أحوال حضـرة النبي تجد هذا العمل واضـحاً جلياً وضـوحاً لا يحتاج إلى دليل ولا برهان، لأنه ﷺ مع صغر الفترة الزمنية التي قضاها في حياته الدنيا، إلا أن الله ﷻ بجلاله وكبرياءه أجرى عليه فيها كل ما سـيحدث في أمته إلى يوم القيامة، وآتوني بأي شـيء سـيحدث في الدنيا إلى يوم القيامة تجد له شـاهداً من حياة حضـرة النبي، شاهد ودليل من أفعال حضرة النبي ﷺ.

الأمر الثالث:

المقصـد الهام الذي كان يحرص عليه الحبيب المصـطفى عليه أفضـل الصـلاة وأتم السـلام في تحقيق مجتمع المـدينـة المنورة المودة والمحبـة والأُخُوة والعطف والشفقة والحنان بين جموع أهل هذا المجتمع، حتى وصفهم بأنهم كرجل واحد.

ميولهم واحدة، وعقائدهم واحدة، وشـمائلهم واحدة، وكل قصـودهم واحدة، ولا يرجون من الكونين سوى وجه الله ﷻ.

حقيقة الإنسـان لا تظهر عند عمله وطاعته وعبادته للرحمن، لكن يظهر خفي حقيقته وخفي طبعه عند معاملته لبني الإنسـان، وهذا الذي ركَّز عليه النبي ﷺ في أُخُوته لإخوانه المؤمنين.

ما نعانيه في مجتمعنا الآن، وما كانوا فيه من هناء وسـرور في عصـر الحبيب المصطفى يرجع لأسباب كثيرة أبرزها:

كل واحد منهم كان يسـعى لنفع الجميع، ويُحب لأخيه ما يحب لنفسـه، أما الآن فكل مريد يسعى لمنفعة نفسه، ولا يعبأ بمصلحة غيره، يسعى لنفسه ولو على حساب غيره، وهذه هي المهمة العظمى التي حققها النبي ﷺ لصـحبه الكرام، فقد ركَّز في أحاديث لا تعد على هذا الأمر، منها:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٤]

والذي أعلى من ذلك الذين يؤثرون على أنفسهم، فيؤثر أخاه على نفسه.

وكان ﷺ يحرص على توطيد الترابط فيما بينهم، بأن يعرفون بعضـهم، وتتوثق الروابط والألفة فيما بينهم، فيقول ﷺ:

{ إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ، فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ}[٥]

التعارف الذي افتقدناه الآن، نتعارف إذا كانت هناك مصـلحة، وإذا لم توجد المصلحة لا يبحث أحد عن التعارف!!، وهذا لم يكن حال أصحاب رسول الله ﷺ.

أغ قهه ع ق
ۂ غ هه غ

أكبر مصلحة للإنسان أن يكون له إخوة ينفعونه يوم لقاء الديان، لكن مصالح الدنيا تافهة وفانية، وفي الآخرة كما ذكر القرآن ستكون الأُخُوة هي العنوان: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (مريم) ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) هؤلاء وفد، وهؤلاء جماعات مع بعضهم، كما كان يقول سلفنا الصالح (الناجي يأخذ بيد أخيه).

الشيخ ابن الجوزي ﷺ وكان من كبار الواعظين المؤثرين في غيره، قال في مجلس وعظ: يا أحبة استكثروا من الإخوان فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإخْوَانِ فَإنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٦]

وورد عن سعيد بن جبير ﷺ قوله:

{ يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أمي؟ أين والدي؟ أين زوجي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك. فيقول: كنت أعمل لي ولهم ثم قرأ {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم} الآية }[٧]، وفى الأثر **{ إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له: ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فإن قيل له: لم يكن يعمل مثل عملك فيقول: إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أخوه إلى درجته }**[٨]

قال الشيخ ابن الجوزي وبكى للحاضرين: فإذا دعيتم إلى الجنة ولم تجدوني معكم فقولوا: يا رب أين فلان إنه كان يعظنا؟ فإذا قال: إنه لم يعمل مثل عملكم، فقولوا: إنا كنا نعمل لنا وله.

فلا بد من التعارف والتآلف والترابط بين المؤمنين، وأن يكون شعارنا في العمل فيما بيننا كله لله، إذا زرت أخاك في الله زره لله، لا تبغي رداً للزيارة ولا تطالبه بذلك حتى يكون لك أجرك الباقي عند الباقي ﷻ، وإذا قدمت له معروفاً لا تنتظر الأجر إلا من الذي بيده مقاليد السماوات والأرض.

ئ غ ء غ طء غ ء هـ غ
ؤ غ ظ غ ظ

هل هناك في الكون كله، بل لو اجتمع أهل الكون جميعاً على هيئة رجل واحد هل يستطيعوا أن يثيبوا إنساناً على معروف قدمه لإنسان؟ كلا والله.

إذاً لا تكن تاجراً خائباً تتاجر مع الخلق، بل تاجر مع الحق، اجعل عملك كله لله، فإذا عدت مريضاً فاجعل العيادة لله، وصلة الرحم اجعلها لله، ومساعدة الضعيف والفقير والمسكين اجعلها لله، ولا تنتظر الأجر إلا من الله.

وقد كان سلفنا الصالح، بل والسابقون من الأمم يدربون أممهم علي ذلك، حتى حكا لهم النبي ﷺ ذلك، عندما:

{ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ، فقَالَ لَهُ: ائْتِنَا، فَأَتَاهُ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَلْ حَاجَتَكَ، قَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فقَالَ: مَا هَذَا؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟

قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ، فَقَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاحْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ} [9].

وقد كان يوسف قد أوصى بني اسرائيل إذا خرجوا من مصر أن يحملوا جثمانه ويدفنونه بجوار آباءه إبراهيم وإسـحاق ويعقوب في الخليل، وعندما مات يوسـف وضـعوه في صـندوق وحفروا في قاع بحر يوسـف في الفيوم، وأجروا الماء عليه، فغيرت مكانه، فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة في السـن دلتهم على الموضـع، وطلبت من موسى أن يكون أجرها مرافقته في الجنة.

الذي عنده علو همة يطلب الأجر العظيم من عند العظيم ﷻ، فالمؤمن الذي يرجوا الدرجات العالية مع الصـالحين والمقربين يحرص أن يكون عمله كله لله، لا يبغي به غير الله ولا يطلب عليه أجراً إلا من الله جل في علاه، وهو يذكر في كتاب الله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠الكهف)

ؤ غ ن ﻫ غ قم ق

لم يقل الله (ومن عمل) لكن الذي أحســـن العمل أي جعل روحه الإخلاص، وظاهره اتباع الشـــرع االشـــريف، إذا كان ظاهرة اتباع الشـــرع الشـــريف وباطنه الإخلاص فهذا عمل أحسن صاحبه في أداءه، فيتقبله الله ﷻ منه بقبول حسن.

المودة والمحبة

أحرص ما يحرص عليه الصالحون تبعاً لحضرة النبي ﷺ دوام المحبة والمودة والأُخُوة بين الأحباب الســالكين، فنحن نحتاج في هذا الزمن الذي نحن فيه الآن – كما تفعل الدولة في الحملات القومية لشـــلل الأطفال – عمل حملة قومية للقضـــاء على البغض والحقد والحســـد والكره .. وهذه الأخلاق التي أفســـدت مجتمعنا، وقطَّعت الأرحام والصلات بين أبناء البلد الواحد، والدين الواحد، والرسول الواحد ﷺ.

ونحن نحاول على قدرنا أن نجمع الأحبة على هذا المنهاج حتى يكونوا نموذجاً لغيرهم، لذلك أول أمر يحرص عليه المريد هو قول الله ﷻ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾ (٤٧الحجر).

إياك ثم إياك أن يتسـرب في قلبك شـيء من شـجرة الغل نحو أخيك في الله ﷻ، والشجرة منها الحقد والحسد والأثرة والأنانية والشح والبغض واللمز والعيب وما سوى ذلك، فهذه شجرة الشيطان.

لكننا نزرع في القلب شجرة الرحمن، شجرة الحب والمودة والشفقة والعطف والحنان والرأفة وستر العورات والتغاضي عن العثرات ... فهذه هي الأخلاق التي دعا إليها سيد السادات ﷺ.

وهذا ما كان يحرص عليه رسول الله ﷺ ....

وأنا أتمنى أن تتحقق بين أحبابي جميعاً، فأتمنى أن لا يوجد أخ في قلبه أي شيء لأخيه، مع أنني أعلم علم اليقين أن من كان في قلبه شيء كريه لأخيه لا يذوق شيئاً من مواهب خالقه وباريه، قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } [10]

ومثله الحقد والحسد وغيره، فلا بد أن نمرن قلوبنا على الصفاء والنقاء حتى يكرمنا الله ﷻ ويتنزل لنا بعظيم النور والجمال والضياء والبهاء، ويكرمنا ويجمعنا يقظة أو مناماً على إمام الرسل والأنبياء ﷺ.

ةى ه ه قق

دواء المحبوبين

ولذلك دائماً الدواء الذي يصفه الطبيب النطاسي الحكيم للأحبة المخلصين؛ أن الإنسان دائماً ينظر إلى حقيقة أصله الذي كوَّنه منه ربه ﷻ، وهذا هو الدواء الذي سيمنعه ويُكسبه المناعة ضد الكبر والزهو والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس وما شابه ذلك، هذا الدواء ذكره الله في القرآن: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾ (الطارق) ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ (المرسلات) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ﴾ (المؤمنون).

أنا أَصْلي إما ماء مهين، أو سلالة من طين، وكل ما زاد عن ذلك فهو جمال رب العالمين ﷻ، وهذه الحقيقة لا تفارق العارفين والصادقين والصالحين طرفة عين ولا أقل، لأنها العاصم لهم من هذه الأمراض، أنه دائماً يرى حقيقته التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزه صرت الآن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدم الله جملني فصرت صورته العليا بلا نيل

وقال فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: الدواء المر الذي يحفظ الإنسان من مرض الشرك الخفي والرياء والزهو والعُجب أن يقف الإنسان دوماً على حقيقة أصله.

وكان الصالحون دائماً يُذكِّرون بذلك الأكابر ويردونهم إلى مقام الأصاغر، أحد أمراء البصرة كان في زينته ويركب فرسه في موكب له، فقابل رجلاً من الفقراء عند الله الصالحين، فلم يقف له الرجل ولم يهتم به، فأمر حرسه وجنده أن يأتوا به، وقال له: لماذا لم تقف لي؟! ألا تعرفني؟! قال له: أعرفك، أنت أولك بولة مزرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة!!، فعرف الرجل حقيقة أصله، ونُزع الكبرياء الذي كان في نفسه، والذي أهَّله له مَن حوله ممن غروه وغرروه.

فأنا وأنت لو كنت سأغرر غيري لا يليق بي أن أغرر بنفسي، وكان الإمام علي ﷺ إذا مدحوه وأثنوا عليه يرى أن هذا الثناء على ما فيه من جمالات الله لا على نفسه هو، فيقول: ((اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، اللهم إني أعلم بنفسي منهم)) لن يغره هذا الكلام لأنه عرف حقيقة نفسه.

عرفوا نفوسهم ذلاً ومسكنة وقربتهم إلى جمال الحق خشيتهم

إذا ترك المريد هذا الدواء سنرى السفاهات والتفاهات والسفالات التي تحدث في الشوارع، والتي لا ينبغي أن تكون بين الأحبة، فكيف لأحد من الأحباب أن يرى نفسه فوق إخوانه؟!! كيف يرى أنه أحسن منهم أو أكمل منهم، أو أجمل منهم في مقام أو قالٍ أو حال أو سواه؟!! كلمة (أنا) قالوا فيها: (من قال أنا فقد نأى) فأول من قال (أنا) هو إبليس.

ولذلك المؤمن لا يقولها على لسانه إلا في حالة اعترافه بذنبه وجهله وغفلته وحاجته لمولاه، أنا الظلوم، أنا الجهول، أنا المذنب، أنا الخطاء، لكن الفضل: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٣آل عمران).

ولذلك الصوفية والصالحون قالوا: لا يكون الرجل من الصادقين حتى يتحرر من ياء النسب، فلا يقول مني ولا لي ولا عليَّ، ولكن يقول: من الله، ومن فضل الله، ومن كرم الله، ومن تسهيل الله، وليس لي شيء في الدنيا إلا الذنوب والمعاصي: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٧٩النساء) والفضل من الله.

فتبرأوا من نسـبة ذلك فلا يباهون بذلك، فإذا رأى أنه خير من سـواه في واحدة من ذلك فاعلم علم اليقين أن الله إن لم يتداركه بحلمه فهو هالك، وسيضيع بذلك.

والقرآن يحكي لنا عن الأولين، وفي حياة الحبيب وما بعده عظة للآخرين، وفي حياة أصـحاب النبي الأكابر أسـوة للصـادقين، سـيدنا عمر أمر بجمع الناس وصـعد المنبر، وقال: كنت أُسـمى عميراً وأرعى لنفر من أهلي غنماً في مكة على قراريط – ملاليم من الأجر- واليوم أُدعى عمر وأُسـمى أمير المؤمنين، ثم نزل، فقالوا له: ألهذا جمعتنا يا أمير المؤمنين؟! قال: إن نفسي حدثتني أني صرت شيئاً فأحببت أن أُعرِّفها مكانتها!!.

هؤلاء رجال رباهم سيدنا رسول الله ﷺ، وكلهم كانوا على هذه الشاكلة، عرفوا نفوسهم، والإنسان إذا عرف نفسه فقد عرف ربه.

وعرف نفسـه أي عرف أن أصـله من طين أو ماء مهين، هل الطين يسـمع أو يبصر أو يتحرك؟! لا، إذاً أنا أسمع بسر السميع، وأبصر بسر البصير، وأنطق بسر المتكلم، وأحيا بسـر الحي، وأعلم بسـر العليم، وأريد بسـر المريد ﷻ .. إذاً أنا حياتي كلها بالله ومن الله جل في علاه، وليس لي شيء من جملة هذه الحياة.

فأنســب الخير كله والفضـــل كله لله، وما دام هذا لله فهل ينبغي أن أباهي به وأنسبه لنفســي، وأتباهى به على خلق الله؟! ولذلك كان أول حكمة يعلمها الصــالحين لأحبابهم: كل جمال رأيته فيك فاعلم أنه من خالقك وباريك، فإياك أن تأكل منه كما أكل آدم من الشجرة وانسبه لربك ﷻ.

كل هذا من عطاء الله وخير الله وفضـــل الله جل في علاه، فلو الإنســـان حافظ على هذا الأمر هل نســمع إنســاناً يقول لآخر: هل أنت لا تعرفني؟! فالذي يقول ذلك إنســان غارق في الجهالة لأذنيه، هل سـنسـمع من يبين لغيره أنه أفضـل منه في كذا وكذا؟! هل نجد مؤمناً ينظر إلى مؤمن بعين احتقار؟! هل نجد مؤمناً ينظر إلى ســالك معه بعين ازدراء؟! ولذلك قالوا: ((كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه)).

السالك المعيب

أكبر إثم يقع فيه الســالك أن يرى نفســه فقط الذي معه الخير والباقي شـرور، وهذا ينظر بعين المســاويء، فلا يرى إلا العيوب والمســاويء، ولكن يجب أن تسـلط عين العيوب والمسـاويء على نفسك، وعين المزايا والمحاسن على غيرك، فلا ترى من أخيك إلا محاسـن أفعاله، وأحامد صـفاته، وتغض البصـر عما سـوى ذلك، وهذه نظرة الأحبة بعين المحبة.

وعين الرضـــا عن كل عيب كليلة   ولكن عين الســخط تُبدي المســاويا

ولذلك إذا رأيت أخاً معنا ولسـانه لا يكف عن القول في معايب إخوانه فاعلم أنه يلبسـه شيطان، لأنه يثير الفتن بين الأحبة، فبدلاً من أن ينظروا لبعضـهم بعين الجمال يلفت نظرهم إلى شـــر الخصـــال الموجودة في الآخرين، وربما تكون زوراً وبهتاناً، وأقول لنفسي كما قال القائل:

مــن ذا الــذي مــا ســـــاء قــط ومــن لــه الــحســـــنــى فــقــط

كل بني آدم خطاء، ولا يوجد أحد خالي من الأخطاء، والواجب عليَّ أن أســـتر لا أن أفضح وأُشنع، وأسمع لقول الحبيب:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }[11]

ى ى   غ   ه   ن   ء   غ ق

فيجب عليَّ الســتر، حتى عندما اعترف ماعز بجريمته وهي الزنا، وأرادوا أن يقيموا عليه الحد فأخذ يجري، لكنهم جاءوا به وأقاموا عليه الحد، فقال لهم ﷺ:

{ هَلا تَرَكْتُمُوهُ }[١٢] ، { ولما جاءه رجل وذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ مَاعِزٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ، كَانَ خَيْرًا لَكَ "}[١٣]

وســـتراً لعورات الأحبــة كلهم وعفواً عن الزلات فــالعفو أرفق

ولذلك يجب أن نأخذ على أنفســنا العهد أن لا نذكر عورات الأحبة ولا غيرهم، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }[١٤]

---

١٣ مســند أحمد والحاكم عن هَزَّال بن زيد رضـــي الله عنه والحديث بتمامه للفائدة: عَنْ يَزِيدَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ فِي حِجْرِ أَبِي (أى أن أبى كان يربيه يتيماً)، فَأَصَـابَ جَارِيَةً مِنَ الْحَيِّ (أى زنى بها وكان متزوجاً قد أحصن)، فَقَالَ لَهُ أَبِى: ائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ بِمَا صَنَعْتَ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَخْرَجًا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُـــولَ اللهِ، إِنِّى زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَعَادَ، فَقَالَ: يَا رَسُـــولَ اللهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، ثُمَّ أَتَاهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَقَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: إِنَّكَ قَدْ قُلْتَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَبِمَنْ؟ قَالَ: بِفُلانَةَ، قَالَ: هَلْ ضَـــاجَعْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ بَاشَـــرْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ جَامَعْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ، قَالَ: فَأُخْرِجَ بِهِ إِلَى الْحَرَّةِ، فَلَمَّا رُجِمَ، فَوَجَدَ مَسَّ الْحِجَارَةِ جَزِعَ، فَخَرَجَ يَشْتَدُّ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، وَقَدْ أَعْجَزَ أَصْحَابَهُ، فَنَزَعَ لَهُ بِوَظِيفِ بَعِيرٍ فَرَمَاهُ بِهِ، فَقَتَلَهُ، قَالَ: ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: هَلاَّ تَرَكْتُمُوهُ، لَعَلَّهُ يَتُوبُ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ". قَالَ هِشَـــامٌ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَبِى حِينَ رَآهُ: وَاللهِ يَا هَزَّالُ، لَوْ كُنْتَ سَـــتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ، كَانَ خَيْرًا مِمَّا صَـــنَعْتَ بِهِ. وفى رواية خير لك وله، وفى رواية قال هزال لرســـول الله عندها :لم أكن أعلم يارســـول الله (أى لم أكن أعلم أنه بإقراره سيقام عليه الحد). المسند الجامع.

١٤ مسند البزار والشهاب عن أنس رضي الله عنه

نحن لم ننته من عيوبنا حتى ننظر في عيوب غيرنا، ولكن ننظر إلى محاسن الآخرين حتى نتأسى بها، ونقتدي بفعالها حتى نكون من الصالحين إن شاء الله رب العالمين، سألوا سيدنا أبو ذر ﷺ: لو وقع أخاك في الإثم ماذا كنت صانعاً؟ قال: أرأيتم لو وقع أخاكم في بئر فماذا كنتم فاعلون؟ قالوا: نأخذ بيده لننقذه، قال: كذلك أخاكم إذا وقع في الذنب.

لا نشنع عليه ونفضحه، ولكن نأخذ بيده، لأني لو شنعت عليه وفضحته فقد جعلت بيني وبينه بُعد المشرقين، وربما أدخل في حديث الحبيب ﷺ:

{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا }[١٥]

لأني لست متأكد من الكلام الذي أقوله إن كان صحيح أو خاطيء، ولكن أقول الكلام الحسن الذي يسر الخاطر، والكلام الذي يثلج الصدر، والكلام الذي يريح القلوب، ولذلك أنا أعجب عندما أسمع من إنسان منتسب للصالحين كلام يغير القلوب ويغير الطباع والنفوس، ويجعل الناس تتحرج منه عند سماعه!! لكن الذي مع الصالحين يجب أن يكون:

١٥ الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء رضي الله عنه

فتشـــبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن الـتشـــبـه بـالـرجـال فـلاح

إما تقول الكلام الذي يسر البال، وإما تغلق العقال على اللسان، فلا تجعله يرجم الآخرين بما يخرج منه من كلام أشد من وقع السنان.

وما بالكم بمن يسـعى للتفرقة بين الأحبة، فهذا شـيطان، يرى اثنين متحابين مع بعضهما، فلا ترتاح نفسه الإبليسية حتى يوقع بذرة العداوة بينهم.

نحن أحببنا بعضـــنا في الله لنتعاون مع بعض، ونعمل بقول الله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٢المائدة).

لو كان الإنسان يستطيع أن يستغني عن الإخوان لاستغنى الأنبياء عن أنصارهم وأحبابهم، فما بالك إذا كان كليم الله موســـى يدعوا ربه ويقول: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ﴾ (طه) يطلب من الله أن يؤازره ويشـد أزره بأخيه، ويُسـجل إسـمه هارون، لماذا؟

﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝ ﴾

(طه).

لم يطلب من الله أن يعينه بهارون على إبلاغ دعوة الله لأن الله ﷻ إذا أقامك أعانك، فعندما اختاره الله ﷻ لدعوته أعانه على إبلاغها، وإنما طلب من الله أن يؤازره بهارون ليعينه على ذكر الله.

فنحن نحتاج الأخ ليعيننا ونعينه على ذكر الله، وعلى عمل البر، وعلى عمل الخير، وعلى عمل المعروف، وعلى السعي للإصلاح بين المؤمنين، واسمع إلى الله ﷻ وهو يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾

(١٠الحجرات) وصفهم بأنهم أخوة.

إذا كنا سنجلس مع بعض، فلِم نجلس؟ ولِم اخترنا بعضنا، قال ﷺ فيمن نصاحب ونجالس عندما قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟: قال:

{ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمُ الآخِرَةَ عَمَلُهُ } [١٦]

أصاحب من إذا رأيته أتذكر الله، وأتذكر رسول الله، وأتذكر كتاب الله، وأتذكر الصالحين، وأتذكر أعمال الخير .. ومن اختار من الأصحاب؟ قال ﷺ:

ئى غ ن كق

{ صَاحِبٌ مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[١٧]

لكن الأخ الذي يكون كل حديثه عن فلان وعلان، وكلامه كله غيبة ونميمة وقيل وقال .. فهذا يقول فيه بعض الصالحين: شيطان الإنس أشد من ثمانين شيطاناً من شياطين الجن، قالوا: ولِمَ؟ قال: شيطان الجن يكفيك أن تستعيذ بالله منه وتقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فيكفيك الله شره، لكن شيطان الإنس يظل وراءك ممسك بأذنك حتى يحقق ما يريد!!.

فمَن الشيطان الذي يوغر صدر الإنسان بالحقد على هذا، والكره لهذا، والبغض لهذا، والقيل والقال، والغيبة والنميمة؟ ...... أخ السوء!!!

ولذلك ورد أن بني إسرائيل أصابهم قحطٌ فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا، فقال موسى: إلهي عبادك، فأوحى الله إليه: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيهم رجلا نماماً، قد أصر على النميمة، فقال موسى : يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا، فقال: يا موسى أنهاك عن النميمة وأكون نماما؟! قال: فتابوا بأجمعهم، فسُقوا[١٨].

ئىغ غن ء غ
ؤى ة غ

وهذا درس، فنحن ندعوا الله، ونريد أن يكون عملنا في مجالس الصالحين يصحح بقية ما تركناه في بقية العام أو الأسبوع أو الشهر أو غيره، ولو كان هناك نمام واحد حُجب عنا باب الدعاء، وغُلِّقت أمامنا أبواب السماء، ولذلك على كل من يدخل إلى مجالس الصالحين أن يُجمل نفسه أولاً قبل الدخول بتوبة صادقة لرب العالمين، واسمع إلى الله وهو يقول لأصحاب حضرة النبي ومن بعدهم ونحن منهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ وقبل مجيئهم ماذا يفعلون؟ ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ وعند وصولهم: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤النساء).

فالذي يذهب إلى مجالس الصالحين والصادقين، أو زيارة الإخوة في الله ﷻ، أو عمل البر والخير، فمنذ خروجه من بيته يبدأ فيستحضر ذنوبه وهفواته ويتوب منها إلى الله، ويستغفر الله جل في علاه، حتى إذا حضر المجلس يكون كل من في المجلس تائبين، فينظر الله إليهم ويحبهم، فإذا دعوه أجابهم، وإذا سألوه اعطاهم، وإذا طلبوا منه ﷻ منحهم لأنهم تابوا وأنابوا إلى الله ﷻ.

والمؤمن يريد أن يكون على هذا الحال على الدوام، فعليه أن يوطن نفســه على صـــحبة الصـــادقين، ويفر من الآخرين على مدى الأيام، ويعمل بقول الله في قرآنه: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) لا تجلس معهم طرفة عين ولا أقل.

لذلك يجب أن يكون فينا على قدرنا حديث حضرة النبي ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كمَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[١٩]

الجسد فيه أعضاء كثيرة، فكيف ذلك؟

- فينا من يُبلِّغ رسالة العلم..
- وفينا الذي يُريح النفوس بالإنشاد ...
- وفينا مَن هم أعلى في المقام الذين يخدمون ويوصلون الطعام والشراب ..

فكل واحد له دور، فلا يظن أحدنا أنه خير من الآخرين للدور الذي قام به دون غيره، فلا يدري أيهم خير عند الله ﷻ، لكن لا بد أن يكون له دور.

ؤىغ قهه غ ن قك

ولا يستطيع أن يستغني عن هذه الادوار ويقوم بها كلها، فلا غِنى للإنسان عن إخوانه، ويعتقد دائماً أن الله ﷻ ينفعه ببركة هؤلاء الجميع، ولذا كان ﷺ عندما يخرج إلى الغزوات يقول للمجاهدين والفرسان والمقاتلين:

{ إِنَّمَا تُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ }[٢٠] وفي رواية أخرى:

{ هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ }[٢١]

فلا يعتقد المحاربون أنهم نُصروا بأسيافهم، وإنما بدعاء الضعفاء الذين فيهم، وعرفهم ﷺ بمقام أهل الصفة عند الله فلا ينظرون إلى ظاهر فاقتهم ورقة حالهم فروى:

ةى غ غق ء ه لكق
ى غ قهه ء ء ه لكق

{ أَنّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَ صُهَيْبٍ وَ بِلاَلٍ ، فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا : وَاللّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللّهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَتَقُولُونَ هذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النّبِيّ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ : «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا :لاَ . يَغْفِرُ الله لَكَ. يَا أُخَيّ! } [٢٢]

واسمع لقول الفارق عمر رضي الله عنه إذ يقول:

{ اسْتَأْذَنْتُ النّبِيّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيّ مِنْ دُعَائِكَ، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنّ لِي بِهَا الدُّنْيَا، وفى رواية : . فَقَالَ عُمَرُ: مَا أُحَبُّ أَنّ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ، لِقَوْلِهِ : يَا أَخِى. } [٢٣]

□

ىى هـ رضي الله عنه
ءىغ غ رضي الله عنه

فيعتقد كل واحد أن الخير في إخوانه، ويعتقد أن إخوانه أفضل منه عند الله ﷻ، ولا ينبغي أن يرى لنفســه أفضــلية، ولا خيرية ولا أولية، وإنما يرى في نفســه أن الله أكرمه بهذه المزية؛ أن جمعه على فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، ويكفيه هذا شـــرفاً وفخراً وتيهاً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:





الوصل الأول

طريق الصالحين

تنبيه النفوس من غفوتها

أهل الاصطفاء

سر العناية

علامات الأهلية لمقامات القرب

اتهام العبد لنفسه

عدم رؤية عيوب الغير

محاسبة النفس

مجالسة الصالحين



القابل النوراني والفيض الرباني

مراحل الطريق

صفات نهى عنها الله عَزَّوَجَلَّ

الصفات الحميدة

جهاد النفس وآثار تركه

نتائج جهاد النفس

إزالة الحجب

أعداء الإنسان وجهادهم

بين منهم ومعهم

الأوراد

□

الوصل الأول

طريق الصالحين[1]

تنبيه النفوس من غفوتها

في الحقيقة نحاول بين الحين والآخر وقفة لتنبيه النفوس إلى بغيتها عند المليك القدوس ﷻ، خاصـــة مع كثرة مشـــاغل الحياة، وتزاحم الشـــواغل الكونية في النفس البشــرية، وهذا يؤدي إلى شـغل البصــيرة بالكلية ونسـيانها على الأقل أو عماها عن المهمة الأصـلية التي من أجلها خلقنا الله ﷻ في الدنيا، وهي المعرفة البصـيرية للذات العلية.

ومما يزيد في الجفاء بل أهم عنصـــر يســـاعد على اقتلاع هذا الداء، وأن يكون الإنســان دائماً وأبداً مع الأولياء، ومصــاحباً للأصــفياء، أن يذكر أن الله ﷻ عندما ذكر سبب وقوع آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام في الخطيئة قال في شأنها:

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١١٥طه).

إذاً حتى لا يقع الإنسان في خطيئة البعد عن الله، والتوَلِّي عن طريق الصالحين من عباد الله، والانشـــغال بالأكوان والدنيا الدنية والشـــهوات عن النعم القلبية التي جهزها له الله؛ يحتاج إلى علاج هذين الأمرين.

[1] [illegible]

فالنسـيان يحتاج إلى المُذكر: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية) والمذكر إما حبيب الله ومصطفاه ﷺ أو من ينوب عن حضـرته بإذن صـريح وليس بإشـارة من حضرته.

والعزيمة تحتاج إلى من يقويها، وتقوية العزيمة لا تكون إلا بدوام المجالسة مع الأخيار، وتجنب مجالسة الأشرار، وتذكير النفس دوماً بما ورد عن السلف الصالح من السنن والآثار.

كلا الأمرين غاب عنه كثير من الأحبة، فالصالحين لم يجعلوا الاجتماعات في مجالس دورية مرة أو مرتين أو أكثر في الأسبوع إلا من أجل هذه النعم.

دوام التذكر، ودوام الاستحضار، ودوام العيش مع الأخيار والأبرار والأطهار، وفي هذه المجالس يحدث تذكر للسلف الصالح وما ورد عنهم من أخبار ومن آثار، فتُعَلِّي همة المرء، وتُعلق قلبه بحضـرة النبي المختار ﷺ، والأمر كما قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية)

نحن نُذكِّر فقط، وكل إنسان مسئول عن نفسه! ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة).

أهل الاصطفاء

طريق الصـــالحين طريق انتقاء واجتباء واصـــطفاء، وهذا الانتقاء والاجتباء والاصـطفاء كان في الأزل القديم أولاً، خلق الله ﷻ أولاً أرواحاً وأَهَّلها لشـهود جمال حضــرته، وخلق الله ﷻ أرواحاً وجعل كل نصـيبها من فضـلـه ﷻ هي دخول جنته، وخلق الله ﷻ نفوســاً ولم يجعل فيها أرواحاً، فجعل كل واحد منهم مشــغول في الدنيا بشهوته وحظه، ولذا تجده دائماً واقعاً في حيرته.

وقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، أما من اصطفاهم لنفســه ﷻ فلم يُشـر إليهم في هذا المقام لأنهم أهل المقام العلي، المقربون الذين تحدث عنهم الله ﷻ في كتابه المكنون: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ (الواقعة) ليس الجنة فقط، وفي القراءة الأخرى: ﴿ فَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾.

إذا كان من المقربين فقد أُهِّل لشُرب الراح من يد الحبيب المصطفى بغير قداح، وأُهِّل لشم نسيم الأصفياء، ورحيق الأتقياء، ونسمات الحق ﷻ التي يتجلى بها على كُمَّل الأولياء في ســاعات الصــفاء، والنعيم لهم في هذا المقام هو التنعم بمشـــاهد حضـرته، أو بأسـماء عزته، أو بوجه حبيب حضـرته ﷺ، وهذا نعيمهم الذي يبحثون عنه، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء القوم علّمهم الله من قبل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ من هناك: ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ هنا في الحياة الدنيا ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (١٠٧الإسراء) أي سلّموا، فالسجود هنا هو التسليم، لأنهم سمعوه في الأزل القديم.

وجعلهم الله ﷻ من أهل الشهود لجمال حضرته، وأَهَّلهم لسماع خطاب عظمته ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ ليس كلهم، ولكن انتقى منهم، ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أهل الظهور في حضرة الديهور ﷻ: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢ الأعراف) ليس سمعنا ولكن شهدنا.

سر العناية

ولو تدبرت في محكم الآية تجد سر العناية، فالله ﷻ يقول: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ولم يقل على ربهم، ولذلك يكون المدار كله على النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ والرب هنا مقام التربية، أي المُربي، ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

الصـــالحين منذ نزولهم إلى الدنيا وهم في شــوق شــديد إلى هذا الجمال الأزلي الأبدي الذي شاهدوه في هذا اليوم، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ في ذلك:

من ألســـت لم ننس ما قد شـــهدنا   من جمــال الجميـل إذ خــاطبنــا

لم ننس الجمال ولم ننس الخطاب، والنفس ما دامت في مقام الصـــفاء، والقلب في مقام النقاء؛ تحن دوماً إلى هذه المشاهد العالية؛ مشاهد عالم الطهر والبهاء:

أبــداً تــحــن نــفــوســـــنــا وحـنـيـنـهـا دومـاً لأول مـنـزل

أول منزل كانت فيه، فتجد فيها حنين يدفعها إلى هذه المشـــاهد، وإلى هذه العناية، وهذه العناية التي ألمحنا إليها، فلم يختر أحدٌ منا هذا المشهد وهذا الجمال، لكن هذه عناية إلهية.

عناية إلهية، والنفس مجهزة لهذه المشـــاهد العلية، لكنها نزلت الدنيا الدنية، ووحلت في الكون وما فيه من العالم الكثيف، بعد أن كانت في عالم اللطف وفي حضـــرة اللطيف، ويزيد في كثافتها طلبات النفس التي لم تكن هناك، بل كانت هناك طلبات القلب والفؤاد والروح، وهؤلاء كل طلباتهم المعاينة والمشـــاهدة والمجالســـة لحضـــرة الله ﷻ والمؤانســـة والمســـامرة، فالقلب والفؤاد والروح لا يطلبون طعاماً، ولكن جاءت النفس ففتحت الشهوات:

والنفس شـــهوة مطعم أو مشـــرب أو منكح أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين

وهذه نفس من النفوس وهي النفس الشهوانية، وهناك النفس الإبليسية وهي التي تريد الجاه والسلطة والرياسة، وتريد الظهور في الدنيا ولو على حساب الآخرين، فهي نفوس، ولذلك عندما وضح الإمام أبو العزائم هذه الحقيقة قال:

جاهد نفوسـاً فيك بالشـرع الأمين واحذر قوى الشيطان في القلب كمين

هذه النفوس وضحناها في كتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) وفي كتابنا (النفس وصفها وتزكيتها).

علامات الأهلية لمقامات القرب

لكن يبقى أن أهل الإصطفاء في الأزل القديم جعل الله ﷻ فيهم ولهم علامات؛ إذا ظهرت فيهم تعلم أنهم مؤهلين للرجوع إلى هذه الحيطات، وهذه التي يحرص عليها السالك.

اتهام العبد لنفسه

العلامة الأولى:

إذا رأى السالك أنه دائماً يتهم نفسه ولا ينصرها، وإذا اتهمه أحد كان معه على نفســـه، ولم يكن مع نفســـه عليه بأن يدافع عنها، يعلم أنه على خير، وأنه مؤهل لهذا المقام العالي، إذا كان العبد دائماً يشغله أمور نفسه عن النظر إلى غيره، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ } [٢]

عدم رؤية عيوب الغير

العلامة الثانية:

لا يرى عيوب الناس ولكن مشغول بنفسه، والمشغول بنفسه لا ينشغل بغيره، بعض الأحباب يقول أنا رأيت فلان كان يرتدي كذا، فأقول له: هذا شـــيء أنا غير مشـغول به، وما شـأنك بهذا الأمر؟ الأفضـل لك أن تنظر إلى ما بداخله، قال الله ﷻ لحضــرة النبي ﷺ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٤المدثر) ليســت الثياب الخارجية فقط، ولكن الأساس تطهير ثياب العبودية التي ينظر إليها رب البرية ﷻ:

ىغ غ غ

{ **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ** } [3]

هل القلب يلبس حلة الصـــفاء، أم حلة الوفاء، أم حلة الزهد، أم حلة الورع، أم حلة المحبة؟ هذه هي ملابس التقوى: ﴿ **وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾ (٢٦الأعراف).

فالإنســان عندما يكون مهتم بنفســه، ويريد أن يُصــلح حاله مع ربه، فلن يكون عنده وقت لينظر في غيره، فإذا وجدت العين تتحســـس عيوب الآخرين فاعلم علم اليقين أنك مقطوع عن طريق الســالكين، حتى ولو جلسـت معهم سـنين!! لكنك لسـت معهم بفؤادك وقلبك، لأن المعية معية قلبية: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ** ﴾ (٢٩الفتح)

ليس من كانوا حوله فقط !!!!

لكن الذين معه في حال الوصـال، والذين تأهلوا معه للكمال من عصـره إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

فإذا وجد الإنســان نفســه مشــغول بها عن النظر إلى غيره يعلم أنه على خير، وأنه مكتوب في حضرات الغيوب من أهل المواهب العلية عند علام الغيوب ﷻ.

ء ه ء غ ﷺ

محاسبة النفس

العلامة الثالثة:

إذا وجد الإنسان أنه دائماً يراقب نفسه ويحاسبها ويلومها ويعاتبها فليعلم أنه بدأ في نهج الصـالحين، وفي طريق المقربين، لكن لو ترك نفسـه على هواها ويتلمس لها الأعذار، ولا يحاسب نفسه حتى على الأوزار، فهذا ماله ومال طريق الأخيار؟!.

لكن لا بد للإنسـان أن يراقب نفسـه: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة)

يضع بصيرة على نفسه، فينتقدها دائماً، ويزن أحواله بأحوال السيد الأعظم ﷺ، والثلة المباركة الذين كانوا حوله، والصالحين أهل الفتح من بعده إلى يومنا هذا.

وإياك أن تزن نفسـك بحال الهالكين، فبذلك تكون من البَطَّالين، لأن كثير من الناس يقول أنا أفضل من فلان، لأن فلان لا يُصلِّي وأنا أُصلِّي، وهذا ضياع، قال ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ }[4]

انظر دائماً إلى من هو أفضل منك في الدين، ولذلك يجب أن نصحب الصالحين حتى نطمح ونطمع، فالطمع المحمود في الوصول إلى هذه المقامات، والرُقي إلى هذه الدرجات، غير الطمع المذموم في الدنيا الفانية، والتي سـنتركها ونتخلى عنها ويقال لنا:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام)

مجالسة الصالحين

العلامة الرابعة:

إذا وجد في نفسه شغف دائم، وحافز على الاتصال بالصالحين، وعلى مجالسة الأخيار والمقربين، ويجد في نفسـه كذلك تقززاً وتأففاً إذا جالس الذين نهى عن مجالستهم رب العالمين،

أ غ غ ه غ ه ع ق

وقال في شـــأنهم مرة: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) ﻫ غ

ع ﻫ! ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (١١٣هود) نـار البعـد والعيـاذ بـالله، فبمجالستهم تأتيك نار البعد عن الله ﷻ، ونار الغفلة عن كتاب الله ﷻ.

فإذا رأى الإنسان نفسه يحب دوماً مجالسة الأخيار ويشتاق إليهم فهو على خير، ونحن كنا نجد ذلك في شـــبابنا، فكان الواحد منا إذا أحس بالشـــوق إلى أخيه في الله، يذهب ويزوره ولو في بلدة أخرى، عكس شبابنا في هذه الأيام، فكل واحد اكتفى بنفسه في بيته، وحتى من هم في مدينة واحدة لا يزورون بعضهم.

قد يقول البعض: إنهم يجتمعون في ليلة أو أكثر كل أســـبوع، لكننا كنا لا نجد ذلك كافياً، فكنا لا نفارق بعضــــاً إلا عند النوم، لأنك طالما كنت مع الأخيار فأنت محصـــن من الأشـــرار، ولو بعدت عن الأخيار فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصـــي، وبعد فترة تبعد عن طريق الله ﷻ، وعن طريق الصالحين الذين وفَّقهم الله، ولذلك قال لنا الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحتى تحافظ على التقوى، وتتمســـك بالحبل الأقوى، وتزيد في التقوى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) ابحث عنهم وجالســـهم على الدوام.

فلا تنام إلا على حديثهم، ولا تكســـل عن زيارتهم لأنك تريد محبة الله، ومحبة الله ﷻ كيف نأخذها؟ كيف يحبني الله ﷻ؟ هناك طريق صعب قال الله ﷻ فيه:

{ وَما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ } [٥]

هذا الطريق صـــعب، وقد لا أقدر عليه، لكن هناك طريق آخر لنيل محبة الله، قال الله ﷻ فيه:

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٦]

في الحديث الأول يقول الله ﷻ (حتى أحبه) يعني قد يحبه الله أو لا يحبه، لكن في الحديث الآخر يقول الله ﷻ (وجبت محبتي) أين هذا الطريق الآن؟!

ئ غ قهه ء ء غ ﷺ
ئ غ ه ة ﷺ

كثير من الناس تاه عنه هذا الطريق مع أنه الأسـهل والأضـمن، لأن النوافل قد تقبل أو تعلل، وإذا قُبلت قد تجد محبة الله أو لا تجدها، لكن مجالسـة الأخيار يكون نتيجتها وجوب محبة الله ﷻ.

فمجالسـة الأخيار والصـالحين والأبرار هي الأسـاس الذي يحفظ سـلامة القلب والفؤاد، ويحفظ النفس من آفاتها حتى يبلغ العبد المراد، وهذا أساس لا بد أن يكون في قلب العبد المراد.

فكنا نحرص على هذه العلامات حتى كانوا يقولون لنا: من علامات الصـالحين أنه يجد في نفسه كذا وكذا حتى قبل أن يقرأه في كتاب، فكنا نقرأ هذه الأشياء ونطبقها على أنفسنا لنرى هل هي فينا أم لا؟.

القابل النوراني والفيض الرباني

إذا وُجدت هذه العلامات في أحد فهو مؤهل لمقام الصـفاء والاصـطفاء، وإذا وُجدت الأهلية فيكون عنده قابل نوراني، قابل للأسـرار، قابل للأنوار، وقابل لما يُفاض على ألسنة الأخيار والأطهار.

إذا وُجد القابل النوراني، ومعه الفيض الرباني من عبد قال فيه الله: ﴿ ءَاتَيۡنَـٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ (٦٥الكهف)

تحقق المراد، لكن كيف؟ لا بد من الجهاد، والناس في هذا الزمن يريدون الحصول على كل الأشياء العلوية والدنيوية بغير جهاد!! والله ﷻ ربط كل أحوال المتقين بالجهاد ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ (الشمس)، لا بد من الجهاد ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) كل هذه من أنواع الجهاد لا بد للمرء من سلوكها والأخذ بها.

مراحل الطريق

التوبة:

فطريق الله ﷻ - باختصار - يحتاج إلى توبة نصوح في البداية، واستقامة، ثم تزكية للنفس حتى يعمل ويفعل بعد ذلك أعمال المقربين الذين يستخلصهم لذاته رب العالمين ﷻ.

ولا تأتي التوبة إلا من مراقبة النفس، فكل هفوة من هفواتها يحاسبها عليها، فيرتقي أولاً من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة، فيكون هناك حساب للنفس، ولذلك ينتظر كثير من الأحبة الحساب من الآخرين، وهذا ليس طريقنا، فطريق الله أن تحاسب نفسك أولاً، يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا } [٧]

قد يساعدوك، لكن لا بد أن تحاسب نفسك، فإن لم يكن عندك استعداد لمحاسبة نفسك وحاسبك أحد فإنك ستدافع عن نفسك، وتكون بذلك قد خدعت نفسك وضعت من هذا الطريق، ولذلك لا بد أن يكون عندك أولاً الباعث والدافع الحثيث على جهاد النفس ومتابعة النفس ومراقبتها، ويكون معك التوبة.

ولذلك فإن التوبة تصحب الإنسان السالك حتى خروج النَفَس الأخير، لأنه يحاسب نفسه أولاً على الذنوب، ثم يحاسب نفسه على العيوب، ثم يحاسب نفسه بعد ذلك بوزنه أعماله بأعمال المقربين، فيجد عمله لا ينفع، فيُحاسب نفسه، ثم يزن أعماله بحال سيد الأولين والآخرين فيُجدد التوبة إلى رب العالمين ﷻ، لأن التوبة مع الإنسان لا تنتهي حتى ولو بلغ إلى أعلى مقامات الرضوان، ويحاسب نفسه حتى على الهفوات:

ئ غ ه

هفوة العارفين أكبر ذنب فابذل النفس تُمنح رضواني

ىلح الاستقامة:

بعد التوبة لا بد للإنسان أن يجدد العزم على الاستقامة، بأن يمتنع عن المعاصي والغفلة بالكلية ظاهراً وباطناً: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (١٦الجن) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ (٣٠فصلت) بعد الاستقامة يبدأ في جهاد النفس ويزكيها بالتزكية التي تؤهلها لمقام الولاية العظمى والإكرامات الكبرى من الله ﷻ.

فيدخل على مملكة النفس ويتعرف عليها، ويتعرف على الجنود، والأوصاف التي ذمَّها الله ﷻ في النفس ليجتنبها، والأوصاف التي حبَّبَ الله ﷻ العبد في الاتصاف بها ليحاول أن يكتسبها.

ولو وحل الإنسان في هذا المقام فإنه يحدث له نكبات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها نسأل الله ﷻ أن يجنبنا إياها أجمعين.

صفات نهى عنها الله عز وجل

ما الصفات التي لا يريد الله للمرء أن يكون عليها؟

موجودة في القرآن، وموجودة في سُنَّة النبي العدنان ﷺ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٧٢الاحزاب) الإنسان الذي تخلص من الظلم والجهل، لأن الإنسان كان قبل حمل الأمانة **﴿ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾**.

فلا بد للإنســان أن يتخلص من الظلم ومن الجهل، يتخلص من الظلم بأن يُدرب نفســه على العدل في كل أحواله حتى مع نفســه، فقد كان ﷺ يعدل في كل أحواله حتى في مضع الطعام، مرة على الناحية اليمنى ومرة على الناحية اليسرى.

ويتخلص من الجهل، لأن الشـيطان لا يدخل للإنســان إلا من جهله، فكل شــيء علمته فإن الشـيطان يبتعد عنه لأنه لا يســتطيع أن يدس أنفه فيه، لأنك تعلم حقيقة هذا الأمر، لذلك لا بد من العلم.

وأيضـــاً كان الإنســـــان قبل حمل الأمانة: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ (٥٤الكهف) فلا بد من التخلص من الجدال، حتى ولو بالحق، قال ﷺ:

{ **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا** } [8]

لا شأن لك بالجدال، لماذا؟ قال ﷺ:

{ **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ** } [9]

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَجُولٗا ﴾ (١١الإســـراء) كان الإنســـــان قبل حمل الأمانة عنده عجلة وتســــرع، ولذلك لا بد أن يكون حليم! ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾ (١١٤التوبة) حليم في كل تصرفاته، وفي كل أحواله، وفي كل أفعاله.

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ قَتُورٗا ﴾ (١٠٠الإسراء) أي ممسك، فعلى الإنسان أن يجمع الصفات الذميمة التي نوَّه الله ﷻ عنها، وبيَّنها رسول الله ﷺ ويتخلص منها.

ؤ ء قهةهـ ء ع رضي الله عنه

ؤ غ ه هـ ء ع رضي الله عنه

فالأوصاف الذميمة للنفس:

الجهل، والغضب، والحقد، والحسد، والبخل، والتعاظم، والكبر، والعجب، والغرور، والرياء، وحب الجاه والرئاسة، وكثرة الكلام، والمزاح، والتزين للخلق، والتفاخر، والأمل، وتتبع العورات، والتهاجي، والتقاطع، والضحك، والحرص، وسوء الخلق.

الصفات الحميدة

أما الصفات الحميدة للنفس:

الحلم، العمل، وصفاء الباطن، والإكرام، والتذلل، والرفق، والتواضع، والصبر، والشكر، والزهد والتوكل، والمحبة، والشوق، والحياء، والرضا، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، والمحاسبة والتفكر، والشفقة، والرحمة على الخلق، والحب في الله، والتأني في الأمور، والبكاء، والحزن وحب الخمول، وحب العزلة، وسلامة الصدر، والنصح وقلة الكلام، والخشوع والخضوع، وإنكسار القلب، وحسن الخلق.

إذاً هناك صفات ذمَّها الله يجب أن تتخلص منها، وهناك صفات يحبها الله يجب أن تتجمل بها، وهذا يحتاج إلى جهاد مع العزيمة.

جهاد النفس وآثار تركه

فإذا تركنا هذا الجهاد فسيحدث ما نراه الآن في الدنيا كلها، يمرض الإنسان، ومعظم الأمراض الجسمانية الموجودة في مجتمعنا وفي كل المجتمعات سببها الأساسي النفس، عدم الإتزان النفسي، والإتزان النفسي لا يأتي إلا إذا تركنا الأوصاف الذميمة للنفس، وتجملنا بالأوصاف الحميدة.

عدم التخلق بهذه الأخلاق الكريمة يدلل على أن إيمان الإنسان ضعيف، لأنه ترك نفسه على هواها، والإيمان الضعيف – ويقول ذلك الأوربيون والأمريكان - هو السبب الأول لقلة المناعة في جسم الإنسان، متى تقوى المناعة في جسم الإنسان وتقيه حتى من الأمراض الظاهرة؟ إذا قَوِي الإيمان.

وحتى يُزود الله ﷻ عندنا طاقة الإيمان فرض علينا الفرائض وجعلها بانتظام حتى تعطيك شحنات إيمانية ربانية تجعل هناك توازن في ثنائية الإنسان، لأن الإنسان ثنائي، ظاهر وباطن.

إذا ترك الإنســان الطاعات التي فرضــها عليه الرحمن يقوى في داخله عوامل الإحباط والقنوط واليأس، وكل هذه مسببات للقضاء على المناعة الظاهرة والباطنة.

وبسـبب ضـعف المناعة الظاهرة يكون عرضـة للأمراض، وبسـبب ضـعف المناعة الباطنة لا يستطيع أن يواجه ما يتعرض له من صعاب أو أقدار، لأنه ضعيف.

كل هذا سببه الأساسـي أن الإنسـان لم يقاوم الأخلاق والأوصـاف الذميمة التي تتعلق بها النفس وتريدها، ونتيجة ذلك فســيكون الإنســان بعيد عن حضــرة الله ﷻ، والبعيد عن حضرة الله حكم عليه الله في كتاب الله أن يتخبط في الأرض حيران، وكما قيل: ((لا من كثير يشبع، ولا من قليل يقنع)).

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا ﴾ (٣٦الزخرف) شــيطان الوســوســة بداخلة، أي هواجس النفس، فيعيش كأنه في جحيم في البعد عن حضرة الله ﷻ، سيقع – والعياذ بالله ﷻ - ويتقمص ثياب المنافقين، وكيف يكون من المقربين ولم يتخلص من أوصاف المنافقين؟!! سيكذب، وسيخلف الوعد، ويفجر في الخصومة، كيف يريد هذا أن يكون من المقربين ولم يتخلص من أوصاف المنافقين؟!!.

كل هذه الأوصـــاف الذميمة لا بد للإنســـان حتى لا يقع في هذه الأعراض يديم مراقبة نفســـه حتى يعالجها ويحاول أن ينهض بها كما أمر الله ﷻ، ووجَه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

نتائج جهاد النفس

وحتى يستطيع الإنسان أن يتصف بالأخلاق الحميدة والأوصاف الطاهرة للنفس عليه :

أولاً أن يدرب نفسه على الإخلاص لله، فلا يعمل عملاً إلا ويحاسب نفسه بدقة أن هذا العمل لله، فإذا وجد فيه شـــائبة من رياء أو عجب أو نظر للخلق فيمتنع عن العمل، وهذا بداية السـلوك الصـحيح للصـادقين مع الله، أي عمل حتى لو كان أكل أو شرب أو لهو أو لعب.

لا بد للإنســان أن يُدرب نفســه في هذا الأمر، على إخلاص العمل لله ﷻ، ثم لا بد أن يلتزم بالطريق الروحي الذي ينتمي إليه، فلا يكون الطريق التزام شـكلي، ولكن التزام روحي.

العالم الغربي وخاصـــة في أمريكا الآن مقبلين على سـلوك طريق التصــوف، لماذا؟ لأن الصـوفية الذين فقهوا التصـوف وطبقوه على الحياة العصـرية على ضـوء هذا الشـــكل، فهناك الآن مراكز في نيويورك وواشـــنطن وكل أمريكا للعلاج من الأمراض، هذا العلاج على أسـاس التوافق الروحي، بالتخلص من الأوصـاف الذميمة للنفس، والتحلي بالأوصـــاف الحميدة للنفس، وهذا هو الطب الرباني الذي يُحصـــن الإنسان، ويجعله في صحة نورانية وروحانية على الدوام.

وهذا هو الباب الرئيسـي للدخول في الإسـلام في هذه البلاد الآن، ليس بالخُطب ولا بالكُتب، ولكن آلاف مؤلفة يذهبون إلى هذه المصـــحات الروحانية يريدون أن يحسوا بالتوافق النفسي والصحة الروحانية، فيجدونها في الأوراد والأذكار والسنن، والفروض التي جاءت بها الشـريعة الإلهية، وفسـرتها السُـنَّة النبوية، والتي التزم بها العارفون فوصـــلوا إلى هذه الكمالات، وكمثال على ذلك يقول الشـــيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ: ((أصل كل معصية وغفلة وبعد عن الله هو الرضا عن النفس)).

فلو جاهد الإنسـان نفسـه في هذا الأمر، وأصـبح يراقب نفسـه، ويحاسـب نفسـه، ويعاتب نفسه، فستنصلح كل أموره الظاهرة والباطنة، ويبدأ بعد ذلك جهاد النفس على مبدأ العارفين والصالحين.

إذاً جهاد النفس - وإن كان متعدد المراحل - نحن نقتصره على مرحلتين:

المرحلة الأولى: لحدوث التوازن بين النفس وبين الحقائق الراقية والعالية في الإنسان، فيكون الإنسان في صحة روحانية وجسمانية مشمولاً بعناية رب البرية ﷻ.

يدخل في قول الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (١٩٧النحل) والحياة الطيبة هي التي فيها راحة البال، وراحة النفس، لأن الإنسان ما دامت نفسه يراقبها ويلومها ويعاتبها فلن تسمح له بأن يؤنبها على شيء فتمتثل لأمر خالقها وباريها ﷻ.

الجهاد في هذه المرحلة – كما ذكرنا - ترك كل الأخلاق المذمومة التي نهى عنها الله جملة واحدة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ظلمات النفس ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٢٥٧البقرة) نور القلب والروح والصفاء والمشاهدة.

والتجمل بالأخلاق الطيبة التي ذكرها الله ﷻ في قرآنه، وتجدها عند كلمة (يحب): ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥البقرة) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦آل عمران) ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٤٦آل عمران) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩آل عمران) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤٢المائدة) تجمع هذه الآيات، وكذلك أحاديث النبي ﷺ في هذا الباب:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ } [١٠]

{ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا } [١١]

وهكذا، ويمتثل لأوامر الله في العبادات في التوقيتات التي حدَّدها الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء)، هذا الجهاد لتصفية النفس من اللبس، وحفظ الجسم لتقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان، فلا يتعرض للأمراض المستعصية، ولذلك في عصرنا كما تنبأ الحبيب ﷺ:

ةى غ غ ه ق
ىىغ غ قمه ﷺ

{ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا ، إِلا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ } [١٢]

لأن الذين قبلنا كانوا يسيرون في هذا الجهاد، والأمراض المستجدة في هذا العصر سببها الأساسي اهتزاز النفس ولبسها وعماها عن الطريق الذي خلقها الله ﷻ وأرشدها إليه.

إزالة الحجب

المرحلة الثانية:

بعد ذلك تتجمل بالجمالات والكمالات الإلهية الربانية التي كنت عليها قبل النزول إلى الدنيا، وهذا مقام آخر يحتاج إلى جهاد آخر، مشى عليه الحبيب ﷺ، ومشى عليه أتباع الحبيب ﷺ إلى يوم الدين.

فالإنسان قبل نزوله إلى الدنيا كان يتمتع بالجمال العالي، ثم بعد نزوله إلى الدنيا تنزل الحُجُب، هذه الحُجُب قال فيها ﷺ:

ىىغ غ قمه غ ﷺ

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ } [13]

ه قھ ء ه!

{ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ } [14]

الحُجب الكثيرة الموجودة على الإنسان سمَّاها القرآن الران: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ (المطففين) وما الذي ران على القلوب؟ حجاب حب الدنيا، وحجاب الطمع، وحجاب حب الجاه وحب الرياسة، وحجاب الأمل في الدنيا الفانية ... هذه كلها حُجب تحجب الإنسان عن فضل الرحمن الذي قدَّره لعباد الرحمن في القرآن.

والحُجب كثيرة، فهناك حُجُب للعقل، وهناك حُجُب للقلب، وهناك حُجب للسر، وهناك حُجُب للخفا، وهناك حُجُب للأخفى، وهناك حُجُب للروح، ونحن لا نتكلم في التفصيلات لكن مجرد إشارات وتنبيهات.

ءى غ غ رضي الله عنه

أى هـ رضي الله عنه

أعداء الإنسان وجهادهم

كيف أكشــف هذه الحُجُب؟ أعرف الأعداء الأســاســيين الذين أنا أحاربهم، وقد جمعهم الإمام الشافعي ﷺ في بيت من الحكمة وقال فيه:

إبليس والـدنيـا ونفســي والهوى كيف الخلاص وكلـهم أعـدائي

كم عدد الذين أعلنوا الحرب عليك؟ أربعة، إبليس، والدنيا، والنفس، والهوى.

العدو الأول: إبليس

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر) ما سلاح الشيطان الذي يدخل به إلى الإنسان؟ الشبع، قال ﷺ:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ } [١٥]

فسلاحي ضد الشيطان الجوع، وليس معنى ذلك أن لا نأكل، ولكن كما ورد في الحديث عندما رج رســول الله طبيب المقوقس: ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)) وكما قال الإمام علي ﷺ: ((إن الإنسـان إذا شبع جمحت نفسـه به إلى المعصـية)) فعندما تمتليء الأوردة والعروق بالدماء بعد الطعام فإن الإنســان قد يُفكر في المعصية، وفى الأثر الوارد عن عائشة ﷺ قالت:

ئى قِي غ ظط ه ذغ غ قهن بم غ ق ل بم

{ أديموا قرع باب الجنة بالجوع } [16]

مشـــكلة المشـــاكل في العصـــر الحديث أن الناس همَّها كله في شـــهوة الطعام والشـراب!! لكن أنا أريد ان أكون من الذين أنعم الله عليهم، فلذلك لا بد أن أسـير على هذا المنهاج: ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)).

وكيف نأكل؟ آكل على أن الجوع مرض، وآخذ الدواء الذي يقضـــي على هذا العَرَض، ما مقدار الجرعة؟ نسأل الطبيب، قال ﷺ:

{ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ } [17]

الإمام الجنيد رضي الله عنه كان يقول:

((لأن أُنقص من عشائي لقمة أحب إليَّ من قيام ليلة))

لو كنت آكل رغيف فأنقصته إلى ثلاثة أرباع رغيف فهذا أفضل من قيام ليلة، ولو أنقصته إلى نصف رغيف فهذا هو الجهاد.

وهذا لا يؤثر على الجسم، لأن الجسم يأخذ ما يكفيه من الغذاء، وما زاد يتحول للمتاعب والمشـاكل، فمعظم متاعب النفس في العصـر الحديث من الجهاز الهضـمي وما يتبعه، وكل ذلك بسبب كثرة الأكل، لكن الإنسان لو مشى على هذا الوضع الإلهي فلن يكون هناك تعب.

ئى ﭬ غ ظ

ئى غ ه ه غ ن غ غ ه رضي الله عنه

وسيرتاح من كثرة دخول دورات المياه!

وسيظل متوضئاً لفترات طويلة بين يديّ الذي لا يغفل ولا ينام!

وستكون أعماله أضعافاً مضاعفة في الأجر ...... لأنه يعبد الله ﷻ على وضوء وعلى طهارة.

كل الأعضاء في الجسم سترتاح، الكبد والكليتين والمعدة، ولن يحدث لها تعب، لأن هذه الأعضاء هي السبب الرئيسي في معظم الأمراض العصرية لمن لا يستطيع أن يُمسك زمام الفم.

لكن الذي يريد أن يغلب الشيطان ولا يكون له عليه سلطان فعليه بسلاح:

((جوعوا تصحوا))... فلا يأكل إلا للضرورة التي لا غِنى عنها لقوام الحياة، ولإقامة أودة الإنسان.

العدو الثاني: الدنيا

كيف تحاربني الدنيا؟ بالخلق، أريد أن أحادثهم، وأن أجلس معهم، وأن أظهر بينهم، ويكون لي وضع مميز بينهم:

والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار

والعلاج هنا البعد عن الخلق إلا للضرورات، وأُقلع على الأقل .... من قال وقيل، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا ، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ } [18]

فأول شيء يكرهه لنا الله القيل والقال، وإذاكان الله ﷻ يكرهها فلماذا أضع نفسي فيها؟! وهذه ليست خلوة بل عزلة بسيطة عن الخلق، فيكون الكلام على حسب الضرورات، ولكن أتكلم مع الذي لا يغفل ولا ينام، يقول الله تعالى:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي } [19]

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٩النجم) إياك من مجالسة الظالمين لأنفسهم، والواقعين في المعاصي، وفي القيل والقال والغيبة والنميمة، ولو ركنت إليهم، أو حتى وقع في نفسك أن تكون معهم ستَمَسَّك نار البعد التي هم فيها، والركون يكون بالقلب، أي مجرد أني فكرت في نفسي أن أجلس معهم ستقع الإصابة في الفؤاد والقلب والعياذ بالله:

ؤىغ قهه غ غ رضي الله عنه

ؤى غ غ قطه ة ء غ غ

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (113هود) ... نار البعد،.... ونار الصدود عن الله ﷻ.

إذاً ماذا أفعل مع هؤلاء؟ المؤمن عندما يعزم عزماً أكيداً يُلهمه الله بحسن التخلص، فالمؤمن ليس عنده وقت، فأنا كنت أعتقد أني عندما أُحال إلى المعاش سيصبح عندي وقت واسع، ولكن أصبح الوقت بالنسبة لي لا يكفي بسبب كثرة البرامج الطويلة، لأنه لا بد أن يكون لك برنامج مع الله ﷻ تريد أن تنتهي منه.

إذاً لا بد من إقلال لقاء الخلق، لأن سلامة المرء في الإقلال من لقاء الخلق المشغولين بالدنيا والأهواء والشهوات، فلو جلست معهم سيتكلمون في السياسة أو غيرها، وهذا الكلام يعمل على تسويد صحائف القلب والعياذ بالله، وإذا كان قد صفا قلبي ببعض الذكر قبل هذا الجلوس معهم فقد ضاع.

وعندما أقابل الله ﷻ عند النوم، لا أستطيع النوم، لأني أجد كثير من الشرائط المنسوخة في هذه الجلسة التي جلستها مع هؤلاء القوم:

فأقلل من لقاء الخلق إلا لنيل العلم أو إصلاح حال

فلا يكون لقاء الخلق إلا من أجل أن أستزيد في العلم الإلهي، أو لإصلاح حالي مع الله ﷻ، لكن بعد ذلك لا وقت عندي لأحد، وهذا سلاح الدنيا الذي تجر به الإنسان وتبعده عن حضرة الرحمن ﷻ.

العدو الثالث: النفس

ما وظيفة النفس التي تبعد الإنسان عن الله؟ تريد للإنسان الجمود والخمود والقعود والكسل وعدم الرغبة في القيام بعبادة الواحد الأحد ﷻ، فإذا قام لصلاة الفجر تقول له: ما زال الوقت مبكراً، وتحثه على النوم مرة أخرى، فإذا سمع كلامها، سيستيقظ فيجد قد فاته الوقت وهو لا يدري، فإذا تكرر الأمر فسيجد الشمس قد طلعت ولم يستيقظ للصلاة!!.

وإذا نوى زيارة أخ له في الله، فتقول له النفس: قد تذهب فلا تجده، اتصل به بالتليفون فقط، فهذه هي طبيعة النفس، تُجَمِّد الإنسان، وتُخَمِّد الإنسان، وتُكسِّل الإنسان، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

فهيا يا مريد الوصل وانهض ودع عنك التقاعد والتواني

أو (دع عنك التقاعس والتواني) ما علاج ذلك؟ لا بد أن يكون لي سهر بين يديّ الله في الأوقات التي طلب من الأحبة أن يكونوا فيها أيقاظ بين يديه جل في علاه، متى؟ ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨الذاريات) لأنه هو الوقت الذي ينادي فيه الله ﷻ على عباده، فإذا نادى عليَّ يجب أن أرد، قال ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ } [20]

هل يليق بمن يريد فضـــل الله وإكرام الله جل في علاه أن ينام والله ﷻ ينادي على عباده؟!!.

والـذي يـريـد الشــــهـود: ﴿ **وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾ (٧٨الإسراء).إذاً لا بد أن يكون للسالك كما قال الحبيب ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ } [21]

هذا طريق الصـــالحين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) لا يقضـــون الليـل على النـت، ولكن يقضـــونـه بين يـدي الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ (٦٤الفرقان) ليس للشـــيطان ولا للفيس بوك ولا للهوى ولا غيره!.

ةى ء ء غ ﷺ
ى غ ه ه ز ق ف ﷺ

هذا علاج النفس، مَن انتصـر على نفسـه قديماً أو حديثاً بدون هذه القومة لله؟ لا أحد، ((من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته مع الله ﷻ جلسة)).

قد يقول قائل: كيف أسهر وفي الصباح سيكون معي عمل؟ فنقول له: لو صدقت مع الله حوَّل الله ﷻ لك المُحال إلى حال، فسيدنا عمر ﷺ لم يكن ينام بالليل ولا النهار إلا قليلاً بين الظهر والعصـــر، وكان يقول في ذلك: ((لو نمت ليلاً ضـــيعت نفســـي، ولونمت نهاراً فقد ضـــيعت رعيتي فجعلت ليلي لربي ونهاري لرعيتي)) فأعانه الله ﷻ.

والإمام أبو حنيفة ﷺ كان يمر فسمع رجلاً يشير إليه ويقول: هذا الذي يصلي الفجر بوضوء العشاء، فقال: وجبت وإلا سأكون من المنافقين، فصَلَّى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة!!، ويظل حتى شروق الشمس، وكان في الصباح يفتح الحانوت في السوق، وبعد صلاة الظهر يبدأ دروسه في مدرسته لتعليم الفقه الذي وهبه له الله جل في علاه، وكان ينام لحظات، والإنسان في ساعات الصفاء فإن اللحظة الواحدة من النوم تُغني عن أيام في المنام.

الإنسـان البعيد عن الله قد ينام أياماً معدودة ويشـعر بأنه لم يشـبع من النوم، لكن إذا كان في حالة صـــفاء مع الله فلحظة واحدة يتمتع فيها بالهناء العالي، ويكون للنوم مذاق عظيم، لأن الجســم يكون على التراب والروح في الملأ الأعلى مع الله ﷻ، واللحظة من هذه لا تساويها أيام معدودات في النوم:

نَم هيكلي فـالروح يقظى مشـــوقة لأصـــلها العالي ليســت من الترب

وهذا هو السلاح الذي سأقضي به على لمم وبدوات وهفوات النفس.

العدو الرابع: الهوى

والهوى مشــكلة المشــاكل كلها: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات) أين يظهر الهوى؟ في فلتات اللسان، ففلتات اللسان تُظهر ما في القلب وما في الجنان، يريد أن يتكلم كثيراً.

ما العلاج؟ الصمت: ((الصمت حكم وقليل فاعله)) والحبيب ﷺ يقول:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ [٢٢] }

أنا أريد أن أكون حكيم، ويفتح العلي العظيم ﷻ لي كنوز حكمته، ماذا أفعل؟ الصمت:

الصـــمت معراج وجوعك طهرة والصـــمت رفرف حضـــرة التواب

هذا هو البراق الذي يرقى عليه العارفون، يُقال: فلان لا يتكلم إلا قليلاً، الشـــيخ مكين الدين الأســـمر كان يقول فيه ســـيدي أبو الحســـن الشـــاذلي ﷺ: مكين رجل من الأبدال، والشـــيخ مكين كان يعمل خياطاً، وكما تعلمون فإن محل الخياط مكان لتجمع الناس وكثرة الكلام، ورغم ذلك كان يقول: قبل المغرب أحاســـب نفســـي على ما نطق به لســـاني في هذا اليوم، فأجدهم بضـــع عشـــرة كلمة، فما وجدته في الخير حمدت الله تعالى عليه، وما وجدته غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه!!.

لو معك تسجيل صـغير وسـجلت كلامك في النهار فسـتسـجل كم شـريط؟! وكل كلمة إما لك وإما عليك: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) أي بعض قول، والرقيب العتيد هو الله ﷻ.

ىى غ ھ ظ ط ھ غ ھ ۾ غ ۾ غ ق ﷺ

كل كلمة ســتحاســب عليها، ولذلك قيل: ((من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه)) والمؤمن لا ينطق بكلمة إلا إذا حســبها بفِكره، ووزنها بعقله، ثم عرضــها على قلبه، فـإن أذن لـه بـالنطق بهـا نطق بهـا، وإلا حفظهـا ولم يُخرجهـا، وهـذا حـال المؤمنين الصادقين.

بين منهم ومعهم

إذا واظب الإنســان على هذ الجهاد رُفعت عنه الحُجُب، وتولاه الله ﷻ بولايته، وجعل له حظوة عند أهل عنايته، فيحبونه لما يتســم به من أوصــاف قرآنية، وأخلاق محمديـة، وإذا أحبوه ونظر الله ﷻ في قلوب أحبابـه أنهم يحبوه زيَّنـه الله ﷻ بزينـة الصــالحين، وجمَّله بجمال المقربين، وحفظه من كل ســوء في الدنيا، وأعطاه كتاب الأمان يوم الدين، لأن الله ﷻ آلى على نفســه ذلك في كتابه المبين وقال: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان) وأقرَّ ذلك سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذاً لا بد أن يكون معه في هذا الجهاد روح عبد نوراني شـــفافة تمنحه طاقة روحانية من وراء الوراء ترفع عنه هذه الحُجُب الدنيوية والظلمانية، ثم تراقبه حتى ترفع عنه الحُجُب النورانية، حتى يكون من أهل التملِّي من الحضـــرة المحمدية، ثم يُكَحله ﷺ بإثمد الأتقياء حتى يؤهله لقول رب البرية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة).

كثير من الأحباب يريد في لحظة بدون جهاد التجلي!

أو يريد أن ينام فيرى نفسه في الملأ الأعلى!

أو يرى في منامه رسول الله ﷺ!

وهذا بغير جهاد!!!

ويعتمد على شيخه!!

وهل المشايخ وصلوا من غير جهاد؟!

وهذا شيء غريب عند بعض الأحبة، لكن جاهد تشاهد.

فإذا لم تجاهد فأنت ما زلت محب!

وأنت في مقام طيب كونك محباً،...

وستكون مع الأحباب يوم القيامة!

لكن ....: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٩٥النساء).

هناك فرق كبير بين (منهم) وبين (معهم):

فمنهم:

أي شـريك معهم ويحظى بفتحهم وفضـلهم، وهذا يحتاج إلى جهاد، وهذا الجهاد لا يحتاج إلى تســويف ولا تأجيل، ولكن فوري، وليس فيه أجازة يوم أو يومين أو أسبوع، وليس له نهاية!

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

((لا ينتهي جهاد النَفْس حتى مع كُمَّل العارفين إلا مع خروج النَفَس الأخير))

فميادين الجهاد واسعة، فلا ينتهي الجهاد حتى خروج النَفس الأخير:

مـن كـان مـنَـا يـرآنـا ويـودنـا ويفوز منـا بـالصـفـا ويوالـي

فلا بد أن تجاهد لتشاهد، وهذه نصيحتي للأحبة، فالمقامات موجودة، والرُتب موجودة، وتُريد من يشغلها، وهي تحتاج إلى جهاد بسيط، المهم أن تنوي، وبعد أن تنوي فالباقي على الله ﷻ، لكن تنوي بعزم أكيد.

ولا تضحك عليك نفسك وتحاول أن تُرضي شيخك، لكن يجب أن تُرضي الله، فالعلاقة بينك وبين الله مباشرة، ونحن نساعد بعض لكن المراقبة لنفسك ولله، ولنفسك مع الله جل في علاه.

الأوراد

وهناك جزء مهم، فقد قالوا:

((مَن لا وِرْد له لا وُرُود له))

فكثير من الأحبة تركوا الأوراد، بحجة أنها لأهل البدايات!

لكن أهل النهايات لم يتركوا الأوراد، فالإمام الجنيد - وهو سيد الطائفة – في آخر أنفاسه يختم القرآن، ويمسك بالمسبحة في يده، وسُئل في ذلك فقال: شيء وصلنا به إلى الله لا نتركه حتى نلقى الله!!!

وقيل له: لماذا تقرأ الوِرد وأنت في هذه الساعة؟ قال: وما في ذلك أن يكون آخر أنفاسي في الحياة الدنيا أن أختمها بقراءة كلام الله جل في علاه، وبعد أن انتهى من وِرده كان مع الكريم ﷻ.

لذلك من هفوات النفس أن تنشط في رمضان، وبعد رمضان تترك الأوراد، أين مراقبتك لنفسـك؟! فالشـيخ لا يراقبك لأن الوِرد لله، فإذا لم تسـتغفر الله فكيف تنتظر فضل الله ﷻ؟!!.

تُصـلي على الحبيب ﷺ عندما تسـمع إسـمه لكن ليس لك وِرد كالصـالحين السابقين تُصلي فيه على النبي ﷺ، فكيف تطمع في فضل الله على يد رسول الله ﷺ؟! والسـابقين كانوا يقولون: لا ينبغي لمن سـلك طريق الصـالحين أن يُقلِل عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على النبي ﷺ كل ليلة مع حضور القلب وصفاء الذهن.

فأن تُصـلي على النبي ﷺ عندما تسـمع إسـمه فهذا خير، لكن ليس كأهل القدر العالي، ما الصلة التي بينك وبين كتاب الله؟!.

إذاً لا بد من الأوراد، ومجالس الذكر، فإذا غفلت عن ذلك فليس لك شـيء، فمنهج الصـالحين أن يحافظ الإنسـان على ما كُلِّف به من الله، ومن رسـول الله، ومن شـيخه، لا يتخلى عن ذلك كله طرفة عين ولا أقل، فإذا راودته نفسـه، فيجب أن يصدَّها، فإذا صددتها فستنتهي، لكن إن استسلمت للنفس فستدخل في طور النسيان، ولن تصـبح من الذين يقول فيهم الرحمن: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾

(١٥٢البقرة).

نســـأل الله ﷻ أن يبلغنا هذا المقام، وأن يمتعنا بهذا الإكرام، وأن يعيننا على أنفســنا، وأن ينصــرنا عليها نصــراً عزيزاً، ويفتح علينا فتحاً إلهياً، ويمنحنا ســكينة وطمأنينة قلبية، ونشوة ومحبة روحانية، ويجعل لنا في أسرارنا أسراراً إلهية، نكون بها من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الوصل الثاني

أصول البدايات

العتيقة

تحذير السالكين من الفتن

الأوراد

الإذن للورد والرابطة الروحانية

الشوق

رفع السماوات بغير عمد

أهل السر

درجات الفتح النوراني

حظ المريدين من مقام شيخهم

الوصل الثانى: أصول البدايات[1]

العتيقة

سؤال[2]: هل هناك شيء يسمى عتيقة من النار، وهي أن تقول (أستغفر الله العظيم وهو التواب الرحيم) سبعين ألف مرة وهي العتيقة الصغرى، أو مائة ألف مرة وهي العتيقة الكبرى،؟

العتيقة هى عتق رقبة العبد من النـار ... وهذا الأمر مذكور في بعض كتب الرقائق، وإن كانت الأحاديث المروية عنها فى تلك الكتب كلها أحاديث ضـــعيفة، ولكنه يُعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والرغائب وذلك منها قوله ﷺ:

{ من قرأ قل هو اللَّه أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من اللَّه ، ونادى مناد من قبل اللَّه تعالى فى سماواته وأرضه : ألا إن فلانا عتيق اللّه } ٣

والتى يســمونها العتيقة الصــغرى هى الإســتغفار ســبعون ألف مرة كما ورد بالأثر[4]، وهذه نعطيها للأناس المقبلين على لقاء الله، الذين كبروا في الســن وأصــبح على بـاب الآخرة، ويحتـاج أن يعوض مـا فـاتـه ....، أو يســـتغفر من ذنوبـه .....، فأفضــل عبادة له الاســتغفار، ولعتيقة الإســتغفار شــواهد ودلائل من الأحاديث النبوية الشريفة الثابتة مثل ما روى عنه ﷺ:

[illegible]

{ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه أَلْفَ مَرّة -وروى (**مائةَ مرّة**)-**فَقَد اشْتَرى نَفْسَهُ من الله، وكانَ آخِرُ يَوْمِهِ عَتِيقَ الله }** [5] ، **{ مَنْ قَالَ حِينَ يُصبِحُ : لاَ إِلهَ إلاّ اللّهُ وَاللّهُ أَكْبَرُ، أَعْتَقَ اللّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النّارِ }** [6]

وهناك عتيقة أخرى يسمونها العتيقة الكبرى وتعارف الصالحون على أنها قراءة سورة الإخلاص مائة ألف مرة، وقد ذكرنا فيها حديث البزار ضعيف السند ولكنها أيضاً لها شواهد قريبة أيضاً من الأحاديث كقوله ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ أَلْفَ مَرّة فَقَد اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ الله } [7] ، **{ مَنْ قَرأَ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرّةٍ فِي الصّلاَةِ أَوْ غَيْرِهَا كَتَبَ اللّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النّارِ }** [8]

وهذه العتيقة الكبرى نعطيها أيضاً لهم، فنعطيهم العتيقة الصغرى، ..... وبعد أن ينتهوا منها نعطيهم العتيقة الكبرى، ..... ونرى أن هذا يكون سبباً لعتقهم من النار إن شاء الله رب العالمين.

إذا أراد المريد في بدايته أن يأخذها فلا مانع، فقد كان السلف الصالح وخاصة أتباع الطرق كالخلوتية وغيرها يأمرون المريد عندما يدخل طريق الله ﷻ - قبل أن يعطوه أي أوراد - أن يستغفر الله سبعين ألف مرة، حتى تمسح ما فات، ثم يعطونه بعد ذلك الأوراد، ولا يحددون له زمن للانتهاء منها، وكان معظمهم يستحسن أن يستغفر كل يوم ألف مرة، بعد كل فريضة مائتين مرة، فيستغرق سبعين يوماً، وبعد ذلك يظهر عليه علامات التوابين والمتطهرين، فيعطونه الأوراد.

[illegible]

والأوراد إذا داوم عليها المريد يكون لها علامات تظهر على صـــفحة الوجه، وأنا أذكر عندما كنت شاباً في بداية الطريق، وأكرمني الله ببداية شديدة فاجتمع حولي عدد كبير من أهل بلدتي، حتى كنا نملأ المسجد، وكنا نختم صلاة الصبح حتى شروق الشمس، فكان الذي لا يقرأ الوِرد القولي، أو الوِرد القرآني لمدة يوم أو يومين أعرفه، لأن الوِرد يظهر نوره على الوجه: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ (٢٧٣البقرة) ...

تظهر في ســـيمــا الإنســـــان، يقول ســـيدنــا عبـد الله بن مســـعود ﷺ: ((كنا نعرف الكذاب بعلامة في وجهه)).

فالمصـــيبة الكبرى أن كثيراً من المريدين لا يحســـبونها جيداً مع الصــــالحين الصادقين أهل الإشراق!!!، والصالحون يتركونهم لأنفسهم: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦فصـــلت) فالشـــيخ لا يحتاج منك شـــيء، لكن أنت المحتاج له!،

فلو عملت صـــالحاً فســيضـــعوك في كشـــوفهم، وإن لم تعمل فســتكون في كشـــوف الجزاءات، والجزاءات تكون شديدة لكنك لا تدري.

- يقول أحدهم لرجل من الصالحين: أنا عملت كذا وكذا من المعاصي ولم أجد عقاباً!!، فقال له: هل أنت تقوم الليل؟ قال: لا، قال: وهل هناك عقاب أشـــد من هذا؟!! محروم من قيام الليل.
- والعقاب الأشد الغفلة عن ذكر الله ...... أن يمشي الإنسان ولا يذكر بلسانه إلا فلان وعلان!!!، ولا يذكر الله!!!
- وهناك أنواع كثيرة من العقاب، يغفل عنها كثير من المريدين.

إذاً المريد :

- يبدأ أولاً بالاستغفار سبعين ألف مرة!
- إلى أن يغفر الله ﷻ له ويطهِّره !
- ثم يبدأ بعد ذلك في الأوراد!
- ويحافظ على نفسه من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن.

تحذير السالكين من النت

أنا أحذر الأحبة كباراً وصــغاراً: إياكم ثم إياكم ثم إياكم من النت وفيروســاته، فهو الآفة العظمى التي أصابت كثير من السالكين في مقتل!!

فلو تعوَّد أن يرى أشياء خارجة فإن النفس تتلذذ بمشاهدة هذه المناظر، فيضيع: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (١١الحج).

فليحذر الجميع من ذلك، ويَقُوا أبنائهم من ذلك، لا تراقبه لتعرف هل يرى هذه الأشياء أم لا، ولكن أهم شيء ما الذي وضعته أنت في قلبه؟ لأنه يجب أن يراقب الله لا يراقبك أنت، فتبقى معه حتى تذيقه طعم الخشـية، ويطمئن قلبه بذكر الله، وبعد ذلك لا تخش عليه ولو من الشــيطان: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف).

الأوراد

سؤال: هل الأوراد التي يأخذها المريد بعد أن ينتهي من العتيقة الصغرى والعتيقة الكبرى مكتوبة أم غير مكتوبة؟

هناك أوراد أهل البداية، وهي مكتوبة، وقد ذكرناها في كتابنا (أذكار الأبرار) أما أهل العناية الذين ترقوا قليلاً تكون أورادهم إلهام فوري من الله ﷻ لهم، لذلك أورادهم تختلف.

هناك من يأخذ الوِرد فيُخلص فيه فيجد الفتح، وهناك من يأخذ الوِرد فيتركه فيقف، ولا يفتح عليه، ويطلب ورداً آخر، كيف ولم يُفتح عليك؟!!.

هناك أوراد لسانية، وهناك أوراد قلبية، وهناك لطائف برزخية، وهناك بعد ذلك تجليات روحانية، ولكل مقام مقال، فالأوراد موجودة لأهل الجد والاجتهاد الذين لهم مقصد عال، لكن لا يجوز أن آخذ الوِرد وأتركه، كالذي يذهب للطبيب فيعطيه روشتة الدواء فلا يأخذها، هل يطلب روشتة أخرى؟! أويعطيه الصيدلي تركيبة عظيمة ولا يأخذها!!.

لكن (من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يكن يعلم) وهذه أول نتيجة، لكن إذا أردت النتائج التي في اليدين، والتي تراها العيون فلا شأن لنا بهذه النتائج، لأن الذي تراه العيون وتلمسه اليدين نحن نريد فيه البركة، وأنت لجهلك تريد فيه الكثرة، والكثرة لن تُغني عنك شيئاً، لكن البركة لو جاءت فإن القليل سيُغني عن الكثير.

الإذن للورد والرابطة الروحانية

سؤال: ما الفرق بين قراءة الورِد القرآني بإذن من الشيخ، والقراءة بدون إذن؟

كل المسلمين في قراءة القرآن مأذونين فيه من الله: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ ﴾

(٢٠ **المزمل)** لكن الشيخ إذا كان سيخص إنسان بآيات مخصوصة فهو لعلة يراها تزول بهذه التلاوة، لكن غير ذلك كلنا مأذونين بالتلاوة ولكن مع التدبر.

وهناك كثير من المريدين يشتكون من عدم الفتح، وذلك لأنهم يجهلون الطريقة التي بها الفتح، لكن الطريقة التي علَّمها لنا مشايخنا والتي بها نجد الفتح في كتاب الله ﷻ وفي الأوراد، وهي لا بد أن يكون هناك رابطة روحانية بينك وبين خير البرية ﷺ، فكل محطات البث التليفزيونية موجودة في كل مكان لكنها متى تظهر على الشاشة؟ إذا كان هناك جهاز استقبال، لأنه يربط بين الشاشة والإرسال.

كذلك هناك محطة استقبال يُجهزها سيدنا رسول الله ﷺ ويعطيها تصريح بالبث من حضرته إلى قلوب الأحبة الذين شوقهم زاد، والذين غرامهم نما، والذين هيامهم داب، حتى يتمتعوا بالعطاءات الآتية في روحانية المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

ماذا أفعل من أجل ذلك؟ هذا الذي تعلمناه، فعلى الإنسان أن يستحضر صورة شيخه عند عمل وِرده، أو عند تلاوة كتاب الله، ويستحضر أن شيخه هو الذي يقرأ وهو يسمع القرآن من شيخه، وهذا الذي مشينا عليه، وكان الواحد منا عندما يقرأ بهذه الكيفية يحس بأن بحار من المعاني الإلهية تتفجر في القلب، لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من عالم، وكلما أعاد التلاوة يجد بحار أخرى من المعاني تتنزل.

ماذا تفعل صورة المرشد؟ تسد الحواس الظاهرة، فيُخلص الإنسان، وتمنع واردات الحواس كالعين والأذن واليد وغيرهم، وتفتح الحواس الباطنة، فتأتي العطاءات الباطنة.

لكن لو قرأت ولا يوجد استحضار، فإن الحواس الظاهرة مفتوحة، فأنا أقرأ لكني أسمع فلاناً يتكلم في كذا وكذا، هل هذه القراءة بصفاء أم مشوشة؟! أو أنا أقرأ وعيني تنظر هنا وهناك، فما شكل هذه القراءة؟! مشوشة لأن الحواس الظاهرة مفتوحة، قال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((صورة المرشد تمنع واردات الحواس عن القلب، فتكون الحواس تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب ﷻ)) وهذه هي البدايات الأصلية في سلوك أهل المعرفة الروحانية.

وغير ذلك من قراءة الأوراد ليل نهار فهو عابد، والحاضر فيه له عليه درجات، وغير الحاضر فيه لا يكتبوه، والدرجات حسنات في الدار الآخرة، لكن ليس له علاقة بالمِنح .... يقرأ القرآن، ويقوم الليل، كل هذا عابد، ولا مانع سيعطيك الله ما تريد وزيادة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، لكن الفتح الإلهي ليس له طريق غير ما ذكرنا.

ما الذي منع يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام من الفاحشة بعدما تزينت له زُليخة وكانت أجمل أهل زمانها؟ وقالت: ﴿ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ **(٢٣يوسف)**

وفي قراءة أخرى ﴿ هُيِّئْت لَكَ ﴾ ما الذي منعه؟ برهان ربه: ﴿ **لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ **(٢٤يوسف)** وما برهان ربه؟ قالوا: صورة أبوه مرشده سيدنا يعقوبعليه السلام.

عندما همَّ بها وجد صورة المرشد أمامه، فمنعه سواء لو همَّ بقتلها أو غير ذلك، لأنه لو قتلها فستكون مصيبة بالنسبة له، لأنه في هذه الحالة سيقولون قتلها لأنه كان يريدها فامتنعت.

الشوق

سؤال: ما معنى الشوق؟

الشــوق هو الحب الزائد الذي ينمو ويتزايد رغبةً في حبيب الله ومصــطفاه ﷺ، أو في التملي أو التمتع بالمشاهد العالية من كمالات الله جل في علاه.

وهذا الشوق ينمو فيصير عشقاً، ثم يتحول إلى هيام، ثم يتحول إلى اصطلام، ثم يتحول إلى فناءٌ بالكلية في المحبوب، فلا يبق للمُحب هُويّة ولا أنيَّة مع المحبوب، وهو الذي قيل فيه: ((لا يصِّح الحب بين إثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا)).

وهي الدرجات التي يرتقي الناس فيها، وهي مذاقات وليســت كلمات، فلا نريد أن نشغل أنفسنا بالكلمات كبعض من ينتسب للصوفية، والذين يشغلون أنفسهم والناس بكلمات عالية من كلام الســادة الصــوفية ويردِّدُونها بينهم فمن يســمعهم يقول: هؤلاء أهل أحوال عالية، وأهل مقامات راقية، وهم ليسوا على شيء، يحملون البضاعة فقط على رؤسهم ولا يحملونها في قلوبهم.

والشـوق لا ينمو إلا بمجالســة أهل الشـوق، وهناك شـوقٌ ظاهر وهو للمظاهر، لكن شوق أهل الحقيقة باطن لعَالم الغيب الذي تجلَّى الله ﷻ فيه في باطن سيدنا رسول الله ﷺ.

فهناك فرقٌ كبير بين من يشتاق لزيارة المقام في الروضة، وبين من يشتاق للذات المحمدية، وهناك فرق بين من يشتاق للكعبة كمبنى، ومن هو ناظرٌ نظرةً أعلى ويشتاق إلى كعبة الأرواح، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما كان واقفاً عند الكعبة خاطبها وخاطب الله وقال:

حبى لمبناكَ هيمنى		فكيف إذا ما أشرق المعنى

فكيف بمن أشرق عليه عالم المعنى؟ ماذا يفعل؟! ولذلك أعجب عندما أرى المساكين الذين يذهبون إلى هناك، منهم من ينخرط في البكاء وغيره ذلك، فما بالك لو رأيت ذرَّة من عالم الحقيقة ماذا تفعل؟! إذا كنت عند الجدران وتبكي، فما بالك لو رأيت القلب العامر بالله؟! فهذا البيت الذي بناه إبراهيم، وآثار الخليل فيه، فما بالك بالبيت الذي بناه الجليل ﷻ في قلب الحبيب الأعظم؟! هل هذا كذاك؟!.

هل يستوي البيت الذي بناه الخليل مع البيت الذي بناه الجليل؟! فهذا به آثار، ولكن الآخر فيه أسرار، وفرقٌ شاسعٌ بين الآثار والأسرار، لذلك لا بد للإنسان أن يكون في البدايات مع أهل العنايات.

والشوق مزعج، يزعج كل الأعضاء الظاهرة والباطنة لبلوغ المراد، ومثلاً في الدنيا: إذا اشتاق الإنسان لواحدة يحبها، فعند نومه يطوف به خيالها فيمنعه من المنام، وعند أكله يرى خيالها فلا يتلذذ بالطعام، يريد أن يتكلم فيتذكر نغمات كلامها فلا يتهنَّى لسماع أي كلام.

وهذه الحالة أيضاً يراها المحبين، والذين هم ذوي شوقٍ وهيام، فلو ذهب أو أتاه رجل آخر ويريد أن يُســمعه، حتى ولو كان علماً من القدس الأعلى يجد أن عنده انصراف وصدود عن كلامه ولا يريد أن يسمع، لأن أذنه الواعية جُبلت على السماع من شيخه.

فالشــوق يجعل كل حقائق الإنســان الظاهرة والباطنة تتَّجه إلى حبيب ذي هيامً وغرامٍ، وتريد أن تتقرب منه وتريد أن تعيش معه، وتريد أن تحظى بلقياه، وتريد أن تحقق المنى معه.

ونحن نعجب من الشــوق مع الغيبة، الغائب يشــتاق حقاً، لكن الإمام أبو العزائم ســأل سـؤالاً فقال: هل يشـتاق حاضـر؟ فلم يجبه أحد، فقال: هناك مقام المعية، وهناك مقام العندية، وهناك مقام اللدنية، فكل ما دخل إلى مقام يشـــتاق للمقام الأعلى في هذا المقام، الحضــور معية في مقام المعية، فيكون الشـوق لمقام العندية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) غير: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ (٢٠٦الأعراف) هل هؤلاء كهؤلاء؟!

وهؤلاء غير: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (٦٥الكهف)

ولذلك المقام الأعظم للحبيب ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ ﴾ وهذا مقام اللدنية، لا جبريل ولا غيره، مقام اللدنية مباشــرة: ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦النمل)، هذه المقامات تحتاج إلى سير وسلوك وأذواقٌ ومشاهدات، وليست علم ولكنه ذوق:

العلم حدٌ وفوق العلم أنوارٌ والنور غيبٌ وفوق الغيب
والســـر يجذبنى لشـــهود وهو الولىُ تعـالى وهو

فيرتقي الإنسان في هذه المقامات، فأول شيء يُحصِّل العلم، وبعده يعمل بالعلم، حتى يرى نور العلم، فلو وقف عند الأنوار يُحجب عن الأسرار، فلا يقف عند الأنوار ليرى الأســرار، ولو وقف عند الأســرار يُحجب عن وجه النبي المختار ﷺ الذي هو مصدر هذه الأسرار .. وهكذا، ولذلك كان ﷺ يستغفر الله فيقول:

{ وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً }[٩]

وقال في الرواية الأخرى:

ؤغ ق ه ه ء ء غ ﷺ

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[10]

فالذين هم على قدرهم قالوا: إن رسول الله مثلنا يأتيه أشياء على قلبه، فسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه قال: تحيَّرت في هذا الحديث، فجاءني سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال لي: ((غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك)).

هناك فرقٌ بين غين الأغيار للناس العاديين، والأغيار يعني الدنيا وما فيها من الشهوات والأهواء والأولاد والنساء وما شابه ذلك، وبين غين الأنوار، والأنوار لا منتهى لها ولا حدَّ في إدراكها، وسيدنا رسول الله ﷺ في كل نفسٍ يرتقي، فكلما ارتقى في مقام يرى المقام الذي قبله كان بالنسبة له غينٌ فيتوب إلى الله ﷻ منه ويستغفره.

ولذلك قال: زدني: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) والعلم في هذا المقام شهود، وليس علم كعلمنا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ (١٨آل عمران).

والعلم هنا شهادة، أى شهود، فكان ﷺ يشهد على الدوام وجه ربه ﷻ في تجلياته التي لا تتناهى ولا تُعد ولا تُحد.

ـة ى ه ء غ غ ﷺ

إن الله ﷻ يتجلى في كل الأنفاس بتجليات لا حد لها، ولا يدرك ذلك إلا من أعطاهم الله ﷻ هذا المقام العَلي، وكانوا على صلة مباشرة روحانية بحضرة النبي ﷺ.

رفع السماوات بغير عمد

سؤال: ما معنى قوله تعالي: ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾ (٢الرعد)

السماء مرفوعةٌ الآن، فكم عمود يحملها؟! فهل ترى أعمدة تحملها؟! لا، فبأى شيء رفعها الله ﷻ؟ بإسمه الرافع: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ (٧الرحمن) تجلَّى عليها الله ﷻ بإسمه الرافع فرُفعت بغير عمدٍ ترونها.

ولها معنى آخر إشاري: لو لم تعتمد على نفسك، وفنيت في ربك، وأبصرت بالله، ففي هذه الحالة: ترونها بغير عمدٍ.

يعني لو نزَّهت نفسك عن الإعتماد على العمل والحول والطول وفنيت في الله فترى السر، والسر لا يُكشف إلا لأهله، فكيف تكشفه لغير أهله؟! لأنهم لم يروه ولن يروه، وهو إشاري في الآية لأهل العناية.

والسماء من السمو يعني الرقي، وكل مقامات الرقي التي يرقى الإنسان فيها إلى الله، ما شكلها؟ وكيف تصل إليها؟ وكيف تسير إليها؟ سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، خادمه تطاول في النقاش قليلاً مع سيدي أبي العباس المرسي، فغضب الشيخ وقال له: كيف تتكلم مع أبي العباس بهذه الكيفية؟! والله لأبو العباس أعلم بطرق السماء منك بطرق الأسكندرية.

المريدين الصغار فهموا أن السماء بها طرق وأبو العباس يعرفها، ولكنها طُرق السُمو إلى الله، والطرق التي يسمو بها المرء إلى مقام الصفاء والنقاء والشفافية، وهي طرقٌ كثيرة، (لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق).

فكل واحد له طريق أو أكثر من طريق، الطبيب يجربه في طريق فإن لم يفلح يضعه في آخر وهكذا، فإذا صدق في النهاية لا بد أن يصل، وإذا أخذ مرةً واحدة ولم يفلح، وقال: الشيخ لا يصلح، فلا فائدة فيه لأنه غير مؤهل لهذا المقام.

أهل السر

فأبو العباس يعرف طرق السُمو والرقي إلى الله ﷻ أكثر من معرفته هو بطرق الأسكندرية، وانتبهوا لحديث النبي ﷺ عندما يقول:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ } [11]

وجبريل هو الروح الأمين، والذي فيه ســـر الروح، والذي به الفتوح، والذي ينفخ الروح لمن أراد الله ﷻ لـه وبـه الفتوح: ﴿ **يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ** ﴾ **(١٥غافر).**

ويُحبه أهل الســماء وهم أهل الســمُو في المقام في هذه الحياة الدنيا، لأن هؤلاء قومٌ في نظر الله لهم المكانة والوجاهة عند الله ﷻ، وهؤلاء الذين إذا شــهدوا للمرء فيا هناءه، لأن هؤلاء أصحاب المقام العالي عند الله ﷻ، والذين قال لهم حضرة النبي ﷺ عندما مرت بهم جنازة فأثنوا عليها خيراً:

ىىغ ق ه ه ع غ رضي الله عنه

{وَجَبَتْ، ثُمَّ مروا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ، قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ} [١٢]

وقال هذا لمن كان حوله وقتها، من أهل الصُـفَّة المباركين وليس الكل، وهؤلاء هم أهل المقام العالي، وهؤلاء أهل السُمو، سَمُوا عن الحظوظ والأهواء والدنيا الدنية والمطامع الفانية، وتعلقت قلوبهم بالله ﷻ وحبيبه ومصطفاه، ومراقي الصالحين الكُمَّل من عباد الله.

فلم تشغلهموا دنيا وأُخرى عن الإخلاص للذات العلية
عبيدٌ أخلصوا لله قلباً وقاموا خاضعين بصدق
ومن يد سيد الرسل سُقوا خمر البشائر أحمدية
صُفوا لله من ميلٍ وحظٍ فكان القرب منه لهم عطية
فخلَّ الخلق خلفك ثم عامل بصدق ذات مولاك العلية

فهؤلاء هم أهل السُمو عن الداني والفاني، والذي كل من فيه يعاني، ولذلك هم في عالم القرب دائماً والتهاني، وهم الذين يقول الرجل فيهم: ((لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف)).

فليس عندهم لا خدم ولا حشم، ما فيه من الهناء والجلاء والصفاء والبهاء والنور والضياء التي يواجههم بها إمام الرسل والأنبياء، والتي يتنزل الله ﷻ لهم بها في حالات الصفاء، تجعل الواحد منهم ليس له شأن بالدنيا.

ىىغ ق ه ه ع ﷺ

هؤلاء هم أهل السُمو!!! ... يحبه أهل السماء!!

ويُوضــــع له القبول في أهل الأرض الذين لم يزالوا محبين وليســـوا محبوبين، لأنهم مشــغولون بالطوب والطين، فلما ينتقل من مقام مريد إلى مراد، ومن محبٍ إلى محبوب، ومن طالبٍ إلى مطلوب، ومن مُخلِصٍ إلى مُخلَص، وهذا بعد الصــفاء، لكنه لا يزال في المقام الأول.

درجات الفتح النوراني

سؤال: ما درجات الفتح النوراني؟

من يستطيع أن يعُد، رجل سـأل أحد الصــالحين وقال له: أنا أريد أن أصـل إلى مقام الإحســـان، فقال له: بينك وبينه عشـــرة آلاف مقام!! فمن يســـتطيع أن يعدُّهم أو يحدهم أو يوصَّفهم؟!

لكن ماذا نفعل؟ نُســلِّم، يقول أحدهم مثلاً: أنا أســـافر إلى أســـوان لأتعرَّف على البلاد التي في طريقي، هذه البلدة وغيرها، وهذا النجع وغيره، هذا سـيحتاج إلى سَنَة وقد لا يصل، فماذا أفعل؟ أحجز في القطار، وأُسلِّم نفسي لسائق القطار، وأقول له: أنا أريد أن أصل إلى أسوان، ولا أنظر إلى هذه المحطة ولا إلى تلك المحطة، فيقول لي: ستصلها بعد ساعات محدودة، وبعد هذه الساعات أجد نفسي في أسوان.

فســـلم لأهل الحال روحك تفُز بشـــراب الراح عند

لكن العقل يقول لي: ســـتمشــــي كم محطة؟ وأين تذهب؟ والعقل لو وقف عندي سيكون حجر العثرة لي، لأن كل شـيء يريد أن يزنه بميزان حسِّـي، وهذه الأشياء لا تُوزن، فهل يصِّـــح أن أزن الذهب بميزان قباني؟! أو حتى بميزان كفَّات؟! لا، فالعقل يزن المحسوسات والملموسات، لكن عالم غير المرئيات ما للعقل وما له؟! سيحتار: ﴿ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (٤الملك) والبصـر هنا هو العقل، لأنها ليست قدراته، ولكنها تحتاج العقل النوراني.

والعقل النوراني يأتي بعد التسليم للفرد الرباني، والخروج من عالم المباني إلى عالم المعاني، وكل هذا فيك، ففيك عالم المباني وفي نفس الوقت فيك عالم المعاني بداخلك، أين هو؟ لا تراه، إذا كُشـف لك ما فيك من معاني خالقك وباريك ستُفَاتح بكل هذه الأمور وتكاشف بها، وهي علوم ما تُحَصِّله في نَفَس منها قدر ما تحصِّله الحواس كالعين والأذن والعقل في خمسين ألف سنة!!.

ولذلك العقل لا يدرك هذه الأشــياء، عشــرة آلاف مقام في أى وقتٍ تســتطيع تحصــيلهم؟! لكن في لحظة الوصــل تُحَصِّــلهم في سِـنَة، كيف؟ إنها غيوب لا تلوح لمحجوب، ولا لمن في قلبه عيوب:

إذا صــفا القلب من وهمٍ يشـــاهد الغيب مســروداً

﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ﴾ (التكاثر) ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ ﴾ **(المطففين)** هـل يقرأه؟ لا يسـتطيع أحدٌ أن يقرأه لأنه مشـهود: ﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ **(٢١المطففين)** يقولوه لمن؟ كما قال سـيدنا علي: ((إن هاهنا لعلوماً جمَّة لو أجد لها حملة)) من الذي يسـتطيع حملها؟ وكمــا قــال ســـيدنـــا موســـى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي ﴾ لمــاذا؟ للعلم الـذي فيـه: ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ **(١٣الشــعراء)** لأنهم لن يصـــدقوا هذا الكلام ولن يتحملوه، وسيدنا علي زين العابدين ﷺ قال ذلك:

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح لقيل لى أنت ممن يعبد
ولاستحَّل رجالٌ مسلمون يرون أقبح ما يأتونه حسناً

يقولون: إنه رجلٌ كافر، لأن هذه أشياء لا يعرفونها، فالكفر يعني الغطاء، وكل شيء تُغَطي عن العقل إذا كُشفت تُكِّفر صاحبها، لأنها لا تظهر للعقل، والعقل يريد شيئاً محسوساً ملموساً.

فمقامات القرب هذه نحن نُسَلِّمها وهم يُرَقونا فيها!!!

هناك من يقطعها في سنين، وهناك من يقطعها في لحظات!!!

لأنها كلها هبات وتفضلات وعطاءات من الله ﷻ!!

أنا فقط أجتهد في البدايات فأجاهد نفسي، وأمشي على هذا الجهاد وأحافظ عليه، والباقي يكون سهلاً إن شاء الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد) ﴿ وَٱلله يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة) فهو اختصاص.

حظ المريدين من مقام شيخهم

سؤال: أليس للمريدين حظاً من مقام وكرامة شيخهم؟

كلهم لهم حظ، ولكن فينا من يتمتع بهذا النصـيب وهو في الدنيا، وهذا يكون له تأهيل خاص، وفينا من لا يتمتع بذلك إلا سـاعة الفراق وهو خارج من الدنيا:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق)!!

وفينا من يتمتع بذلك في البرزخ.

المهم في الآخرة سـنكون قد اكتملنا في معرفة الله ﷻ .....لأنه لا بد أن نكتمل في هذا المقام.

فينا من يُوفق وهو في الدنيا لكشـف الغطاء، فيرى أنوار هذا العطاء، ومنا من لا يُكاشـف به في الدنيا رحمة به لأنه لو كُشـف له في حياته فلا يتحمَّل، فيجوز أن تحدث له حالة وَلَهٌ، أو حالة جنون، أو يحدث له حالة من الحالات التي لا تتحملها قواه البشرية، والله ﷻ يريد لنا أن نكون من أهل الكمال في الوصال لله ﷻ.

فلا أحزن إن لم أصل إلى ما وصلوا إليه، لأني سأصل إن شاء الله ﷻ لأنني واثق أنه يختار لي الأفضل.

كان هناك أحد الذاكرين الحاضرين السالكين مع الإمام أبي العزائم ﷺ ويجلس مع الأحباب ويسمع منهم، فمنهم من يقول: إني رأيت كذا في المنام، ومن يقول: رأيت الليلة كذا، وهو لا يرى شيئاً، ولا ينتبه أن هذا الذي لا يرى صاحب المقام الأكمل: ((إذا كَمُل يقين العبد حُرم الرؤيا)) أما الذي يرى فهو صغير في المقام، إن لم يرى سيغضب ويحزن وقد يرجع فيبشروه ليقربوه، فإذا كمُل فلن يعبأ بالرؤيا لأنه وصل للكمال.

فجاء للشيخ وقال له: أنا لا أرى شيئاً وفلان يقول: أنا رأيت كذا، وفلان يقول: أنا رأيت كذا، فانتظر الشيخ حتى أقاموا حلقة الذكر فوضع الشيخ يده على صدره، فرأى الرجل قلبه يطوف حول العرش، فرفع الشيخ يده فعاد كما كان يرى من حوله، وكلما وضع يده على قلبه يرى قلبه وهو يطوف حول العرش، فإذا رفع الشيخ يده يرى نفسه كما هو، وبعد الذكر قال له: انتهي القلق يا سيدي.

فهذا مقام الحفظ، لأن هذه الأشياء كالرؤيات والمشاهدات قد تكون فتنة للسالك وتُعرِّضه للمهالك، فيقول المريد: أنا أرى رؤيات كذا وكذا فأنا ممنوح وأنا كذا وكذا، فقد يتعالى على إخوانه، وقد يظن أنه خير أهل زمانه، وقد يحدث أنه في يومٍ من الأيام يقول: أنا في غنىً عن الشيخ، وأنا شيخ ويريد أن يكون له مريدين، وهذا يحدث في كل زمان ومكان، وذلك لأن النفس ما زالت موجودة.

لو ظل في حصــن الأمان، وادُّخر له ذلك حتى ميعاد لقاء الرحمن، فما الخديعة التي تأتيه هنا؟ لا شيء لأنه دخل دائرة الأمان الأعظم والمقام الأكرم، وحفظه الله ﷻ من فتن النفس، وفتن النفس في هذا المجال لا حدَّ لها ولا عدَّ لها.

لا يصــل أحد في العلم كما وصــل الشـيطان، فلا يوجد عالم من أول الدنيا إلى آخرها وصــل إلى ما وصــل إليه إبليس، ومع ذلك وقع في التلبيس وخرج من الجنة، ولذلك فالعلم ليس كل شـــيء، وبلعام بن باعوراء الذي حكى لنا الله ﷻ قصـــته: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ (١٧٥الأعراف) وكان تربَّى على يد سيدنا موسى، ظل في العبادة حتى وصل إلى مقام الكشف، وكان يطَّلع على اللوح المحفوظ وهو في مكانه، وكان يُســتشــفى بدعائه في الوقت والحال، وطلابه كانوا سبعين ألف طالب.

موســى عليه السلام عبد، ومقام الكمال مقام العبدية، والصـــالحين الذين تظهر على أيديهم الكرامات والإشـــارات فهؤلاء لايزالون صـــغار، لكن الكُمَّل عبيد ولا يظهر عليهم شيئاً نهائياً، وإذا رآهم الناس يرونهم مثلهم: ﴿ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ (٢٤القمر)

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ (٧الفرقان).

والناس يريدون من يخالفهم، كرجلٍ يمشي في الطريق ويمسك بسيف، يقولون: هذا رجلٌ من الصالحين، لأن مظهره غير مألوف.

لكن رجل يلبس بدلة وأنيق في لبســه، ويركب طائرة، ويركب سـيارة فاخرة، فهل هذا من الصـالحين؟ يقولون: لا، هو يريد إنسـان عاري أو حافي .. المناظر الغير مألوفة، وهؤلاء رجالهم صـــغار في طريق الله ﷻ، ولا ينفع إلا نفســـه، ولا يجوز الإقتداء به، ولا حتى طلب الإنتفاع بدعائه، لأنك ربما تطلب منه الدعاء فيدعو لك بدعوة - ودعاؤه مستجاب - وأنت لا تريدها لأن له حال أنت لست مثله.

فبلعام بن باعوراء عندما رأى نفســه كذلك قال: لماذا يحمل موســى النبوة والرســالة؟! يجب أن يكون لي القُطبانية في الأرض، ومعي كل شــيء، فماذا يفعل؟ دعا على ســيدنا موســى ليُوسِّــع الله له الطريق ليكون الوحيد الفريد، وهذا من مكر النفس، فغضب الله ﷻ وقال: أتدعو على موسى كليمي وصفيي، فسُلب كل ما معه: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥الأعراف) أصــبح الشــيطان تابعاً له وليس هو يتبع الشــيطان: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (١٧٦الأعراف).

وهذا النموذج يحدث كثيراً، ونراه كثيراً في رحاب الصـــالحين، لماذا؟ العبد عندما يُعجَّل له بالفتح، ولم يتمكن في تزكية النفس فمن الممكن أن يُمكَر به، ونفســه تلعب به، فيشـتط ويبعد عن طريق الله ﷻ، وعلى الأقل يقع في الوحل فلا يرى لنفسه أنه أهل للسماع أو للتزكية لأنه وصل واتصل، وهي آفة كثيرٍ من الأحباب، كثيرٌ منهم يضع نفسه شيخ، وشيخ يعني له مريدين، فلا يسمع من شيخه ولا من غيره، وإذا جاء للجلوس يأخذ معه ثلاثة أو أربعة مريدين ليكون هو شيخهم.

فالشيخ سُمي شيخٌ لأنه شاخ في معرفة الحقائق ليوضحها لنا، لكن لا يزال شاباً في الحقائق ولا يعرفها فكيف يوضـــحها لنا؟! يوضـــحها إذا أخذ الخبرة، وأخذ الأمر الصريح من يد خير البرية ﷺ: ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ** ﴾ **(٢٣القصص)** يعني شاخ في عالم هذه الحقائق وهذه الرقائق، وليس شـــيخاً كبيراً في الســـن، لأن المؤمن لا يشـــيب، أهل الإيمان يظل إلى أن يلقى الله ﷻ شــاباً، لأنه يأخذ صــفة أهل الجنة؛ لا يبلى شــبابهم، فيبقى قلبه شابٌ إلى أن يلقى الله ﷻ.

فالأفضل لي والأحسن لي:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) ما الذي ضيعني؟ لو رجعت لي عجلتي مرةً أُخرى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾ (١١الإسراء) متعجِّل ويقول: لي مع الشيخ سنين ولم أصل إلى شيء، وهذا من النفس !!!!

تتعجَّل الظهور، وتتعجَّل المشيخة، وتتعجَّل أن يكون لك كيان في المجتمع!

وهذا غير مراد الله!!!

وأنت تريد مرادك.

لكن المريد الصادق يطلب مراد الله فيه لا مراده!

ماذا تريد حتى إذا أوقفك الله بين يديه؟ أريد أن لا أريد:

وكن عبداً لنا والعبد من بما تقضى الموالى

هل يوجد عبد يكون له طلبات ويرى لنفسه حقوقاً مع سيِّده؟ لا، وسيِّده لو حاسبه لن يقدر على هذا الحساب، هل يستطيع أحدٌ أن يُحاسَب على نَفَسٍ واحد من النعم الإلهية الظاهرة والباطنة؟!.

الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه والذي يُضرب به المثل، كان يصلي في الليلة ثلاثمائة ركعة، وكان يصـــوم ولا يفطر إلا كل أربعين يومٍ مرة على تمرة، وبعد انتقاله إلى جوار الله رآه أحد أصدقائه في المنام وقال له: ما فعل الله بك؟ قال: حاسبونا فدقَّقوا ثم مَنُّوا فاعتقوا!!، فلن يصلح أحد بالحساب ولكن بفضل الله ﷻ، قال ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِه، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ.} [23]

فكونك تريد أن يكون لك مقاماً، ويكون لك شهوداً، ولك كذا، فأنت ترى نفسك أنك قدمتَ شيئاً!!!!

وهل عملت شيئاً بدون حول الله وطول وتوفيق الله؟! وأنت كونك تطلب شيئاً فإنك لا ترى فضل الله عليك، ولا إنعام الله عليك، وأنت في نفس الوقت لا تعرف ما الأفضل وما الأحسن لك عند الله ﷻ، فالأفضل لك والأحسن لك هو المقام الأكمل وهو مقام الحضرة المحمدية، ومَن على قدمه من أهل الوراثة المحمدية، وهو مقام العبدية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **(١الكهف)** وما هو هذا العبد؟ ظاهره خلق، وباطنه حق، لا يرى الخلق من باطنه قليلاً ولا كثيراً، مثله مثلهم، وهذا الإعجاز.

ءى ء ء غ ﷺ

ولذلك الناس دائماً تميل للمجاذيب ويريدون أن يشـــاهدوهم، لكن أهل مقام العبودية لا يرى ما بهم إلا أهل الخصـــوصـــية بكشـــف الغطاء من رب البرية ﷻ، فيكشــف لهم عن خصــوصــية هؤلاء القوم لأنه مثلهم مثل الناس، لذلك الأفضــل لك والأحسن لك التسليم، ولذلك قالوا: ((من فاز بالتسليم فاز بكمال النعيم)).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المُسلِّمين لحضرته، والمُسلِّمين لحبيبه ومصطفاه، والمُســلِّمين للصــالحين من عباد الله، وأن يجعل أحوالنا وأفعالنا وأقوالنا وأعمالنا وأموالنا وأبناءنا وزوجاتنا كلها في رضاه، وأن يجعلنا في كل أنفاسنا لا نتوجه إلا إلى الله، ولا نطلب منه ﷻ إلا رضاه، ولا نبغي في الدارين شيئاً سواه، وأن يكُفَّ أبصارنا وأسـماعنا عن النظر إلى عداه، وأن يكلأنا بعنايته، ويرعانا برعايته، ويغنينا بفضـله وجوده وكرمه ظاهراً وباطناً عما سواه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

□



الوصل الثالث

القرب والصفاء

مجالس الصفاء

رمز آدم

الأخوة الإيمانية والصفاء

المجالس النورانية

أدب المجالس

وظيفة مجالس الأحباب

محبة الله للعبد

التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض

الحب في الله



ـ درجات المقربين في الآخرة

طريق محبة الله

العمل لمحبة الله

وجوب المحبة الإلهية

الوصل الثالث: القرب والصفاء[1]

مجالس الصفاء

رمز آدم

خلق الله ﷻ سيدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ...

وكرَّمه وجعله خليفةً عن حضـــرته، وأمر الملائكة أن تســـجد له وأن تعظمَّه وتأتمر بأمره وتتحرك رهن إشارته.

ثم خلق له زوجة يســكن إليها؛ تؤانســـه وتعينه على طاعة الله ﷻ وعبادته، ثم أمره الله ﷻ أن يســكن الجنة: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣٥البقرة) نهاهما عن شـــيء واحدٍ بعد أن أباح لهما كل طيبات الجنة وهي شجرة أمره الله ﷻ أن يبتعد عنها ولا يأكل منها.

ولكن آدم رغم تكريم الله ﷻ له وإعلاء الله ﷻ لشـــأنه أراد الله ﷻ أن يجعله نموذجاً لذريته، ففعل ما يُنتظر فعله من ذريته ليعلمهم الله ﷻ طريق التوبة والأوبة الذي ألهم به آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فأكلا من الشجرة، فكانت النتيجة أنه أُهبط من الجنة إلى عالم الدنيا والمادة والأرض.

[1] [illegible]

هذه القصة هي قصة كل إنسان، فالإنسان كان في عالم الأرواح في عهد يوم ألست بربكم في جنة يشهد فيها وجه المنعم الكريم الفتاح: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف).

كانوا يعيشون في الروحانيات، وعندما أوجب الله ﷻ لكل آدم منا - كل واحدٍ منا صورة لآدم - هذا الجسم من عناصر الأرض، ودخلت فيه الروح وأُهبط إلى الأرض، فقلَّت الروحانية، وتضاءلت الشفافية، وأصبح الإنسان - إلا من عصم ربي - مشغولاً بالكلية بالمظاهر الحسية المادية، واستعمل جوارحه وحواسَّه الظاهرية، ونسي أن له مثلها حواسٌ باطنية إلهية تمتعه بالأنوار العلية والأنوار الملكوتية، والأحاديث مع ملائكة رب البرية، وغيرها من الأمور التي لا تطلع عليها ولا تشعر بها ولا تعيشها إلا النفوس الزكية.

والذي أورده ذلك وجعله يقع في المهالك أنه يأكل من شجرة النفس الأمَّارة بالسوء التي حذَّر الله منها وقال فيها: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ **(٥٣يوسف).**

الأُخوة الإيمانية والصفاء

علم الطبيب الأعظم والحكيم الأكرم ﷺ ذلك فأراد أن يردَّ أحبابه وأصـــحابه وأتباعه إلى يوم الدين إلى حال الصـــفاء وعالم الطُهر والنقاء والبقاء، فوضـــع لهم منهجاً يتخلصون فيه من هذا الجفاء.

وضع أسلوب الأخوة الإيمانية، والمجالس الإيمانية ...

فأمر كل واحدٍ منهم أن يكون له أخوةٌ في الله يجتمعون معه، ومن عنده مصلحةٌ دنيوية فغيره جالسٌ في حضـــرة خير البرية ﷺ، يتلقَّى منه العلوم، ويتلقَّى قلبه منه أنواره، وهي أنوار الحيِّ القيوم، يترقَّى بأحواله، ويتعلَّم من كلامه، ويمشـــي على منواله، وإذا اجتمعوا يسرد كل واحدٍ منهم لأحبابه ما شاهده في غيابه.

ويعقدون جلساتٍ روحانية في مسجد الحضرة النبوية، وكان يدخل ﷺ فيجدهم مجتمعين على ذلك، فمرةً يدخل يجدهم في مجلس قرآن أو مجلس علم:

{ دخل ذات مرة فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فقال ﷺ:" كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ } [٢]

وفي رواية أخرى:

ى غ هغق ه ﷺ

{ كلا الْمَجْلِسَيْنِ إِلَى خَيْرٍ، أَمَّا هَؤُلاءِ فَيُدْعَونَ اللَّهُ، وَيَسْأَلُونَهُ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ وَيُفَقِّهُونَ الْجَاهِلَ، هَؤُلاءِ أَفْضَلُ، بِالتَّعْلِيمِ أُرْسِلْتُ } [3]

ومرةً يجد مجلساً للذكر، ومرةً يرى مجلساً لتعلم التوحيد الذي ورد عن الله ﷻ في قرآنه المجيد، فكان سيدنا عبد الله بن رواحة ﷺ يقول لمن معه: ((تعالوا بنا نتعلم في الله ساعة)).

فكانت هذه المجالس دائمة، ولما انتقلوا إلى البلاد التي فتحوها نقلوا عنهم هذه الأحوال التي تؤدي إلى دوام القرب والرضا من الواحد المتعال ﷻ.

فكان إذا تفلَّت واحدٌ منهم عن هذه الجلسات، أو غاب عن هذه المجالس كانوا يخاطبونه برفقٍ ولينٍ أولاً، ثم يهددونه ثانياً حتى يكون معهم ليدخلوا في قول الله تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) يعني جماعات فلا يدخل وحده، لأن من يدخل وحده فهو الآخر: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ (٩٤الأنعام).

وجاء سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم فوصلوا هذا المنهج النوراني النبوي وجعلوه الأساس لتزكية النفوس، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

تلك النفوس قويةٌ فى فعلها		كم تحجب الأفراد كم
فى الشيب جاهد كالشباب		فالنفس شيطانٌ يبيد

ويقول أيضاً:

نفسي تميل إلى الحظوظ		والقهر والإفساد كل مناها
والجسم آلات لها تسعى به		وبريدها الحسُ الذي

كثيرٌ من الأحبة تركوا العنان للنفس:

والنفس شهوة مطعمٍ أو		أو منكح فاحذر بها الداء

فهذه نفس، وهناك نفسٌ أخرى:

والنفس داعية الرياسة		فرعونها تنجوا من الداء

نفوسٌ موجودة في الإنسان!!!

فمالت النفوس عن حضرة المليك القدوس وشغلت نفسها بالمضمون، ونسيت أن لها يوماً ستكون مع ربها وجهاً لوجه: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤١الدخان).

فركنوا إلى الدنيا، وبدأوا ينسـجون لأنفسـهم الحجج والبراهين في الإبتعاد عن مجالس الأحبة، مع أنها دوماً تحت نظر سيد الأحبة، فإذا نظر إلى مجلسك الذي أنت مُسجَّلٌ به ولم يرك؛ قطع ﷺ عنك مددك وسلَّمك لحظك وهواك.

فتمشي في الدنيا تركض فيها كركض الوحوش في البرية!!!!

ولا تنال إلا ما قُدِّر لك من الدنيا الدنية!!!!!

لكنك تُحرم من العطاءات الربانية، والإمدادات النبوية!!!!

كأنك سرت وراء حظك وهواك، وأعماك ذلك بسيرك في دنياك عن حظوظك العالية التي يريد بها مولاك أن يرقيك وأن يعليك وأن يجعلك دوماً من:

﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء)

المجالس النورانية

فحرص سـاداتنا الصـالحين على هذه المجالس النورانية التي فيها تلاوةً لكتاب الله، والصـلاةً على سـيدنا ومولانا رسـول الله، وأدعيةٌ منتقاة من كتاب الله، وحلقات ذكر تحضرها ملائكة الله السياحين الذين يغشون المجلس ويُقول لهم الله في النهاية:

{ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فيَقُولُونَ : فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }[4]

وسبحان الله!! أرى رجالاً لا يريدون هذه المغفرة كأنهم قد استغنوا عنها، ولا يريدون هذه النظرات التي تطل عليهم من لدن سيد السادات ﷺ كأنهم في غير حاجةٍ إليها، ويزعم كل واحدٍ منهم أنه قد وصل إلى درجات عالية ومناصب راقية فلا يحتاج إلى هذه الأمور الدانية، مع أن ساداتنا الصالحين قالوا لنا أجمعين: ينبغي على المريد حتى ولو وصل إلى مقام الكشف أن يتنزَّل ويجالس إخوانه المبتدئين ليأخذ بأيديهم ويعلمهم.

لا أحد يستغني، ومن يستغني قال فيهم سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

أُناسٌ أعرضوا عنا بلا جُرمٍ ولا معنى
فإن كانوا قد استغنوا فإنا عنهم أغنى

إذا كان الفقير يظن أن إخوانه هم الذين يحتاجون إليه فليعلم أنه قد وقع في خطأٍ كبير يباعد بينه وبين البشير النذير بعد المشرقين، المريد دوماً يقول له الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((مريدنا يطلب الدواء وليس طبيبٌ يستشفى به، وهو جاهلٌ يريد أن يتعلم، وليس عالماً يريد أن يُعلم الناس بعلمه)) يدخل المريد دائماً مهما علا شأنه يريد أن يتعلم ولو من أحد إخوانه.

---

[4] أغ ق ه ه ع غ ﷺ

كان الصـــالحون يتعلمون حتى من الحشـرات، فسـيدنا أبو الحجاج الأقصـري حدث له تعبٌ وملل وكللٌ في طريق الله ﷻ، وكان جالســـاً في ليلة مع الله وأمامه شمعة، فوجد جُعراناً - يعني خُنفسة - تريد أن تصل إلى النور، فتصعد على الشمعة، وكلما اقتربت من النور انزلق قدمها ووقعت، فأخذ يعد لها مائة مرة حتى وصلت إلى النور، فقال: يا أبو الحجاج إذا كانت هذه الحشـرة تجرب مع الله مائة مرة حتى تصـل إلى هذا النور، فما بالك يحدث لك الكسل والفتور وأنت لم تجرب مثل هذه الحشرة؟!! تعلم من الحشـــرة، ويقول إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((من لم يســـتفد من كل كائن فليس بكائن)).

فأنا أُنبِّه نفســـي وإخواني أجمعين: إياك أن تظن في يومٍ من الأيام أن مجلس **الإخوان لست محتاجاً إليه، أو أن مجلس الإخوان لو تركته لن يحدث لك شـيء، بل ســـيحدث لك عقوباتٌ قلبية قد لا تعلمها إلا إذا قيل لك: ﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾ (٢٢ق) فتقول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ (٢٤الفجر).**

هذه المجالس هي التي يقول فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أين؟

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ (٥٥القمر) ومقعد الصـــدق هو الجلوس مع الإخوان في الصدق والصفاء في طلب حضرة الحنان المنان ﷻ.

أدب المجالس

ومجالس الصدق هذه ينبغي أن تكون كما علَّمنا ساداتنا، فبعد صلاة العشاء إذا جاء حتى رجلٌ واحد نبدأ فوراً المجلس، فلا تستطرد في أحاديث جانبية حتى يحضر فلان أو علان، لا بل نبدأ المجلس، إذا انتهى مجلس الصـــلاة على حضــرة النبي نبدأ مجلس الذكر والقرآن.

والأخ الذي يعطي درس العلم لا يطيل، كان إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه يقول لنا: ((لِأن نتركهم راغبين خيرٌ من أن يتركونا زاهدين)) فالحكمة تحتاج إلى القليل، والدرس إذا كان يحتاج إلى إطالة، نقســـمه إلى حلقات، لأن الإخوان منهم من عنده مصلحة، ومن عنده أمرٌ ضروري، فلا تثقل عليهم.

لو أن عندك البوصـلة النورانية فسـتسـتريح، لكن ليس عندك البوصـلة فقسِّـم الدروس واسـترح، لأنه لو عندك البوصـلة فعندما يقف التيار تقف عن الكلام، ولكن ليس معه البوصـلة فلا يزيد الدرس عن عشـر دقائق، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة، شيء مركَّز بسيط يستفيد به الأخ، حتى لا نطيل على الناس ونجعل الناس لا تحضر أو لا تأتي.

وبعد الدرس نسـمع قصـيدة لنروِّح عن القلوب، ثم الفواتح، ثم ينقلب كلٌ إلى عقبه حتى نقوم الفجر لنصلي لله ﷻ.

ليس عندنا في المجالس وقتٌ للقيل والقال، ولا الكلام في السـياسـة، ولا الكلام في شـئون الدنيا، لكن إذا كانت مصـلحة لأحد الأحباب فلنناقشـها في وقت قصـير فلا مانع، فالمؤمن طبيعته الصمت، وأول أدب من آداب المسلم:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [٥]

فلا أسـأل أحد عن حالاته الخاصـة مع زوجته وأولاده، إلا إذا عرض عليَّ أمر من هذه الأمور أجيبه باقتضـاب قصـير، لكن لا شـأن لي بما بينه وبين زوجته وبين أولاده، فهذه ليس من دعوة الله ﷻ، دعوة الله أن تعلمهم أدب من آداب كتاب الله، أو سُـنَّة من سـنن رسـول الله، لكن لا تتدخل فيما لم يأذن لك بالتدخل فيه، في أي أمر، فأنت ليس مسئول عن هذا؟!!.

ء غ هه غ ء غ ﷺ

أنت مندوب عن الحضــــرة المحمدية فيكون كل كلامك في الأمور المحمدية الإلهية الشــــرعية، لا تســــأل عن الأحوال الخاصــــة لفلان ولا علان وهذه بدايات المبتدئين:

{ **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ** } [٦]

هذه الأمور تشغل المبتدئين، وبها يُحجبوا حجاباً مطلسماً عن طريق الصادقين، لكن الإنســـان الصـــادق مع الله يســـأل عن كيف كان رســـول الله ﷺ يعمل هذا الأمر؟ وأصـحاب رسـول الله كيف كانوا يفعلون هذا الأمر؟ والصـالحين كيف كانوا يتناولون هذا الأمر؟.

وظيفة مجالس الأحباب

ولذلك مجالس الأحباب فائدتها أننا نذكر فيها هذه الأشياء، نستعرض فيها شيئاً من كتاب الله لنعمل به، ونستعرض فيها شيئاً من هيئات وأقوال رسول الله لنتشبه به، ونسـتحضـر فيها أحوال الصـحابة والتابعين أو السـلف الصـالح من الأولياء والعلماء العاملين حتى نتعلم منهم.

ئ غ ه ه غ ء غ ﷺ

ونبدأ في هذه المجالس بالأوراد لنزكي أنفسنا، لأن كل المشاكل تأتي من عدم تزكية النفوس، فنعمل الأعمال قبل تزكية النفس، فلا نحس بخشوع في الصلاة، ولا نحس بصفاء، ولا نحس بنقاء، ولا نحس بفتح ولا إلهام، لأن النفوس غير صافية.

أول خطوة يفعلها الإنسان أن يزكي نفسه وأن يطهرها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (٩الشمس) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ (الأعلى) فإذا صلى يجد الخشوع والخضوع وتنزل عليه الإلهامات في الآيات التي يسمعها أو يقرأها، ويأتيه الإلهام من الله حتى في الأشياء المشغول بها، فإذا كان يشغله أمر يأتيه الإلهام في الصلاة فيحل له كل هذه المشاغل.

إذاً لا بد من تزكية النفس، ولذلك الأوراد وهذه المجالس لتزكية النفس: ((زَكِّ نفسك قبل السماع تُشرق عليك أنوار الكلام)) لذلك عليكم بالأوراد، ومن ترك الأوراد فليرجع لها:

وأديموا لذكر الله فالذكر لأهل الهدى والغير لا شك

من ترك الجماعة ومجالس الجماعة فليعلم أن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالبعيد عن الجماعة فإن نفسه ستركبه، وستسيره كما تريد، ولن يأخذ منها شيئاً، وسيخرج وقد خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله ﷻ.

محبة الله للعبد

كلنا نريد أن يحبنا الله، فماذا نفعل حتى يحبنا الله؟ هناك أمر وارد في الأحاديث القدسية الواردة عن حضرة الله، والتي رواها سيدنا رسول الله ﷺ يوضِّح طريقين لنيل محبة الله ﷻ.

التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض

الطريق الأول:

التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي الصحيح:

{مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ} [7]

إذاً من يُرد محبة الله لا بد أن يحافظ على الفرائض أولاً، وبعد ذلك النوافل، لقوله ﷺ لسيدنا عبد الله بن مسعود عندما سأله: يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ قال:

{الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [8]

فالصلاة هي الأساس الأول، بعد ذلك يتقرَّب إلى الله بالنوافل، فالنوافل ستكون تكملةً للفرائض، لأنه لن يُوفِّي الفرائض، فتحتاج للنوافل لتكملها.

ئ غ قهﻫ ن ء غ ﷺ

ؤغ قهه

سيؤدِّي الفرائض في وقتها، لكن لن ينال رضا الوالدين، فكل الطُرق الظاهرية والباطنية والأُخروية مغلقة أمامه، يريد أن يفتح الله له الباب، فرضا الوالدين به تُفتح كل الأبواب.

بعد ذلك يكون بالنوافل، من قيام الليل، وصيام الأيام الفاضلة، وصلاة الضُحى، وتلاوة القرآن، وأنواع الأذكار، والصلاة على النبي المختار، والاستغفار، وأقواها وأعلاها وأرقاها الإنفاق والتصدق.

وباب الإنفاق وقف كثير من الناس في زماننا عنده، وليس عندهم استعداداً ليفتحوا أيديهم، مع أن الله قال في القرآن بصريح العبارة: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر) ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٣٨محمد) ليس على نفسه، ولكن (عن نفسه)، وهذا يدل أن نفسه من داخله بخيلة، فهذا لا ينتظر كرماً من الله، والله ﷻ قال في حديثه القدسي:

{ **يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ** } [9]

لا تريد أن تنفق فكيف يعطيك؟!!

وهذه هي المصيبة التي وقف عندها كثير من العباد وأصحاب الصالحين، يُنفق على أولاده بما لذَّ وطاب، وكلما رأى شـيئاً يشـتريه، ويقول: لا أريد أن أحرم الأولاد من شيئ، فيشتري هذا وهذ،ا ويلقون في البطون .... والبطون تُلقي .... والباقي يلقون به في المذابل!!!

وتسأله شيء للآخرة، فيقول لك:

من أين؟ ليس معي وليس لي شيء، وأنا مدين .!!!!

هذا ليس له نصيب في محبة الله ﷻ.

فأول طريق لمحبة الله هو:

طريق النوافل والسنن، وإذا قَبِلها الله فماذا يفعل؟

((حتى أُحبه)).١٠

ؤغ ق ه ه ء غ ﵁
ةىقغ أغه ف غ غخ

الحب في الله

الطريق الثاني:

يقول فيه الله ﷻ في الحديث القدسي:

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [11]

ووجبت ليست بين بين، ولكنها هنا مؤكدة فهذه غير الطريق الأول، فهناك (حتى أحبه)، ولكن في هذه يقول فيها: (وجبت محبتي) يعني انتهى الأمر، لمن فيه هذه الشروط.

(للمتحابين فيَّ) حبٌ لله، لا لدنيا، ولا لغرض، ولا عرض، ولا مصلحة، ولا لمنفعة، وإنما لله ﷻ.

وشرط الأخوة لكي تتم لابد: (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) لا بد أن أُوفِّي بهذه الشروط، أنا أُحب هؤلاء القوم الصالحين، ولكن نفسي تجعلني غير قادر على زيارتهم، فبذلك لا أكون منهم:

من كـان منـهـم يـرأهـم		ويفوز منهم بالصفا ويوالى

أنا أُحب هؤلاء القوم ولكني أُحب الجنيه، وأُحب أن آخذ منهم نفحة، ولكن لا يهون عليَّ أن آتي بنفحة ولو مرة واحدة، فكيف لي أن أطلب نفحات الله، ومن أين تأتني وأظن أنني أخدعهم؟!! أنا أخدع نفسي: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (٩البقرة).

أنا أحبهم، ولكني أُحب أن أجلس إلى الفيس بوك ساعتين أو ثلاثة، وألعب هنا، وألعب هناك، وهؤلاء القوم لو جلستُ معهم يقولون لي: تعال نصلي على رسول الله، أو نذكر الله، أو نسمع درس علم، وأنا مشغول عن ذلك بالفيس بوك فهو أهم عندي من هذا كله!!.

فهل أنا منهم في هذه الظروف؟ لا، وهذا ما جعل الصالحين عملوا اقتداءً بسيد الأولين والآخرين مجلساً في كل بلد، يجتمع فيه المحبون ليحظوا بهذا الحديث ومدده، يجلسون مع بعضهم، ويزورون بعضهم، وإن كنت أرى أن زيارة بعضهم هذه قد وقفت قليلاً، بماذا انشغلوا؟ ﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا ﴾ (١١الفتح).

مع أنها التي ستساعد الإنسان على التخلص من المشاغل، فالإنسان إذا نزلت به شغلة وتورَّط فيها ولا يستطيع الخروج منها، فيجلس مع الأحباب ويسألهم أن يدعوا له ويقرأوا له الفاتحة ليتيسَّر له هذا الأمر، فيتيسَّر.

فيستعين بدعاء إخوانه الصالحين على تيسير هذا الأمر، ويزورون بعضهم، ويودون بعضهم، ويساعدون بعضهم في البذل، فلو كنا في مكان عددنا عشرة أفراد فكل واحد عليه النفحة مرة، فنساعد بعضنا على البذل، فأنت عليك النفحة هذه المرة، والآخر عليه المرة التالية وهكذا.

وما مقدار هذه النفحة؟ ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٧الطلاق) فكل واحد يأتي بما يستطيعه، ولا فرض على أحدٍ بما لا يستطيع، مثلاً لو أتي أحدنا بقطعة حلوى صغيرة فلا مانع، فهذا حسب طاقته، أو كعكة صغيرة فلا مانع فهذه طاقته، أو لكل واحد سندوتش فلا مانع، فكلٌ حسب طاقته: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢٨٦البقرة) المهم أن يبذل كل ما في وسعه، والجهاد بذل ما في الوسع.

إذا الإنسان نفَّذ هذا الحديث بمحتواه، فوراً أوجب الحق على نفسه - ولا يُوجب عليه شيء - - حبه ورعايته وإمداده بما يحبه الله ويرضاه.

إذا كان الحب لله لا لعلة ولا لغرض، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وهذا الكلام ترونه ومنهم كثير معنا، نجد أن أحدهم يمشي معنا سنة وسنتين أو عشر سنين ثم ينقطع، فتسأل: أين فلان؟ يقولون: لقد أخذ ما يريد وانتهى الأمر، كان يصحبنا للمصلحة الفلانية وأخذها!! هذا لم يأت لله.

فلو كانت صحبته لنا لله لداوم عليها، ولماذا ينقطع؟ فمن جاء لله لا ينقطع أبداً، لكن من جاء لمصلحة وانتهت المصلحة فلماذا يأتي مرةً ثانية؟! فالمحبة لله لكي تدوم في الدنيا ونكون في الآخرة يوم لقاء الله ندخل في قول الله في الآخرة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) أي جماعة، وماذا عن الجنة؟ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) أيضاً جماعة مع بعضنا ولن نترك بعضنا أبداً.

إنسان مشى معنا ثم خدعته نفسه وغافله الشيطان ووسوس له، يجب أن نسأل عنه: فنقول: يا رب إن فلاناً كان معنا وملازماً لنا، فيقول لنا: إنه لم يعمل بعملكم، فنقول: يا رب إنا كنا نعمل لنا وله - يعني خذ رصيدنا ووزِّعه علينا كلنا - فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة كما ورد بالإحياء للإمام الغزالى:

{ قيل : إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له : ادخل الجنة ، فيسأل عن منزل أخيه ، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله ، فإن قيل له : لم يكن يعمل مثل عملك ، فيقول : إني كنت أعمل لي وله ، فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ، ويرفع أخوه إلى درجته }[12]

ن ـــ ط نغ ط عن ن ن ه غهق

ه ، وأقل المجالسـة أننا نجلس معاً كل أسـبوع مرة، فإذا لم نجلس معاً كل أسـبوع مرة فما فائدة الأخوة؟!! فقد كان أحباب الصـالحين الصـادقين لا يفوتهم يوم إلا إذا جلسوا مع بعضـهم، فإذا غابوا عن بعضـهم يوماً يسـألون: أين فلان؟ وأين فلان؟ وما أحواله؟ وماذا جرى له؟ لأن هذه الجلسـة تُسـجَّل عند حضـرة الله، وعند حضـرة النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝ ﴾ (القمر).

أنا عرفت اليوم الذي نجلس فيه، فأُعرِّف كل من حولي وكل من لي أن هذا اليوم أنا مشـغولٌ فيه، فمن كان له مصـلحة أقول له تعالى في يومٍ آخر لأنني مشـغولٌ في هذا اليوم، لأن هذا يومٌ لله، أفلا نسـتطيع أن نجعل لنا ليلة في الأسـبوع؟! كلنا ماذا بقي لنا من أيام الدنيا؟ والبركة في حُسـن الختام، وإنما الأعمال بخواتيمها، فماذا ننتظر؟!.

ىى غ ظ م غ ظه م غ ع غ م هق ة م ط ن! بخ غ غ ن!
ع ع ظع ه ظع قه ظ ن! غ لح ن! ع ه عخ غ ن ه ظ خ
غ ش

جاء لي ظرفٌ طارئ وضروري، أتصل بالأحباب ليعذروني ويدعون لي لهذا الأمر، فتكون الرابطة مع بعضها.

لكننا الآن كل واحد منا يترك نفسه على هواه ويحضر في الوقت الذي يعجبه، وإذا لم يحضر لا يعتذر لأحد وليس له شأنٌ بأحد، إذاً أنت لستَ محسوباً عليهم، ولست في الفصل، ولست معنا في مدرستنا والتي يقول فيها الله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

لكن لا بد لكل واحد أن يكون له يوماً على الأقل كل أسبوع، فيكون مع أحباب الله، وماذا يفعلون؟ يصلون على رسول الله، ويقرأون ما تيسَّر من آيات كتاب الله، ويجلسون مجلس ذكر حتى ينطبق عليهم قول النبي ﷺ:

{ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ } [13]

فيخرجون من هذا المجلس وقد غفر الله ﷻ لهم، ويسمعون من أحدهم ما أفاض الله على قلبه من كلمة حكمة أو درس علم ولو صـــغير، فيخرج الواحد منهم وقد نال شُحناتٍ روحانية تقيه من الأمراض العصرية والتي سببها الرئيسي التوترات النفسية والإرهاقات العصرية.

نلت جلسة تقوِّي روحانيتي لهذه الأشياء، واستعنت بهؤلاء على الله لكي يقضي حاجاتي ويستجيب دعواتي، فهذا وضعنا، فلا بد للمتجالسين فيَّ.

ونحن شباب لم نكن نهدأ، كنا نزور إخواننا في كل مكان، لماذا؟ لأن النباتات لا يوجد ما يُقوِّيها ويُنميها ويُحلي ثمارها إلا التلقيح، وهذا التلقيح لا يأتي إلا من الرياح، فتحمله من هنا لهناك، فهي نفس الحكاية، فما الذي يُقوِّي روحانية الإنســـان؟ عندما يُكثر من زيارة الإخوان في شتَّى البُلدان.

لكنه مغلق على نفســه، فأنت كما أنت لا تريد أن تذهب هنا أو هناك، فتظل نباتاً ضــعيفاً يأكلك الشــيطان، أو لا تســتطيع أن تقف أمام مكائد النفس والشــيطان، لأنك ضعيف من الناحية الشكلية.

ى ھ ه ء غ رضي الله عنه

فنجعل دائماً الزيارات مع بعضـــنا، لكي نفوز بمحبة الله، فيخرج الواحد منا من الدنيا وقد أحبَّهُ الله، فإذا أحبه الله فياهناه، وإذا أحبه الله فيكفيه أن الله سيحاسبه بالفضل وليس بالعدل، ليس كالآخرين الذين يمشـــون على الصـــراط، ويقفون على الميزان، ويكون حسابهم شديد، لكن الحبيب لله حسابه فيما بينه وبينه، وهذا إذا كان سيحاسبه حساباً يسيراً لأنه حبيبٌ للعلي الكبير ﷻ.

يجد هناك كثيراً من الشفعاء كلما وقع في أرض الموقف في بلاء، فهذا يقول: يا رب من أجلي، وهذا يقول: يا رب من أجلي، ولذلك قال حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ " قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [١٤]

تجد شـفعاء كثيرين، فكلما وسَّـعت الدائرة كلما أكثرت من الشـفاعة، فلان مع فلان، وفلان مع فلان، وفلان مع فلان، وأعظمهم وأكرمهم النبي العدنان ﷺ.

أئ غ غ ه رضي الله عنه

فهذا هو السـبب الرئيسـي الذي دعا من أجله الصـالحون إلى إقامة المجالس، مجالس الصـلاة على حضـرة النبي، ومجالس ذكر الله، ومجالس العلم في البلاد لنفع العباد الذين يريدون أن يُقال لهم في الميعاد: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الزخرف) من هم هؤلاء؟ الأخلاء المتقين الذين تحابوا في الله، وتوادُّوا في الله، وكانت اتصـالاتهم وعلاقتهم كلها في الله ولله جل في علاه.

درجات المقربين في الآخرة

الناس مشغولة بالدرجات الدنيوية، والمناصب الفانية، وكل إنسان يبحث له عن شخص مسئول حتى يرتقي في مناصب الدنيا !!!

وبعد أن يصل إلى ختام المناصب سيتم إحالته إلى التقاعد أو عزله، وهل يوجد أحدٌ دام في منصبٍ من مناصب الدنيا؟ لا.

لكن المناصب الباقية يلفت الله ﷻ نظرنا إليها في آيات القرآن، لماذا تريد أن تكون في الدنيا مدير عام، أو رئيس مجلس إدارة، أو نائب في مجلس النواب، أو كذا أو كذا، ولست ملتفتاً للدرجة التي تريدها عند الله في الدنيا وفي الآخرة؟! مع قول الله:

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران).

عندما تتأمل في الآية: لم يقل الله (لهم درجات عند الله) ولكن هم أنفسهم درجات، درجات في مقام العندية، وهناك أناسٌ في مقام اللدنية، وآخرين في مقام المعية، وهؤلاء كلهم الذين قال فيهم الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الواقعة).

في أى شيء سابقين؟ سابقين في حُسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه، سابقين في الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال، وجعلوها كلها لله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (الأنعام) سابقين في التخلق بالأخلاق النبوية والقرآنية التي يحبها الله، سابقين في التعلُّق بحضرة الله وبحبيب الله ومصطفاه ... هذا هو سبقهم، والإشارة إليه في قول الله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (الواقعة).

ولأن هؤلاء منهجهم راق وعالي قال الله تعالى فيهم: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الواقعة) لم يصلوا إلى حتى ثُلة، لكن الدرجة الأعلى منهم وأهل اليمين قال الله فيهم: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الواقعة).

فيُعرفنا الله ﷻ أن هؤلاء القوم عزيزون، لهم عزّة ومعزَّة عند رب العزّة ﷻ، حتى نحرص أن نكون معهم أو منهم، إما معهم ونتهنَّى بالهناء العالي الذي يتهنون به، أو منهم ليكون لنا نصيباً من الإرث النبوي والفضل الإلهي الذي عمَّهم الله ﷻ به: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين) وهذا التنافس كان يتنافس فيه أصحاب رسول الله، والصالحين من عباد الله من بعدهم إلى يوم الدين.

طريق محبة الله

ما ملامحهم؟ وما ملامح غيرهم؟ نســـأل القرآن: ملامح المقربين الأســـمى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ **(٢٨الكهف)** لا يريـدون غير وجـه الله جل في علاه.

وعندنا طريقين يؤديان إلى محبة الله، الطريق الأول إسـمه طريق العمل المنزَّه عن العلل، والطريق الثاني اسـمه طريق الفضـل الإلهي، ولكي يحبني الله ماذا أفعل؟ نسأل الله: يقول رب العزة ﷻ في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ } [١٥]

لا بد وأن أحافظ على الفرائض في وقتها في جماعة في بيت الله، ولا أتلمَّس لنفسي أى عُذر، سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

{ سأل رسول الله ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ ﷺ : الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا } [١٦]

أين؟ في الأماكن التي خصَّصها الله لأدائها في بيت الله، فلو كان من يصلي في بيته كمن يصـــلي في بيت الله لصـــلَّى كل واحد منا في بيته وانتهى الأمر، لكن هناك حديث لسيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه:

ئى غ ق ه هـ ن ء غ رضي الله عنه

ئ ى غ ق ه هـ

{ صَــلاةُ أَحَـدِكُمْ فِي جَمَـاعَـةٍ تَزِيـدُ عَلَى صَـــلاتِـهِ فِي سُـــوقِـهِ، وَبَيْتِـهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً }

الله ﷻ ينــادي فلا بـد وأن أجيـب: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ (١٠إبراهيم) هل أقول له: انتظر بعد نصــف ســاعة؟ أو انتظر بعد ســاعة؟ وهو الذي قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء).

وأصحاب رسول الله كانوا كما يُروى عنهم: كان من يتأخر عن تكبيرة الإحرام يعزُّوه ثلاثـة أيام من الفضـــل الذي حُرم منـه، ومن تفوتـه الجماعـة الأولي يعزُّوه أســبوعاً، فأين نحن منهم؟! ألا نريد أن نكون مثلهم؟! فهذ فضــل الله، حتى قال سـيدنا عبد الله بن مســـعودٍ ﷺ: أتى علينا زمانٌ ما كان يتخلف عن الجماعة إلا منافق ظاهر النفاق.

والمؤمنون درجات، منهم من يريد أن ينال درجة الرضــوان، فهذا من يُصــلي في الوقت الأول، ومنهم من يريد درجة المرابطين، فهذا من يذهب إلى المسجد مبكراً قبل الصلاة بقليل وينتظر الآذان وإقامة الصلاة، قال ﷺ:

{ أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ }[17]

ومن يذهب في نصف الوقت فهذا في رحمة الله، ومن يذهب في آخر الوقت فهذا في عفو الله جل في علاه، فهل يستوي هؤلاء وهؤلاء؟

العمل لمحبة الله

إذاً المؤمن الذي يريد محبة الله عليه أولاً أن يحافظ على الفرائض في أوقاتها في جماعة في بيت الله، إلا لعُذرٍ شرعيٍ موجودٌ بنصِّه وفصِّه في شريعة رسول الله، فلا يكلف نفسه الأعذار، ولا يتلمس لنفسه الأعذار!!!

لا بد وأن يكون عذراً شرعياً وهو يعرفه.

لكن أنا جالس في البيت، ولست مشغولاً بشيء، فما الذي يؤخرني عن صلاة الفريضة في أول الوقت في جماعة في بيت الله؟! ولو كنت أتكلم مع فلان الذي جاء ليجلس معي، أقول له: هيا لنصلي أولاً وبعدها نكمل الحديث، وأصحابي وغيرهم يعرفون عني ذلك، فمن وافقني فلا مانع، ومن خالفني فلا داعي لصحبته، فلا تصاحب إلا من يعينك على طاعة الله.

ئى غ ن خ

فليس لي عذرٍ أن أتخلَّف عن الجماعة، إلا إذا كنت مثلاً في القطار ولكن عندما أنزل من القطار أصلي فوراً، ولا أقول حتى أصل إلى البيت لأنني لا أضمن ذلك، فأُصلي في الوقت الذي أملكه سواء في الطائرة أو في غيره.

أو طبيب يُجري عملية لإنسان فلا يتركه ليصلي لأن له عذرٌ شرعيٌّ، أو أنا موظف في مكتب ومسموح لي بالصلاة فلِمَ لا أُصلي؟ ولكن أُصلي على قدر الصلاة حتى لا أُعطِّل مصالح الخلق، فلا أقوم للوضوء قبل الوقت بساعة، وأقرأ قرآن وبعد الصلاة أعمل درساً أو أسمع درساً لمدة ساعة ومصالح الناس معطَّلة.

فمن يصلي في العمل يكون في الجماعة فقط، فيكون جاهزاً بالوضوء وعندما يسمع الإقامة ينزل فيصلي وبعد السلام يُصلي ركعتي السنة ثم ينصرف فوراً للعمل.

فلا يوجد عذر لأهل المحبة في ترك الفريضة في حماعة في أول الوقت في بيت الله ﷻ، فما عُذرك عندما تقف أمام رب العالمين؟ فيُقال: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٣٦المرسلات) وما عذر المؤمن يأتي للمسجد يوم الجمعة والخطيب على المنبر؟ ما عذره؟ وأمر الله صريح: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ (٩الجمعة) اترك كل ما في يدك واذهب للجمعة، وبعد الصلاة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (١٠الجمعة).

لكن ما الذي يجعلني أدخل بعد صـــعود الإمام للمنبر؟ وبعد ذلك يقول: لماذا لا يحبني الله؟! أنا أريد أن الله يحبني، فهذا هو الطريق:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ } [18]

وبعدها:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ } [19]

أحافظ على أداء الفروض في وقتها فقد ضــمنتُ أنني أديت الفريضــــة، لكن أصــلي في الجماعة ووُجد في الجماعة رجلٌ صــالحٌ يتقبل الله صــلاته فيقبل صــلاة الجميع من أجله، فأكون قد ضــمنت القبول، فما أُصـــليه قبل أو بعد فهو نوافل، لكن صلاتي وحدي بمفردي فتُوزن الصلاة:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلا عُشْرُ صَلاتِه تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا } [20]

آخذ النصف أو الثُلث أو السُدس، ويوم القيامة يقول رب العزة:

{ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ } [21]

فإن لم يكن له تطوع فلن يكمل له الفريضة، ولا ينال فضل الله ﷻ.

ؤى غ ق ه هـ ن ع غ ﵁

ؤى غ ق ه هـ ن ع غ ﵁

ةى ع قهة هـ ق ق

ى ى غ ه هـ قهة ع غ ق

هذه طريق تحتاج أهل الجِدّ والإجتهاد وأهل الإلتزام بمنهج أهل القرب والوداد والأفراد الذين مشوا على منهج الحبيب المختار وأصحابه المجملين بهذه الأنوار.

وهناك طريق آخر لمحبة الله، وهذه بفضـــل الله، لأن الطريق الأول يقول فيه الله: (حتى أُحبه) يعني جائز أحبه وجائز لا، لكن هذا الطريق يقول فيه:

وجوب المحبة الإلهية

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٢٢]

يحبون بعضـــهم لله، لا لعلة ولا لغرض، وحضـــرة النبي ﷺ قال عنهم أنهم أولياء، قال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

ىى　غ　ه　ة　رضي الله عنه

لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [٢٣]

فعلامة الذين شـملهم الله بفضـله، ويحبهم ويمنحهم وصـله؛ الحب لله، لا لعلة، والعلة أننا نريد أن نجلس مع بعضـنا لنأتنس ببعض، فهذه علة، لأن المؤمن لا يأنس إلا بالله، أو بكتاب الله أو بالحديث الطيب العذب عن أحباب الله من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين، فلا أأنس بالأحاديث الدنيوية، لأن الدنيا مَيْتة، وذكر الميتة يأتي بالروائح العفنة، قال ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ جِيفَةٍ } [٢٤]

لابد أن يُعطِّر المجلس بذكر الله، أو بآية من كتاب الله، أو بالصـلاة على حبيب الله ومصطفاه ﷺ، فالحب يكون أولاً لله، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ } [٢٥]

هؤلاء القوم كل عبادتهم قلبية، يصححون النية أنهم لا يعملون عملاً إلا إذا كان لله، إن كان عمل الجوارح، أو عمل اللسان، أو عمل ما يملكه من فضل وخير الحنان المنان، فكل ما يعمله يكون في الله وبالله ﷻ.

ءى ء ء غ ه رضي الله عنه
أى غ ن هـ ق
ئى ء قهةهـ غ ء ع ق

هذا الحب له علامات وبراهين ودلالات، ما هذه الدلالات؟ أننا نحب بعضنا فنجالس بعض، وما الذي جعل الصالحين يعملون جلسات لذكر الله وتلاوة كتاب الله والصلاة على رسول الله في الأسبوع مرتين أو مرة على الأقل؟ ليحققوا الحديث، وندخل في المتجالسين فيَّ، لماذا يجلسون مع بعض؟ لنقرأ كتاب الله، والصلاة على رسول الله، وذكر الله وسماع العلم فكلها لله.

فمن يقول أنا مشغول ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (١١الفتح)، فالله نعى على هذا في القرآن: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١الفتح).

ألا تستطيع أن توفر ساعة في النهار مع الله؟ فأنت طوال النهار مع نفسك، أو مع أهلك وولدك أفلا تستطيع عمل ساعة في الأسبوع لله وتحافظ عليها؟! والمعارف والأحباب عندما يعلمون أن هذا الوقت لا أُفرِّط فيه سيبعدون عني من أنفسهم.

كنا في البداية يأتيني أحد في اليوم الذي حددته لله فيقول: لي مصلحة ما يوم كذا، أقول له: في هذا اليوم لا، فمرة والثانية والثالثة والرابعة يعلم أن الأمر جدٌّ فلا يأتي لي في هذا اليوم، فيسألني: هذا اليوم تخرج فيه؟ أقول له: هذا اليوم لا أخرج فيه.

فلا بد وأن تكون أنت صـــاحب عزيمة، تريد أن ترى فلان، وهذا الذي حددته، فهل فلان أولى أم الجلوس مع الرحمن؟ قال الله:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي } [٢٦]

هل أســـتكثر على نفســـي الجلوس مع الله؟! لكن لا بد أن نجالس بعض، فإذا جالسنا بعضنا فلا بد أن:

{ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ } [٢٧]

فالدرس ليس كل شـــيء، فنعمل جدولاً لنتزاور فيما بيننا، اليوم نزور فلاناً، وغداً نزور فلاناً، ونتفقد أحوال بعضنا، ونعين بعضنا: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ** ﴾ **(٢المائدة)**.

اليوم نقول: يا أهل البلد تعالوا نزور إخواننا في البلد الفلانية، وهذا ماكان يحدث في الزمان السابق، فلماذا تركناه؟ وماذا لو جعلنا يوماً في الشهر لهذه الزيارة؟ نجتمع عند فلان في بلده على الخير والبركة لكي ننفذ:

٢٦ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن علي بن أبي طالب ﷺ
٢٧ صـــحيح ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَعِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّـــهَدَاءُ " . قِيلَ : مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟ قَالَ : " هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلا أَنْسَـــابٍ ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، ثُمَّ تَلا: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ سورة يونس آية ٦٢

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ }[28]

أنا رأيت بعض الفقراء الأميين في بدايتنا وكنا صـــغار، كانوا يتنافســـون في النفحات أي الطعام والشـراب الذي يُقدَّم لإخوانهم في مجالس الذكر والحضـرات، أما الآن تجد الكل ينســحب ويتراجع وهو يأكل ما لذَّ وطاب، ويُنفق بغير حســاب، وعند تقديم نفحة لله تقول له نفســـه: تعالى إلى أين أنت ذاهب؟ فهؤلاء غير محتاجين ولا يســـتحقون، ســـيدنا علي قال: ((لأن أُنفق درهماً على إخواني، خيرٌ من أن أُنفق مائة درهم على الفقراء والمســـاكين، ولأن أُنفق مائة درهم على إخواني خيرٌ من أن أعتق رقبة)).

أنت تريد أن تعمل بحديث: (والمتباذلين فيَّ) فلمَ لا تبذل؟ فما الذي اســتفدته من العلم الذي تعلمته؟ لا شيء أبداً.

عندما ننفِّذ الشـــروط الأربع مع المحافظة على الفرائض في وقتها فعلى الفور فستشعر وتُحسُّ ظاهراً وباطناً في نفسك وفي قلبك وفي روحك وفي مالك وفي ولدك وفي وقتك وفي كل أحوالك بفتح الله ورضوان الله وحب الله ﷻ.

ؤى غ ه ة رضي الله عنه

تجد عناية الله تحيط بك من كل الجهات، وتوفيق الله ﷻ معك في كل الحركات والسكنات، وتأييد الله ﷻ لك في كل الأعمال، وصلاح الأحوال من الله ﷻ يأتيك بما لا يخطر على البال، لماذا؟ لأنك عملت بحديث الله الذي ذكره لنا رسول الله:

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٢٩]

وهذه هي التي جعلت أهلينا القدامى يسارعون إلي ذلك، ولذلك كنت تجلس مع أحدهم فتسمع منه رؤيات كأنها كرامات، وتشعرك أن معه أحوال الصالحين الكُمَّل، يقول لك: في المنام الفلاني رأيت كذا، وفي الليلة الفلانية رأيت كذا، والآن تسأل: ماذا رأيت يا بني؟ يقول لك: لا شيء، لماذا؟ لأنه يعيش في الدنيا ونائم فيها، ومشغول بها، فماذا يأتيه في المنام غير الدنيا والكوابيس؟!.

نسأل الله ﷻ أن يُبلغنا جميعاً هذه الأمنية، وأن يجعلنا من أهل حضرات القرب من حضرته، وأن يجعلنا من أهل قربه ومودته، وأن يشملنا بعنايته وحفظه وصيانته، وأن لا يتخلى عنا بفضله وجوده ورحمته طرفة عين ولا أقل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

ؤى غ ه ة ﷺ



الوصل الرابع

الجهاد المُوصِّل

وجاهدوا في الله حقّ جهاده

داعي العناية

اصطفاء الله لعباده

أنواع الجهاد

جهاد العدو الخارجي

العدو الداخلي

جهاد النفس

الاستجابة لله ولرسوله

دسائس النفس الخفية

الوصل الرابع: الجهاد المُوصِّل[1]

وجاهدوا في الله حق جهاده

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي اصطفى نفراً من عباده، ورباهم على عينه، ورزقهم حسن الاقتداء بحبيبه وصفيه سيدنا محمد ﷺ، وأعانهم بفضله ومنه وجوده وكرمه على جهاد أنفسهم حتى إليه وصلوا، وبه اتصلوا، وفتح الله ﷻ عليهم فتوح العارفين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، والصلاة والسلام على السراج المنير، والشمس التي هي كالضحى في قلوب العارفين، والروح الهفهافة التي تغمر أفئدة السالكين، سيدنا محمد الحصن الحصين لنا في الدنيا، والشفيع الأعظم لنا يوم الدين، وآله وصحبه أجمعين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) هذا خطاب من الله ﷻ لكل من يرغب أن يدخل في دائرة الاصطفاء، فإن الله اصطفى قوماً في الأزل القديم، قبل خلق الخلق، وقال فيهم في قرآنه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ (آل عمران).

[1] ى غ ق ه غ ءى ﻨ ئ ء ئى م ئخىلخ ئى ةى ﻨ

وحتى لا يظن نفر من المسلمين أو المؤمنين بأن فضل الله ﷻ الكبير قاصر على هؤلاء المصطفين فإن الله ﷻ وسَّع دائرة الاصطفاء، وفتح الأمر وجعله ممدوداً إلى يوم العرض والجزاء، وقال فيه سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِى ﴾ (٧٥الحج) وكلمة (يصطفي) بالمضارع المستمر أي أن الاصطفاء ما زال مستمراً في يومنا هذا وبعد يومنا هذا إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (٧٥الحج).

ومن عجيب أن الله ﷻ لم يقل (من المؤمنين) أو (من المسلمين) بل قال: (ومن الناس) لأن العبد قد يكون في ظلمة ظالمة؛ في ظلمة الكفر، أو في ظلمة البعد، أو في وادي الصد والهجران، ويريد الله ﷻ أن يُخرجه من ذلك إلى حيث الكرم والجود والإحسان من حضرة الرحمن، فيتفضل عليه ﷻ بعطاءه وهو في هذه الظلمات، ويُخرجه من الظلمات إلى النور: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (٢٥٧البقرة) الظلمات كثيرة، والنور واحد.

وقيل في ذلك: ((قطرة من بحر جودك تجعل الكافر ولياً والشقي تقياً)) لو قطرة من بحر جود الله أنزلها الله ﷻ - ولا يُسأل عما يفعل - على قلب رجل وهو في أعتى ظلمات الكفر، فإن الله ﷻ يُبدل أحواله وأطواره، ويجعله في نَفَس وأقل ولياً لله ﷻ، ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه للمجالسين للصالحين والعارفين وأئمة المتقين:

كم جاهل نال علماً من ... أضحى حكيماً عليماً
أضحى ولياً له قلب ... يرى النبى عياناً حال

داعي العناية

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء) وإذا نظرت وتصفحت في أحوال الصالحين في دواوينهم ترى في ذلك الباب العجب العجاب، فكم قاطع للطريق أصبح في طرفة عين بعناية من مولاه للحبيب الأعظم ﷺ رفيق، وأصبح لغيره دليل في الطريق:

وإذا العناية لاحظتك ... نم فالمخاوف كلهن أمان

ويذكر شيخنا الشيخ عبد الحليم محمود رحمة الله عليه في حديثه عن الصالحين، وكان يتحدث عن كتاب (الرسالة القشيرية) وقال فيه: بدأ القشيري رسالته بالحديث عن الصــــالحين الذين كانوا في بدايتهم في مهاوي القطيعة والبعد عن رب العالمين، ليُرغِّب الطالبين، ويُؤلف العصاة والمذنبين، حتى لا يظنوا أن هذا شيء عزيز، أو أنه شيء في غير مقدورهم.

فبدأ بذكر الفضيل بن عياض ﷺ، والفضيل بن عياض كان زعيم عصابة تقطع الطريق، بين بلد إســـمها أبيور في بلاد فارس الآن، يقطعون الطريق على الذاهب والراجع، وفي يوم كانوا على سطح منزل، وكلف كل رجل من عصابته بدور، وهو في هذا الوقت سمع من يقول: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ (١٦**الحديد**) فخارت قواه، وجلس ولم يستطع النهوض أو القيام وقال: (آن يا رب) والتف حوله رفقاءه وأنزلوه، وسألوه عما جرى له، فقال لهم: التوبة إلى الله ﷻ، وتاب إلى الله ﷻ وأناب، وقال:حتى تصـــح توبتي لا بد أن أهجر كل ما كنت فيه، وأذهب إلى بيت الله الحرام وأختلي فيه؛ أتعبد لله ﷻ.

وذهب إلى البيت الحرام، واختلى في طاعة الله ﷻ، وجاء هارون الرشيد حاجاً إلى بيت الله الحرام!!!!

وكان الملوك راشدين، فكان هارون له من إسمه نصيب!

فكان عندما يذهب إلى هذه الأماكن يأمر وزيره وامراءه أن يبحثوا له عن الصالحين ليجالسهم، فعرضوا عليه ثلاثة من العلماء وجالسهم، وبعد مجالستهم أعطى كل رجل منهم ما يسمح به، وما تجود به نفسه من المال، وقال لوزيره: أريد رجلاً صالحاً يُرضي نهمي، قال: لم يبق إلا الفضيل، والفضيل لا يخرج لمقابلة أحد، قال: نذهب إليه، فذهبوا إلى الفضيل في الليل، وكان الفضيل في ذاك الوقت يوقد مصباحاً ويقرأ كتاب الله ﷻ.

فدقوا الباب - واسمع العجب العجاب - فقال: من بالباب؟ قال الوزير: أنا الربيع وزير الخلافة، وهذا هارون الرشيد أمير المؤمنين يريد زيارتك، قال: انتظر، فأطفأ المصباح، ثم فتح لهم الباب، فقال له: لِمَ أطفأت المصباح؟ قال: حتى لا أرى وجه ظالم!!، وكانوا لا يخافون في الحق لومة لائم!

فقال هارون: امدد يدك أصـــافحك، فمد يده إليه، فمس يده ثم قال: ما ألين هذه اليد لو نجت من عذاب الله ﷻ غداً، ثم جلس معه ينصـــحه، ثم قال هارون: يا ربيع اترك له هذه الصرة، قال الفضيل: أنصحك وتغشني، قال: وكيف؟ قال: أنصحك أن تعطي مال المسلمين للمستحقين من المسلمين، وتعطيني من مال المسلمين، وتترك بقية المســلمين!!، لا حق لي في هذا المال إلا إذا تســاوت فيه كل الأمة الإســلامية، انظر كيف كان حاله؟! وكيف تبدل حاله؟!

مـا بـيـن طـرفـة عـيـن يبدل الله من حال إلى حال

اصطفاء الله لعباده

فالإصــطفاء لله ﷻ ومن الله ﷻ لا يوجد فيه أمر مســتبعد، فإن الله ﷻ هو الذي قــال في قرآنــه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

(٧٥الحج) ومن الناس يعني اختيار الله ﷻ.

رأينا في زماننا الماضـــي رجلاً كان فرنســـياً، ودرس الإســـلام، وأعجب بالتصوف، وجاء إلى مصر، وتفرغ لطاعة الله ﷻ وعبادته، وكان الدكتور عبد الحليم محمود لا يستطيع أن يدخل عليه إلا بعد مدة طويلة من الاستئذان، لأنه كان مشغولاً بالله ﷻ بالكلية، مع ان أصله كان فرنسي وغير مسلم!.

إذاً لا تجعل هذه الأشـــياء عوائق، فإن الله ﷻ خلق الخلق بقدرته، ويُســـيرهم بحكمته، وهو ﷻ الذي بيده مقاليد الأمور، وبيده مقاليد الســـماوات والأرض، لحكمة يعلمها لا يكشفها إلا لأحباءه.

ما أريد أن أقوله: لا ينبغي لأي رجل منا أن يستصعب شيئاً على مولاه، إياك أن تُيئسك نفسك وتقول: ومن أنا حتى أكون ولياً لله؟ ومن أنا حتى أكون من الأصفياء والأتقياء؟ ومن أنا حتى أكون من المجتبين الأخيار، ومن أصحاب الكشف والكرامات والعلوم الإلهامية؟ لا يمنعك من ذلك إلا نفسك، فلا حظر على أمر الله، ولا على فضل الله ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٧٨الحج).

فالذين يُيئسون الخلق من ولوج هذه المقامات هم أبعد الناس عن هذه المقامات، لأن هذه المقامات مفتوحة للكل، وتدار بفضل الله، وليس لعبد من الأولين أو الآخرين تدخل فيها؛ اختصاص إلهي، لا يُقبل فيها غير شفاعة حضرة النبي ﷺ.

لكن الله ﷻ يختار على عينه من يريد من عباده، ويؤهله لمقام الولاية الذي اجتباه واختاره له، فإن الله إذا شـاء وأراد جهَّز وأهَّل العبد لما يريده منه ﷻ، لكن هذا العبد لا بد أن يكون له جهاد: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت).

أنواع الجهاد

﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) وأنا أختصر الكلام في هذه الآية بحسب رؤية الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه حتى لا نوسع آفاق الكلام، فالجهاد نوعين: جهاد لعدو داخلي، وجهاد لعدو خارجي.

جهاد العدو الخارجي

جهاد العدو الخارجي لا يكون إلا لمن كفر بالله ورسوله:

لكن لا يجوز لمن يؤمن بالله ورســـوله، فلا أُعلن عليه حرب، ولا أرفع عليه سلاح، ولا أحادده بأي أمر من الأمور.

ويجوز لي أن أترك هذا الجهاد لأمرين، إما تـأليفاً لـه إذا طمعت في تـأليفـه ودخوله في الإســلام، فاخاطبه بالحسـنى، ولا أعلن عليه الحرب ابتداء، وإما إذا كنت في حـالـة ضــــعف وهو أقوى مني فيجـب ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ (١٢٨آل عمران)

فأنسحب في هذا الظرف إلى أن أقوى وأستقوى ثم أبدأ الحرب.

العدو الداخلي

لكن العدو الأخطر؛ العدو الداخلي، وبيَّن الحبيب ﷺ ذلك عندما كان راجعاً من إحدى الغزوات وقال لأصحابه:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ } [2]

جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأكبر!!!

وعندما سُئل ﷺ عن ألد الأعداء للإنسان قال:

{ أَعْدَى عَدُوَّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ } [3]

أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك، حتى من الشيطان: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦النساء) فبمجرد أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يقول له المولى الكريم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر) لكن النفس التي بداخلك هي العدو الأكبر للإنسان.

ى ق غة غ غة ه هقنغ ه غ ق ه

ءغ غ غ ك ﷺ

جهاد النفس

والنفس – باختصار – جهادها في بابين: جهاد الشهوة، وجهاد الطمع، والشهوة هي شهوة البطن أو شهوة الفرج، ومعظم رسوب الناس في زماننا في الجهاد بسبب شهوة البطن، يستبيح لنفسه الغش، يستبيح لنفسه التدليس، يستبيح لنفسه الظلم، يستبيح لنفسه بخس الكيل والميزان، يستبيح لنفسه الخديعة، يستبيح لنفسه الكذب ... كل ذلك من أجل شهوة البطن، ولذلك إذا أحكم الإنسان بطنه أصبح فوراً ولياً لله ﷻ، سيدنا سعد يقول:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }

فما الأوراد التي أعطاها له؟

لا شيء، ولكن قال له ﷺ:

يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ"} [٤]

لم يطالبه بزيادة عن الفرائض والنوافل بكذا وكذا، لكن الأساس المطعم الطيب، وهذا كما كان في عصر النبي ففي عصرنا أشد، ولذلك كل من يأكل حلالاً في عصرنا فهو من الصالحين على يقين، ودعاءه مستجاب لا يُرد، وقد لا يعلم هو ذلك.

ئ غ غ ك ﷺ

لأن الناس جعلت الولي له هيئة كذا، وشكل كذا، وهذه أوهام موجودة عند كثير من الناس، فأنا يأتيني كثير من الناس يقولون: سـمعنا عنك ونريد أن نجلس معك، ثم يقولون: كنا نحسبك على هيئة كذا، وشكل كذا ... يريدون المظاهر، والمظاهر ما لها وولاية الله؟! الممثل يفعل ذلك فهل يكون ولياً لله؟!.

الولاية محلها القلوب التي طهرت لحضرة علام الغيوب ﷻ، فقد يكون الإنسان ولياً لله ودعاءه مستجاب وهو لا يدري، ولذلك أحذر أي أخ يتحرى الحلال أن يدعوا على أحد، أو على نفسه، أو على ولده، أو على ماله، أو على غيره، لأنه ربما يدعوا وهو مستجاب الدعاء، فتتحقق الإجابة ويندم ولا ينفع الندم، لكن كل رجل يتحرى الحلال في عصرنا أو قبلنا أو بعدنا هو ولي لله ومجاب الدعاء كما أنبأ سيدنا رسول الله ﷺ.

الشهوة الثانية هي شهوة الفرج، والفرج إذا قيل فإنا نطلقه على جملة الفتحات والفروج التي في الإنسان، لأن الله عندما وصف المؤمنين قال في شأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ﴾ (٥المؤمنون) والفروج هنا تشمل كل الفتحات، العين والأذن والأنف والفم ... كل الفتحات التي في الإنسان هي فروج ينظر منها إلى الأكوان.

لأن الله ﷻ خلق الإنســـان حقيقة نورانية إلهية معنوية، وأخذ عليها العهد في عـالم المثـال؛ في هذه الحـالـة النورانيـة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف) وأراد الله ﷻ امتحان الإنســـان في الخطاب الذي ردده أمام حضـرة الرحمن، فخلق الله له هذا الكيان، وجعل هذا الكيان من طينة الأرض ليناسب ما على الأرض، يأكل من الأرض، ويلبس من الأرض، ويتعالج بأي شــــيء موجود على الأرض، ويستخدم بيتاً من عالم الأرض، لكن يتحرك في عالم الأرض من خلال الفتحات الإلهية التي أوجدها فيه رب البرية ﷻ.

ينظر من هذه العين، لكن هل هذه العين بذاتها ترى؟! يســـمع بهذه الأذن، لكن هل الأذن بنفســها تسـمع؟! لو كان ذلك فإن الإنسـان عند مفارقته الدنيا لا يفقد عضـواً من هذه الأعضـــاء، العين كما هي لكنها لا ترى، والأذن كما هي لكنها لا تســـمع، واللســان كما هو لكنه لا ينطق، والجسـم كله كما هو لكنه لا يتحرك، لماذا؟ خرج منه الســر الإلهي الذي هو أنت أيها الإنســان، وهو حقيقة الإنســان، ولا يعلم حقيقتها، ولا يطلع عليها إلا الله ﷻ.

الاستجابة لله ولرسوله

هذه الأشياء التي في الإنسان ما هي إلا وسائل يأكل بها، ويشرب بها بعالم الأكوان، أدوات يستخدمها في هذا الكون، فالحواس هي المطلوب الجهاد بشأنها، والجهاد بشأنها لا يتم إلا بعد الإستجابة التي وضح الله ونوّه بشأنها في قرآنه للنبي، أو لورثة النبي.

ينادي الله على المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لبيك اللهم ربنا وسعديك، ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ للإثنين ﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ ﴾ لم يقل (إذا دعاكما) من الذي يدعوا هنا؟ الرسول، وإلى أي شيء يدعوا؟ ﴿ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ (٢٤الأنفال) وهل نحن ليسوا بأحياء الآن؟ نحن الآن نعيش، كل الذي لم يحتيي الحياة الإيمانية القرآنية فهو عايش، يقول الله في شأنه: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ (٣٦الزخرف) ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ (١٢٤طه) معيشة وليست حياة.

فكل الذي أعرض عن ذكر الله ولم يحتيي الحياة اليقينية فهو عايش، ولكنها معيشة كبقية الأشياء: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ (١٢محمد) ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف) لأن الأنعام تذكر الله.

ولكن الحياة لمن استجاب لله، الحياة الإيمانية، ثم بعد ذلك يرتقي إلى الحياة الإحسانية في مقام الإحسان، ثم يرتقي إلى الحياة اليقينية في مقام اليقين، ثم يرتقي إلى الحياة الشهودية، فيشاهد بعين قلبه ما غاب عن عينه الدنيوية، لأنه ارتقى في العوالم القدسية، ودخل في قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) ليس وحده.

إذاً لا يحتيي الإنسان الحياة الحقيقية إلا بعد الإستجابة للرسول أو من ينوب عن حضرة الرسول من الورثة الأتقياء الذين قال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ } [5]

وفي رواية أخرى:

---

[5] ئ غ ه ه قهة ع غ ق قظ رضي الله عنه

{ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهُمًا ، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ } [٦]

الذي معه العلم فقد ورث العلم ونطلق عليه عالم، والذي ورث النور فهو ولي في نفسه، لكن الولي المرشد لا بد أن يكون معه العلم والنور، وهذا هو الوارث الكلي، أو الوارث الجامع، أو الغوث الفرد الذي به تطيب القلوب، وبه تصـــفوا من الذنوب، وبه يصـــفوا له طهور المشـــروب، وبه يرتقي في الدرجات العلى، ويكون بعدما كان طالباً هو مطلوب لحضرة علام الغيوب ﷻ.

إذاً لا بد أن يســتجيب أولاً لله ورســوله، والإســتجابة للرســول ﷺ لا تكون إلا بإحياء سنته، والمشي على منهجه، فنُحي ما اندثر من السُنَّة، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا } [٧]

نحي السنُة التي اندثرت، والسُنة التي تخلت عنها الناس وتركتها، والسُنَّة التي هجرتها الناس، فهذه هي الإستجابة الحقيقية للرسول ﷺ، وهي عين الإستجابة لله ﷻ.

ولذلك كان ﷺ داخلاً المســـجد فوجد رجلاً من المؤمنين يُصـــلي، فناداه، فمكث الرجل حتى انتهى من الصلاة ثم أتى، فقال ﷺ:

ئ غ ه هٰ ن ع غ ق قظ رضي الله عنه
ئ غ ه هٰ ه م رضي الله عنه

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿ يمي غي ظ ييغ غةي يغي ي يعغ قي ية ﴾ ؟ }[8]

ما دمت تُصلي نافلة فإجابة الرسول فرض، فتترك النافلة وتجيب الرسول ﷺ، وأخذها العلماء وسحبوها على الآباء والأمهات، فلو أن الإنسان يُصلي نافلة في المنزل ونادى عليه الأب أو الأم، يُسلم من النافلة ودعاء الأب ونداء الأم فريضة، فيجيب الأب أو الأم، إلا إذا كان يعلم علم اليقين أنه إذا رفع صوته، وعلموا أنه في الصلاة فلم يحزنوا، فلا بأس في ذلك.

فالإستجابة لله والرسول أولاً ليحتيي الإنسان، وبعدما يستجيب الإنسان فإن الله يحي قلبه، وإذا أحيا الله قلبه منع كل هذه الفتحات من مخالفة الله ﷻ.

ما الذي يمنع الإنسان من النظرة المحرمة؟ ما الذي يمنع اليد أن تمتد للحرام؟ ما الذي يمنع اللسان من نطق الكلام الذي لا يُرضي الله؟ ما الذي يمنع ذلك كله؟ الرقابة الإيمانية التي وُجدت في باطن القلب نتيجة الحياة الإيمانية التي استجابها لله والرسول، لكن إذا لم توجد هذه الحياة الإيمانية في القلب، فما الذي يمنع هذه الأعضاء أن تذهب هنا وهناك؟!!.

أ غ ء غ

إذاً الجهاد الأعظم يحتاج إلى ذلك، قد يقول أحدهم سأراقب عيني، بم ستراقبها؟ سـأراقب يدي؟ بم سـتراقبها؟ موطن المراقبة القلب التقي النقي الذي عمر بحب الله والنبي، واحتيا الحياة الإيمانية، ولذلك الذكر الأعظم لله هو مراقبة القلب لله، وعلمه علم اليقين أن الله يطلع عليه ويراه، وهذا هو الذكر الأعظم عند الصالحين.

فلو أمسكت بالمسبحة وقلت خمسة آلاف مرة أو عشرة آلاف مرة (لا إله إلا الله) وعينك تنظر هنا وهناك، فما الذي فعلته؟!

لكن الذكر الحقيقي :

مراقبة القلب لله جل في علاه؛!!!

أن يشعر الإنسان أن الله منه على بال!

وأن الله ﷻ ينظر إليه في كل الأحوال!

وأن الله يطلع على سره ونجواه!

وأنه ﷻ يرى جميع خفاياه!

فيخشى أن يقع في مخالفة تُغضب الله جل في علاه!!!

وهذا هو الذكر الأكبر، وهو ذكر الصالحين والعارفين والمتقين.

كثير منا يعتقد أن ذكر الصــالحين والعارفين هو ذكر إســم من أســماء الله عدد معين، وذكر إســم آخر عدد معين، لكن هذا ذكر العابدين، يريد به حســنات، ومنازل في الجنات، وســيعطيه الله، لكن الذكر المُقرب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) معهم، ويستشعرونه على الدوام، يشعرون في كل أوقاتهم أن الله ﷻ لا يغيب عنهم طرفة عين ولا أقل، وهذا هو الذكر الأكبر، الذي يقول فيه الله: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (١٥٢البقرة) ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر).

دسائس النفس الخفية

بعد جهاد البطن ....

وجهاد الشهوة ....

يأتي الجهاد التالي المهم وهو جهاد الطمع !!!

، فإذا انتهى من هؤلاء ودخل وســلك في طريق الله يتبقى عنده بعض شــهوات نفسية خفية، يسمونها (دسائس النفس الخفية) ولا بد أن يتطهر منها باطنا حتى يصل إلى مرحلة الكمال في التعامل مع الواحد المتعال ﷻ.

أخطر هذه الدسائس الطمع، فما الذي أخرج أبونا آدم من الجنة؟

معصية ليست في نظرنا شهوانية ولا حيوانية، لكنه طمع الخلود في الجنة حتى يكون في جوار الله ﷻ ويتمتع به في الجنة!!!

أكل من الشجرة ليخلد في الجنة!

ليس من أجل الجنة، ولكن ليكون قريب من الله ﷻ!

وكونه وجدت هذه الشهوة عنده فكانت النتيجة أن خرج من الجنة.

كحال بعض المريدين:

إذا انخرط في العبادة، وسلك الزهادة، ويبغي من وراء ذلك الحصول على مقام عند الله، يريد أن يكون من الواصلين، أو من المكاشفين، أو يرى الرؤيات الصالحة، أو يريد أن يكون من المقربين، لكن لماذا نعبد الله؟

فاعبدنه لذاته، أنا أعبد الله لأنه أحق أن يُعبد، ولانه أهل للعبادة، ولا أنتظر شيئاً مقابل ذلك، إلا فضـــل الله، ورحمة الله، وإكرام الله التي يختارها لي الله ﷻ، ولذلك عبادة الصالحين لا يحددون لأنفسهم مكانة ولا مقام ولا درجة، لكن أعبد الله لأنه أهل للعبادة، وقد قال لبعض العُبَّاد كما ورد في الأثر: "لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أكن أستحق العبادة لذاتي " !!!

وقال لبعض آخر وهو يعاتبه: " عجباً لمن رآني دون مكوناتي، قال: وكيف ذاك يارب؟ قال: من اتخذ عبادتي وسيلة لدخول جنتي فقد رآني دون مكوناتي "

هل ستعبد الله حتى يُدخلك الجنة؟

وهل الجنة أكبر من الله ﷻ؟

حاشا لله!

لكن نفعل كأصحاب رسول الله الذين أمره الله أن يتصبر معهم وقال له:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٢٨الكهف)

فالذي يعبد الله ليعطيه الله علماً فهو عبد للعليم، والذي يعبد الله ليعطيه نور فهو عبد للنور، والذي يعبد الله لكي يؤتيه الحكمة فهو عبد للحكيم، لكن الذي يعبد الله ﷻ لذاته فإن الله ﷻ يتفضل عليه بكل خيره وخزائن جوده وفضله وبركاته لأنه عَبَد الله ﷻ، ولا يرجوا من الله إلا إحسان الله ﷻ.

هذه العلل تأتي للســالك، ومثلها أن يعبد الله ليكون شــيخ، ويريد أن يكون حوله مجموعـة من المريـدين يلقنهم ويعلمهم، وتفرح نفســــه إذا اجتمعوا حولـه وعظموه وكبَّروه، فهذه عبادة ليست لله، ولكن للمنصب الذي اختاره لنفسه في دنياه، وسيتخلى عنه إن عاجلاً أو آجلاً يوم يلقى الله جل في علاه.

كل هذا من شـهوة الطمع، ولذلك ينبغي للمرء في هذا المقام أن يسلم نفسه لعبد أعلم في طريق الله منه حتى يجنبه هذه العثرات، ولا يقع في هذه الوحلات، وينطلق إلى الله ﷻ فراراً، فيصل بفضل الله إلى مقام قربه ورضاه.

نسأل الله ﷻ أن يمن علينا بالجهاد الأعظم الموصل لمراضيه، وأن يكشف عنا حجاب التناء حتى نكون من أهل وده وقربه، وأن يوصــلنا بحضــرة النبي وصــولاً نورانياً إلهياً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم □

□



الفصل الخامس

الصمت

الصمت عنوان السالكين

حفظ اللسان لعباد الرحمن

الوصل الخامس: الصمت[1]

الصمت عنوان السالكين

بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي إذا أنعم على عبد برضـــاه وفَّقه في دنياه لما يحبه ويرضـاه، وجعله دوماً رهن إشـارة حبيبه ومصـطفاه، وجرَّده من حظه وهواه، ولم يجعل له مُنى في الكونين غير وجه مولاه، اللهم صـل وسـلم وبارك على ألف البداية وياء النهاية وسر العناية سيدنا محمد وآله الأبرار وصحابته الأخيار، وكل من سار على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

سنتحدث عن علامة رسَّمها النبي ﷺ على مظهر أحبابه الصـادقين، كيف نعلم أن هذا الرجل من الصــادقين؟ هناك علامات كثيرة ذكرها الله وصـف بها الصــادقين، وهناك علامات لا تعد وجَّه النبي ﷺ أصحابه إلى العمل بها ليكونوا من الصادقين.

وأول هذه العلامات، وأهم هذه السـمات أن الإنسـان يملك زمام لسـانه، ويكون الصمت هو عنوانه، ولذلك يقول سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه: ((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)) فـإن هنـاك دروس من حضـــرة النبي ﷺ لهم في معرض المليك القدوس يعلمهم فيها كيفية الصمت، الذي يطابق كتاب الله، ويكون لهم فيه أسوة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

---

[1] ی غ ق ه غ ی ی ء ئی م ځی ځ ئی ۃی ؞

والصمت لا يستطيع الإنسان أن يتخلق به إلا إذا امتلأ قلبه بالكلية بالحب لربه، والحب لحبيبه، وأقبل ظاهراً وباطناً على الله ورسوله؛ يرجو رضاء الله ﷻ.

لأنه في هذا المقام يريد أن تنضبط أقواله وأفعاله وأحواله على قدم الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان ﷺ يقول عن حضرته، وهو الكلام المعبر عن خيار أحبته:

{ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمْتِي فِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرَةً } [٢]

هذا هو المنهج، وهذا المنهج الكريم تطبيق عملي لقول الله ﷻ في الذكر الحكيم: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ (١١٤النساء) وعندما يقول الله: ﴿ لَّا خَيْرَ ﴾ ينبغي للمؤمن أن يتحسب عند هذه النجوى، ويعد على نفسه هذه الكلمات، ويتحسب من الوقوع في هذه الآفات، وأن لا ينطق إلا بما يسمح الله ﷻ في هذا النص القرآني المقدس: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١١٤النساء).

وما شابه ذلك، وما شاكل ذلك لا بد أن يأخذه المرء من الحبيب المختار حتى لا يدع للهوى في نفسه قرار، فيخرج من حصون الواحد القهار ﷻ، هذه الحصون الإلهية يقول فيها رب البرية: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (٤٢الحجر).

ى غ غ

كان أهم خصلة يتهذب بها أصحاب الحبيب عملياً بعد المحاضرات النظرية من حضـــرتـه، وبعد الآيـات القرآنيـة من مقـام العزة الإلهيـة دخلوا إلى الحيـاة العمليـة والتطبيقية، فكان أول تطبيق لهم الصـمت، والصـمت فضـيلة في مكانها وفي مقامها الذي حبذه الله ﷻ ونبيه ﷺ، لكن قبله هناك قول هو خير من الصـــمت يقول فيه ﷺ مبيناً الفارق بين المقامين:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ } [3]

إذاً الكلام الذي فيه خير خيرٌ من الصمت، والصمت خير من زلات اللسان ووقوع الإنسان في آفات اللسان التي نهى عنها النبي ﷺ، وحذرنا منها في القرآن حضرة الله ﷻ.

وقد قال سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه: ((لا يُكتب الرجل في ديوان العارفين حتى لا يكتب عليه الحافظان معصية لسانية لمدة اثني عشر عاماً)).

وقد كان تلميذه النجيب سيدي مكين الدين الأسمر ﷺ يصنع كما صنع السلف الصالح، وأصحاب حضرة النبي؛ كان يجعل له كراس يُسجل فيه كل ما يتفوه به اللسان منذ صلاة الصبح إلى أذان المغرب، ثم يجلس عند الغروب يحاسب نفسه على ما يتفوه به، ومع أنه كان يعمل ترزياً، وكان محل الترزي مكان يكثر فيه الكلام، لكنه يقول في ذلك ﷺ وأرضاه: ((عند غروب الشمس أعد ما تكلمت به في هذا اليوم فأجده بين ثلاث عشرة كلمة أو خمس عشرة كلمة فأنظر فيها، فما وجدت فيها من خير حمدت الله عليه، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه وسألته الإقالة)).

ءغ ق ۀ ه ء غق

لأن النبي ﷺ نوَّه في أحاديثه التي لا تُعد ولاتُحد على أن الخير في الصمت، إلا سؤال عن علم، أو إصلاح بين الناس، أو تقديم نصيحة بقدرها، أو مواساة لمنكوب، أو من عنده متوفي، أو ما شابه ذلك، أو رفع الروح المعنوية لإنسان أشرف على اليأس أو القنوط، وهذه الحالات تتضح لأهل القلوب، ويناول الله ﷻ أهلها المطلوب، فلا يزيد ولا ينقص عن المطلوب لأنه يريد أن يُرضي علام الغيوب ﷻ.

وليس كمن يأخذ كلمة وينسج منها رواية تحتاج إلى وقت طويل، فهؤلاء فارغين، وينسون أنهم مقبلون على الله والعمر قصير والمطلوب عظيم، فإذا ضيع وقته في الكلام ساعتين مع هذا وساعتين مع ذاك، فماذا يتبقى له من الوقت ليناجي فيه مولاه جل في علاه؟! وهو الذي يقول لنا: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة).

وسُئل رجل من الصالحين: هل في الإنسان عيوب؟ قال: في الإنسان عيوب لا تعد ولا تُحصى، ولكن يستطيع أن يسترها كلها بشيء واحد، قالوا: بماذا؟ قال: بالصمت.

بالصمت يستر الإنسان كل العيوب، فإذا تكلم الإنسان، فالكلام كما قال الرحمن: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) كما قال بعض السلف بأن رقيب هو ملك اليمين، وعتيد هو ملك الشمال، لكن لو أن ملك اليمين يسمى رقيب وملك الشمال يسمى عتيد لكان بينهما واو، لكن لم يقل الله ﷻ (رقيب وعتيد) لكنه رقيب واحد، والرقيب هو الله ﷻ، وهو عتيد في مراقبته لأنه لا يوجد كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، ويعلم مع فلتات اللسان النوايا التي تصحب هذا الكلام في قلب هذا الإنسان، لأنه يحاسب الإنسان على نواياه، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى } [4]

فكان سلفنا الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم يعلمون أن هذا المريد سلك الطريق، ووضع قدمه على قدم أهل التحقيق، إذا أمسك لسانه، ولم يتفوه إلا في الضرورات التي ذكرنا أمثلة لها، وأباحتها الآيات، ووضحها سيدنا رسول الله ﷺ، وإذا نطق لا ينطق إلا بعد روية، فقد قيل: ((قلب المؤمن وراء عقله)) يفكر أولاً ثم يعرض على القلب، فإذا وافق القلب بعد موافقة العقل ينطق اللسان، وإذا وجد اشمئزازاً في دائرة العقل، أو عدم رضا في دائرة القلب، يعلم أن هذا الكلام عليه لا له، وقد قالوا في روضات الصالحين في بدايات السالكين ((من عد كلامه من عمله قل كلامه)).

المصيبة الكبرى أن الناس لا تعد الكلام عمل، وكأنهم لا يُحاسبون على الزلل، مع أن آفات اللسان هي المصيبة الكبرى في الدنيا والآخرة لأي إنسان إن كان مع الخلق أو مع الخالق ﷻ يوم لقاه.

فكان ﷺ أول شيء يُعلمه لأصحابه الصمت، وكان تلميذه الأول سيدنا أبو بكر الصديق يضع تحت لسانه حصاة، فقال له سيدنا عمر: ما هذا يا أبا بكر؟ قال: أمنع لساني من الكلام، قال: ولِمَ؟ فأمسك بلسانه وقال: هذا الذي أوردني الموارد.

أغ ق ه ه غ غق

كل آفات الإنسـان مع الخلق ومع الرحمن تأتي من قِبَل اللسـان، فوجَّه النبي ﷺ الجميع إلى الصـمت، وهناك أحاديث عظيمة في هذا المجال لا أسـتطيع عدها ولا حدها، وهذه نصوص بعض الأحاديث العظيمة لنرى فضل وفضيلة الصمت عند الله سبحانه وتعالى، قال ﷺ:

{ مَنْ صَمَتَ، نَجَا } [5]

وعن أَبَي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ أَلا أُعْلِمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى الْبَدَنِ، ثَقِيلٍ فِي الْمِيزَانِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَتَرْكُ مَا لا يَعْنِيكَ } [6]

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:

{ أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَحْسَنِ الْعَمَلِ وَأَيْسَرِه عَلَى الْبَدَنِ؟ قَالَ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَطُولُ الصَّمْتِ، عَلَيْكَ بِهِمَا فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِهِمَا } [7]

ه ز ﷺ!

{ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، مَا تَجَمَّلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهَا } [8]

وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أَوْصِنِي، قَالَ:

ئ غ ه هغق هق
ىغ هقغغ ن ع غ
ىغ هقغغ ن ع غ
أ ع غ ع ق

{ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّه فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَإِنَّه رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّه وَتِلاوَة كِتَابِه، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَاخْزُنْ لِسَانَكَ إِلا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ }[9]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ }[10]

{ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِه، فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِه }[11]

حفظ اللسان لعباد الرحمن

ولذلك قلنا أن علامات التربية النبوية، أو ما تسمى بالتربية الصوفية، لا تظهر إلا في حركات اللسان:

وكما قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((جعل الله ﷻ لكل شيء قفلاً واحداً وجعل للسان قفلان؛ الشفتان والأسنان)).

حتى نعلم أن هذا هو الأمر الجلل الذي ينبغي أن نراعيه إن أردنا أن نكون من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

ؤ غ غ ء غ قهق
ةى غ هە ء
ىى غ غ ۿ ن

وقلنا أن النبي ﷺ كان يُلقن أصحابه دروساً عملية في الصمت، يقول فيها سيدنا أبو بكر ﷺ: ((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)).

فإذا نطقوا علَّمهم التأني والحلم في انتقاء واختيار الكلام، وتعقّله قبل أن ينطق به اللسان، وفي ذلك يقولون:

((كنا ننتقي أطايب الكلام كما تنتقون أطايب الطعام)).

هذا حال الأولين، وهذا حال المقربين من الآخرين، فعلامة المقربين صـــون اللسان عن الآفات التي حذر منها النبي العدنان ﷺ.

وما ثمَّت مشـــاكل ملأت حياة الناس في دنياهم، إن كان في داخل البيت، أو مع الجيران، أو مع زملاء العمل، أو مع الغير، إلا وتجد السـبب الرئيســي فيها هو ألفاظ نطق بها اللسان !!!

قد تكون بلا مبالاة، وقد تكون عن عجلة، وقد تكون عن تسرع ،وقد تكون عن غير روية، ولذلك بيَّن النبي ﷺ أنه يبغض المُكثر من الكلام.

ناهيك ببغض النبي لمن يُكثر الكلام فكيف يُكثر منه إنســـان بعد علمه أن هذا يؤدي إلى غضب النبي ﷺ عليه؟! قال ﷺ:

{ **إنَّ منْ أَحَبِّكُمْ إلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ منِّي مَجْلسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يومَ الْقِيامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهِقُونَ** } [12]

والثرثارون هم الذين يُكثرون من الكلام في أي أمر وأي واد، وما أكثرهم في هذا الزمان، لكن لا ينبغي أن يكون من بينهم رجل تربى في دائرة الصـــالحين، لأنه يسيء إلى من رباه، ونحن قلنا: ((اجعل من رآك يدعوا لمن رباك)).

والمتشـــدقون هم الذين يحاولون أن يُظهروا الفصـــاحة والتشـــدق في الكلام والبلاغة، في وجود غيرهم، بينما النوايا التي في قلوبهم قد تكون غير خالصـــة نحو ربهم ﷻ، والكلام يُحاسب به المرء على النوايا التي سبقته في قلب الإنسان.

والمتفيهقون أي المتعالون الذين يدَّعون العلم والمعرفة بغير أصل استندوا إليه، وما أكثرهم في هذا الزمان، بل إن الناس يجعلون أنفســـهم متفيهقون في كل الميادين الفنية والعلمية والرياضية والسياسية وغيرها.

ومن هنا نوجه الأحبة إلى أن نلفت نظر أنفســنا نحو ألســنتنا، ونحاول أن نتبرأ من الآفات التي نبهنا إليها نبينا ﷺ، وذكرنا قبل ذلك قول النبي ﷺ:

{ **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ** } [13]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ىى غ ه ه ع ق
ءى غ ه ه ع غق



الوصل السادس

آفات اللسان

- خطورة اللسان
- آفات اللسان

١ : الكلام فيما لا يعني

٢ : فضول الكلام

٣ : الجدال والمراء

٤ : سؤال المرء عما لا يعنيه

٥ : الخصومة

٦ : الكلام الفاحش والسب واللعن

٧ : ذو الوجهين

٨ : إفشاء السر

٩ : عدم الوفاء بالعهد

آفات اللسان المحرمة[1]

- ☒ الكلمة الطيبة
- ☒ أولاً: الغِيبَة
- ☒ ثانياً: اللمز
  - مواهب ذوي الاحتياجات الخاصة
  - مواضع يباح فيها الغيبة
  - كفارة الغيبة
- ☒ ثالثاً: النميمة
  - آفة نقل الكلام
  - فضيلة كتمان الأسرار
- ☒ رابعاً: الكذب
  - الكذب المباح
  - المعاريض
- ☒ خامسا: اليمين الكاذبة

---

1 ىغ قه ِ ىئ ق غ ىءئىم ئلخىلخىءى ةىء

الوصل السادس: آفات اللسان[1]

خطورة اللسان

اللسان سبب كل المشاكل العاجلة والآجلة إن كان بين الناس، أو عند رب الناس ﷻ، والأحاديث في هذا الباب لا تعد ولا تحد، ولا بد من الاطلاع عليها لكي نبدأ عهد جديد مع الله ﷻ، ونتوب إلى الله ﷻ من أن نكون داخلين في قوله الذي نعى على أهله: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥المدثر).

ومدح الله ﷻ في القرآن رجلاً نوبياً سمي لُقمان الحكيم!

وسُمي الحكيم لأنه كان لا يتكلم إلا لحكمة، والبعض نسبه إلى النبوة، والبعض نسبه إلى الولاية، يروي عن نفسه أنه ذهب إلى سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما ألهمه الله بصنع الدرع، فقال: قلت في نفسي أأسأله عما يفعل، ثم قلت لنفسي: ولِمَ أسأله؟! إن كان هذا شيء سيخصني فسيخبرني بغير سؤال، وإن كان هذا شيء لا يخصني فلِمَ أسأله؟! قال: وإذا به بعد أن انتهى من صنعه أمسك به وقال لي: هذا درع يقي الإنسان من ضربات السيوف والرماح في ساحة القتال، قال: فحمدت الله تعالى على نعمة الصمت.

ولذلك يروي سيدنا عبد الله بن سفيان قال: قلت:

---

[1] ى غ ق ه غ ى ىء ئى م خ ى خ ئى ة ى ن

{ يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ فِي الإِسْلَامِ لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً ، قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَ : فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ } [2]

وفي حديث آخر عن معاذ بن جبل ﷺ، قال له رسول الله ﷺ:

{ أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ " قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ } [3]

ه ن ق ن ﷺ!

{ أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ } [4]

آفات اللسان

خطايا اللســـــان أكثر من أن تُعد، لأنه لا ينبغي لمريد ســــالك طريق الآخرة أو يرجوا فتح الله أن يكون متخلقاً بواحدة منها.

أول جهاد:

جهاد آفات اللسان.....

---

[2] ى غ غق ه ء

[3] ء غ ۿه ء

[4] ئ غ غ ۿ قق

حتى يكون اللسان لا ينطق إلا بما يحبه حضرة الرحمن ﷿،

وعندما تكلم رســـول الله ﷺ عن الزمن الذي نحن فيه الآن، وبيَّن علاماته الواضحات، وقيل له: وما النجاة؟ قال:

{ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** } [٥]

إذاً أول درع للنجاة من فتن هذا الزمان هو إمساك اللسان، وآفات اللسان كثيرة، منها المذمومة، ومنها المكروهة، ومنها المحرمة، وسنحاول أن نشير لبعضها وأهمها حتى يكرمنا الله ﷿ بالخروج منها، ...... ويجعلنا من الذين ينطبق عليهم قول الحبيب ﷺ:

{ **إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا، وَصَمْتِي فِكْرًا، وَنَظَرِي عِبْرَةً** } [٦]

ئ غ ه ﻫ غ ق

ئ غ ﻐ

الآفة الأولى:

الكلام فيما لا يعني

أول آفة من آفات اللسان، والتي لا ينبغي أن تكون في سالك لطريق الرضوان، يقول فيها ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [٧]

ترك ما لا يعنيه من القول، ولذلك قال الصالحون: ((إذا دخلت بيتاً فادخل أعمى واخرج أخرس)) لا تشغل عينيك في داخل البيت لتتعرف على ما فيه، ولا تكشف أسرار وأستار أصحاب البيت بالكلام عما حدث بينك وبينهم، أو بينهم وبين بعضهم.

آفة هذا العصر، التدخل في شئون الآخرين، والطامة الكبرى أنها وصلت إلى كثير من السالكين، رجالاً ونساءاً، والنساء أكثر في هذا المجال.

وهذه بعض النماذج التي لا غنية لنا عنها: بنت في سن الزواج، ولا يأتيها خُطَّاب، فتأتيها من تقول لها: لماذا لا يأتيك خُطَّاب؟! ماذا يمنعهم؟! وهكذا، ماذا تفعل؟!! وقد تقول لها إذا كانت تعمل: هل لا يوجد أحد أعمى يراك؟! وهذا معناه أنها غير جميلة، هذه البنت عندما تسمع هذا الكلام تصاب بالمرض، وقد تحجب نفسها عن الناس، وذلك بسبب الكلام الذي تسمعه من التدخل فيما لا يعني الإنسان.

بنت مخطوبة، فتأتيها من تقول لها: ألم تجدي غير هذا؟! ألم تجدي أفضل منه؟! الواجب أن تساعديها على الرضا، والرضا يقول فيه الحبيب ﷺ:

ئ غ ه هـ ء غ ق

{ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } [8]

الأصمعي والذي كان مشهوراً في الدولة العباسية كان يمشي في البرية ليتعلم الفصاحة من العرب، فقال: وجدت امرأة جميلة وزوجها دميم، لكنها امرأة عاقلة وتقية، فقال لها: من هذا؟ فقالت: زوجي، فقال: لِمَ رضيت به؟ قالت: لعلي أخطأت فيما بيني وبين الله، وأحسن فيما بينه وبين الله فكافأه الله ﷻ بي.

لكن بناتنا عندما تسمع هذا الكلام من أحد يؤثر فيها وقد ترفض هذا الخاطب، وقد يؤدي هذا الكلام إلى أن البنت قد ترفض كل من يتقدم لها، وكل ذلك بسبب تدخل الإنسان فيما لا يعنيه.

لو تزوجت، تأتيها من تقول لها: لماذا لم تنجبي بعد؟! هل العيب عندك أم عنده؟! لا شأن لنا بهذا الأمر، لماذا نتدخل في هذا الأمر؟! هل أمرنا أن نتدخل فيه نبينا؟! هل أباح الله ﷻ لنا أن نتدخل فيه؟! لا، هذه خصوصيات، ولا شأن لنا بالخصوصيات.

أ غ ﻫ ﻫ ء ء غق

لو أنجبت بنات، تأتي من تقول لها: لماذا لا تأتي له بولد؟! وما شـــأنها بذلك؟! نســأل الله، والعلم الحديث يطابق كلام الله، من منه سـبب الذكر أو الأنثى؟ قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (٣٩القيامة) الـذي يتحكم في الـذكورة والأنوثـة جينات الرجل، ولا دخل للمرأة في ذلك من قريب ولا من بعيد.

هذه الأمور دارت في المجتمع، وأصــبحت كأنها أخلاق إيمانية، لأن أهل المجتمع لا يعيبون على من يفعل ذلك، ومن يفعل ذلك لا يرى أنه آثماً أو ارتكب جرماً يحاسبه عليه الله.

ويتدخلون في كل الأمور، ماذا لكم؟ وماذا عليكم؟ ولماذا رضيتم بهذه الشروط؟ ولماذا لم تفعلوا هذا؟ وكل صغيرة وكبيرة يريد أن يتدخل فيها الإنسان!!.

إنســان ســالك يدخل بيت أخيه في الله، فينتابه الفضـول، وعينه لا تسـتقر، لكن معشر الصالحين يقولون:

إذا كان القلب مشغولاً بالله فالعين لا تستقر على شيء سواه.

رجل من الصـــادقين كان له خادم أمرد أي ليس له لحية، فجاءه رجل وقال له: خادمك هذا الأمرد يفعل كذا وكذا، فقال له: أين خادمي هذا الأمرد؟ قال له: ها هو، فقال: والله لا أعلم أنه أمرد إلا عندما سمعت منك!! لأنه مشغول بالله فينظر بنور الله، والذي ينظر بنور الله لا يرى شيء غير القلوب.

أســمع كثير من بعض الأحبة يقولون فلان كان يرتدي كذا وكذا، فأقول لهم: لا أعلم، المهم مـا يلبســـه بـداخلـه، وهو لبـاس التقوى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف) لا شــأن لي بما يلبس على جســده إن كان صــوف أو حرير أو غير ذلك، فكل إنسان يلبس طاقته ووسعه.

فيدخل الإنسان بيت أخيه، ويُرسل عينيه في كل أرجاء البيت، ويسأله عن سعر هذه وهذه، ومن أين اشتراها؟! وغير ذلك، ما شأنك وهذه الأمور؟! هذا دليل على أن القلب فارغ ليس فيه إلا الدنيا ومتعها وزخرفها وزهوتها، وأن صـــاحب هذا القلب إن كان له قلب مشـــغول بما حوله من زينة الحياة الدنيا، والحبيب ﷺ لم يقل ذلك، لكنه قال:

{ **انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ** }[٩]

والبعض الآخر يسأله عن عدد أولاده، وكم بنت عنده وكم ولد؟ وما سنهم؟ وفي أي مرحلة تعليمية؟ ... هذه الأمور لم يكن يسأل عنها السابقين والصادقين في أي عصر، إلا إذا هو عرضها بنفسه.

والأدهى والأمَر أنه إذا حدثت مشكلة يريد أن يعرف جذورها وأسبابها، مع قوله ﷺ فيما معناه:

{ **إذا اختلف الرجل مع أهله فلا تسألوهما عن السبب** }

لا شأن لك بالسبب، ولا يجب أن تعلمه، ولكن تجد من يلح حتى يعرف السبب ويذيعه، فينتشر السبب هنا وهناك، أين السلوك إلى الله ﷻ؟!!.

ينبغي على السالك في طريق الله ﷻ أن يجاهد الجهاد الأعظم في كف نفسه عن ما لا يعنيه، كان سلفنا الصالح يجاهد الرجل منهم نفسه - وربما تعجبوا من هذا – يجاهد نفسه أن لا يعلم من على يمينه ولا من على يساره في صف الصلاة.

ؤ غ غ ء قق

وأنا والحمد لله كنت أجاهد نفسي على ذلك، فكنت أذهب إلى مسجد سيدي أحمد البدوي يوم الجمعة الساعة العاشرة وأجلس بالصف الأول، وأحاول إلى أن تنتهي الصلاة أن لا أعلم من على يميني ولا من على شمالي ولا من خلفي لأستغرق بالكلية مع الله ﷻ.

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [١٠]

لا يتدخل الإنسان في شئون غيره بالمرة، لا من بعيد ولا من قريب، ويعمل بقول الحبيب ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ } [١١]

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ...

وأمسك الفضل من لسانه ....

وهل أنا انتهيت من عيوبي حتى أنظر إلى عيوب غيري؟!

وكل الكاميرات الداخلية والخارجية يجب أن أوجهها لنفسي، حتى أصلح عيوب نفسي، وحتى أرتقي وأنال عند الله ﷻ ورسوله أنسي، وأبلغ درجات المقربين، وهنا أعمل بقول رب العالمين مع الآخرين:

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة) ومع المؤمنين:

ةى غ ه ﻫ ء غق
ىى غ ن ﻫ غق ء ق

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج)

الآفة الثانية:

فضـــــول الكلام

قلنا أن أول آفة من آفات اللسان أن يدخل الإنسان بنفسه فيما لا يعنيه، ولا دخل له فيه، وهذا لا يليق بالأدب الذي أمرنا النبي ﷺ أن نستند عليه في الوصول إلى رضاء الله ﷻ.

والآفة الثانية فضول الكلام، والفضول هو الكلام الذي لا يعني الإنسان في دنياه ولا في أخراه، وإنما يأتيه ليستقطع به وقته مع هذا أو ذاك، والمؤمن ليس عنده وقت لذلك، لأن النبي ﷺ قال لنا في ذلك:

{ اخْزُنْ لِسَانَكَ إِلا مِنْ خَيْرٍ } [١٢]

اللسان ما دام لم ينطق ببر أو خير فيجب أن أخزنه ولا أطلقه، وقال ﷺ:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ } [١٣]

ماذا يضرني لو سكت عن ما يضرني؟!

ى‌ى غ غ ء غ ق‌ه‌ق
ءى غ ن ه غ غ

أخشـــى قول الناس عني أن هذا كذا وكذا، ويصـــفوني بأوصـــاف قبيحة، لكن أتخشى الناس ولا تخشى رب الناس؟!!.

هذه هي الحجة الواهية التي يســتند إليها كثير من القوم، لِمَ لا تصـــمت؟ يقول: سيقولون على مثل أبو الهول لا ينطق أبداً، لكن ما قيمة كلامهم؟ أنا أريد أن أكون كما قال الله ﷻ: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

كلام الخلق لا يضــرني فقط، بل يؤخرني ســنوات وأزمنة ودرجات في القرب من رفيع الدرجات ﷻ، واسمع إلى الحبيب ﷺ وهو يقول:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ } [١٤]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا } [١٥]

□

ئى غ ق ہ ه ء ء غ ق
ئى غ ه ء ء غ ق

كلمة واحدة لا يأخذ باله منها يهوي بها في جهنم سبعين سنة، لذلك ينبغي على المؤمن أن يتحرى ألا يتكلم في كلام باطل يخوض فيه، حتى لا يُقال له ويقول!﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥المدثر).

وكان ﷺ كما وُصف: طويل الصمت، ومن أراد أن يتأسى بحضرته فليتصف بأوصاف حضرته، وكان شديد الوجوم، أي الحزن فيما بينه وبين مولاه، لأنه يفكر فيما هو مقبل به على الله ﷻ، فإذا رأى الناس تبسم، وكان جل كلامه مع الخلق يفتر عن مثل حب الغمام، أي أسنان بيضاء كالفضة من شدة نصاعتها، عند حديثه مع الخلق صلوات ربي وتسليماته عليه.

ووصف الله ﷻ المؤمنين فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المؤمنون) واللغو في عرف السادة الأئمة الكرام العلماء الكلام الذي لا يفيد، فيقطع الوقت في الكلام في السياسة والإنتخابات والأحزاب والكلام في الأمور التي تسوقها الصحف السيارات، والفضائيات، وهذا كلام لا يفيد الإنسان من قليل ولا كثير.

وإنما المؤمن يوظف لســـانه في ذكر الله خير من الكلام الذي لا ينفعه ولا يفيده ولا يرفعه لا في هذه الحياة ولا عند مولاه ﷻ، يقول فيه ﷺ في شــــأن المؤمنين الصادقين، عندما قيل له: أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ:

{ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ } [١٦]

عندما تراه تجد لســـانه ذاكر فيذكرك بذكر الله، لكن لا تصــــاحب من يذكرك بالسياسة والأحزاب والكلام الذي لا يفيد، لأننا لسنا متفرغين لهذا الكلام.

الآفة الثالثة:

الجدال والمراء

أدب النبي ﷺ صحبه الكرام، وسلفنا الصالح أتباعهم العظام على عدم الجدال في حق ولا باطل، لأن الجدال يثير الشـــحناء في الصـــدور، ويبعث الكراهية في النفوس، ويجعل كل إنسان يريد أن ينتصر لرأيه ولو خطأ، وهذا سبيل غيّ لا ينبغي أن يكون عليه مؤمن صادق مع الله، فقال ﷺ مبيناً لعاقبة الجدال للقوم الذين وجد فيهم:

{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ } [١٧]

إذا وجدت قوم يتجادلون في أي أمر، إن كان ســياســة أو دين أو كرة أو غيره فاعلم علم اليقين قول الصادق أن هؤلاء غضب الله ﷻ عليهم.

ئئغ ق غ قغ هھ غ غ كق
ئئ غ ہ ھ ع ع ق

ثم حببهم ﷺ في ترك الجدال فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا } [١٨]

وفي رواية أخرى:

{ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ } [١٩]

إذاً تارك الجدال يُبنى له بيت في الجنة، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ في أوصاف أحبته: ((ومدامهم يُجلَى بغير جدال)).

وقد ذكرت قبل ذلك مراراً أني لا أحب الجدال ولا المجادلين، لا في المجالس، ولا في المساجد، ولا في أي موضع، لأن الجدال لا يؤدي إلى خير.

والذي يؤدي إلى خير إسـمه المناظرة، نتدارس في موضـع، وأنا أدلي برأيي وأنا غير متعصب له، إن ظهر على الحق على لسان أخي اتبعته، لكن الجدال أن أدلي برأيي وأتعصـب له، وأزعم أنه وحده هو الصـحيح، وهذا لا يجوز للسـالكين ولا للصالحين ولا للعارفين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فأنا لا أحب الجدال، لأن النبي ﷺ كرَّهنا في هذا الأمر، حتى الجدال بين الرجل وزوجه، وبين الرجل وأبناءه لا ينبغي، إذا وجدنا الأمر سـينتهي إلى جدال نوقف الكلام ثم نُعلن أننا سنستأنفه فيما بعد إذا راقت الأحوال وصلحت النفوس.

ؤى ء قههةهـ ء ع ق
ؤى غ عهـ ك غ ن ق

لأن الإنســـان إذا جادل مع زوجه في أمر ربما يتطور إلى تهور، وربما يحتد عليها، وربما تتسبب في إثارته، فيقول كلمة لا ينبغي أن تُقال، قد يدفع في سبيله حياته كلها ولا يُغني ما معه من مال، وكل ذلك سببه الجدال.

ولذلك لا ينبغي أن يكون في حياة الســـالك أي مخرج ولو قليل لجدال في أي أمر، حتى وصـــل بنا الأمر أني لا أحب الفصـــال لأنه نوع من الجدال في البيع والشـــراء، فأبحث عن المحلات التي ليس فيها فصـــال حتى لا أدخل في هذا الجدال الذي يُدخلني في مجال منعنا عنه نبينا ﷺ.

والجدال قد يكون في الحق، أما المراء فهو الذي يجادل وهو يعلم علم اليقين أنه على غير حق، وما أكثر ذلك في زماننا هذا.

علينا أن نبتعد عن هؤلاء حتى لا نُعدى منهم، فمرضهم أشد من الجرب بالنسبة للجسم والعياذ بالله ﷻ، وهؤلاء قوم موجودون إن كان في الأحزاب السياسية أو في غيرها، فالمؤمن لا يجادل قط، وإنما يبين على قدره، وإذا لم يصـــل مع الســـامع إلى مستوى من التسليم يقول له: نرفع الأمر إلى من هو أعلم منا في هذا الأمر، ونرضى بحكمه، إن كان في العلم يرفعونه إلى رجل أعلم،

وإن كان في أي مجال يُصـــعِّدون الأمر إلى رجل ذوي خبرة في هذا المجال عنهم، وبذا تنتهي الأمور وتُحل المشـاكل، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣النساء) وانتهت المشــاكل وحُلت الخلافات بأيسر الأمور.

فالمؤمن لا يجادل ولا يماري لا باطلاً ولا صادقاً، أعرض بضاعتي، وأنا أعلم علم اليقين أني صـــــادق، فإذا وجد من يكذبني فهذا حظه، فإن لم يقتنع برأيي أتركه وأتخلى عنه، وأتحول إلى أمر آخر في درسي، أو إلى غيره، لأني أعلم علم اليقين أن التوفيق للتســــليم أمر من رب العالمين ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء)

الآفة الرابعة:

سؤال المرء عما لا يعنيه

أن يسأل الإنسان في أمر لا يعنيه، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ (١٠١المائدة)

هناك عفو لأن الآيات نزلت، فلا ينبغي للإنســـان أن يســـأل في أمور لا تعنيه، والفارق بين هذه الآفة والآفة الأولى التي تحدثنا عنها في ترك ما لا يعني، أنه هنا يجب عدم الخوض في الأمور الغير واردة في الشريعة الإلهية.

لا ينبغي للمسلم أن يخوض في هذه الأمور ويسأل عنها، نحن نسأل فيما تطيقه العقول، أما ما لا تتحمله العقول فنرجع إلى صـحيح النقول، ونُسَلم لما ورد في كتاب الله وأقوال الرســول، ولا نتعدى ذلك، كان ﷺ يتحدث ذات مرة وأثاره أصــحابه بمثل هذه الأمور، فعن أنس بن مالك ﵁ قال:

{ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ غَضْبَانُ وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ مَعَهُ جِبْرِيلَ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا مُتَقَنِّعًا مِنْهُ، فَقَالَ: " سَلُونِي فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفِي الْجَنَّةِ أَنَا أَمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: لا، بَلْ فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ آخَرُ، فَقَالَ: أَعَلَيْنَا الْحَجُّ فِي كُلِّ عَامٍ؟

قَالَ: لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ مَا قُمْتُمْ بِهَا، وَلَوْ لَمْ تَقُومُوا بِهَا لَعُذِّبْتُمْ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، فَلا تُبْدِ سَوْآتِنَا وَلا تَفْضَحْنَا لِسَرَائِرِنَا وَاعْفُ عَنَّا عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْهُ"} [٢٠]

فمثل هذه الأمور لا ينبغي البحث عنها، ولا السؤال عنها، لأنها أمور لا تعني الإنسان من قريب ولا من بعيد، كالأسئلة التي يثيرها الملحدون في زماننا، والشريعة المطهرة أوجدت الردود الشديدة الصارمة عن هذه الأسئلة للصادقين والموقنين، فيقول لك أحدهم: من الذي خلق الخلق؟ فتقول: الله، فيقول: من الذي خلق الله؟ ولكن ما شأننا وهذا الأمر؟! شيء لم أطلع عليه، ولم أكتشفه، ولم يخبرني عنه الدين، فهذا أمر أُسلمه لرب العالمين ﷻ، ولا ينبغي لي أن أذكره أو أتحدث فيه، قال ﷺ:

{ إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا } [٢١]

سيذكرون القضاء والقدر، ويقولون: مادام الله قدر لي الذنب فلماذا سيحاسبني عليه؟ ولو قدر لي الهداية سأصلي، ولو لم يقدر لي الهداية فلماذا يحاسبني؟ ومثل هذه الأسئلة يجب أن لا نخوض فيها، ونمنع ألسنتنا عن الحديث عنها، ونمنع كل من حولنا، وكل من يلوذ بنا، وكل من يسمع لنا عن الكلام فيها، والإمام الغزالي ألف كتاباً عن ذلك سماه (إلجام العوام عن علم الكلام).

ةى غ ء
ىغ غ ﻫ قق

هذه الأشـياء يجب أن نلجمهم عنها، لأنها أمور إلهية، ونحن ينبغي أن نسـلم لما سمعناه من كتاب الله، أو من رسول الله ﷺ.

الآفة الخامسة:

الخصومة

ورد في الإسـلام أن يختلف الإنســان مع أخيه، لكنه لا يخوض فيه، ولا يتحدث في عرضــه بشــيء يشـينه أو يهينه، وهذا أدب الإسـلام، أما الذي يخوض في عرض أخيه لأنه حدث بينه وبينه خصومة، فهذه صفة وصفها سيدنا رسول الله ﷺ ..بأنها من أوصاف المنافقين:

{ **وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** } [٢٢]

وفَجَرَ معنا ها أنه قد يعيبه بشـــيء فيه أو ليس فيه، أو قد يتغامز بعينيه أو بأعضــاءه عليه، أو قد يلمزه بكلام يوحي لغيره بأن هذا الإنســان فيه صـفات كذا وكذا من الصــفات المذمومة التي لا يحبها الخلق، وقد يشـنع عليه بما ليس فيه، وهذه طامة كبرى يقول فيها ﷺ:

ىىغ ق ہ ھ هق

{ **مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا** } [٢٣]

وفي رواية أخرى:

{ **مَنْ أَشَادَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيُشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } [٢٤]

لأنـه كيف يعيـب أخيـه، والله يقول في القرآن: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (١١ **الحجرات**)؟!! وتلمزوا أي تعيبوا، وهل هناك أحد يعيب نفسـه؟! فأخوك هو أنت، فإذا عبت أخاك فكأنك عبت نفســـك، وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ (٦١النور) فهل أنا عندما أدخل بيت أخي أقول السـلام على نفســي؟ لا، ولكن كوني أسلم على أخي فقد سلمت على نفسي، إذاً الإنسان المؤمن لا يعيب إخوانه:

وســـتراً لعورات الأحبــة وعفواً عن الزلات فـالعفو

وماذا نفعل في حالة الخلاف؟ نعمل كما قال الحديث:

{ **فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ** } [٢٥]

ولا يجوز أن يكون الخصام ممتداً، قال ﷺ:

ﺀﻯﻏ ﻏ ﻫ ﻋ ﻏ ﻗﻈﻗ
ﺃﻯﻏ ﻬﻗﻐﻏ ﻥ ﻋ ﻏ ﻋ ﻘﻏ ﻗﻪﻗ
ﺋﻯﻏ ﻗﻪﻫ ﻋ ﻋ ﻐﻏ ﻗﻪﻗ

{ لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ }[26]

الذي يخاصم أخيه سَنَة فكأنه قتله والعياذ بالله، لأنه لا ينبغي لمؤمن - كما قال الحبيب - أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام، وبعد الثلاثة أيام أفضلهم عند الله الذي يبدأ بالسلام.

لكن في هذه الأيام ..... لا يتهامز عليه، ولا يسخر منه، ولا يستهزيء به، ولا يعرض به، ولا يعيبه ولا يشينه بأمر، وإنما يقول فيه ما يعرفه!!!

لأن المؤمن دائماً قوله كله شهادة يحاسبه عليها الله، ففي كل قول يردد قول الله:

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ (٨١يوسف) !

لا يقول إلا بما يعلم، حتى ولو كان هذا الإنسان أساء إليه إساءة بالغة، لأنه طبيعته الإيمانية وفطرته التوحيدية تقتضي ألا يقول إلا ما يعلمه ويتيقن منه، لأنه تربية رسول الله ﷺ وأصحابه المباركين ومن تبعهم من العارفين الصادقين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ىئ ء قهۃ ھ ء ء غکغ ق

الآفة السادسة:

الكلام الفاحش والسب واللعن

لا ينبغي لمؤمن أن يخرج من لسانه كلمة فاحشة أياً كانت، إذا كان الله بذاته كان يُكَنِّي، والحبيب ﷺ كان يُكنِّي، فلا ينبغي على مسلم أن يقول قولة صريحة تدل على الفحش والتفحش، بل لا بد له أن يكني.

واسمع إلى الله وهو يقول: ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (٤٣النساء) وصف مقاربة النساء بأنها لمس، ولذلك نجد العلماء الأخيار عندما تناقشوا في مسألة السلام على النساء وقفوا عند هذه الآية، فأخذ الإمام الشافعي بظاهر اللفظ، وقال:إن اللمس ينقض الوضوء، وأخذ الإمام أبو حنيفة بحقيقة اللفظ واستشهد بقول السيدة مريم: ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ (٤٧آل عمران) فقال: المس هنا يعني الجماع، فالمرأة لا تنقض وضوء الرجل إلا إذا جامعها زوجها.

فكانوا كما علَّمهم الرسول ﷺ ورب العزة ﷻ يكنون، وانظر إلى الله وهو يقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٢٢٣البقرة) ما هذا الجمال و هذا الكمال الإلهي؟!.

وانظر إلى هذه الآيات كلها والحديث عنها في كتاب الله، لم يذكرها الله إلا بلفظ الكناية، وكذلك نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه.

فينبغي أن يتحفظ لسان المسلم التقي النقي الذي يسلك طريق الصالحين من النطق بأي لفظة يعيبها عليه من حوله، وتكون فاحشة في نظر الله، ونظر حبيب الله ومصطفاه، كذكر العورات، وذكر المضاجع وما شابه ذلك.

وأنا أقول ذلك وكلي أسى لما نسمعه الآن في موطن الإسلام من ألفاظ تصك الآذان في كل مكان، ويختلط معها السب والشتم، يعني لا يكتفي بذكر اللفظ، بل معه السب والشتم، وهذا لا يليق بأحوال المؤمنين الذين يريدون رضاء رب العالمين ﷻ، والمؤمن كما قال ﷺ:

{ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ } [27]

أيضاً ينزه لسانه عن الألفاظ البذيئة، وكرَّم الله الإنسان، وكل بني آدم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (٧٠الإسراء) فلا ينبغي أن أقول لعبد من عباد الله كما يقول البعض: أنت حمار أو أنت جاموسة أو أنت كلب ... كيف أضع الصورة العلية التي وضعها الرحمن في أبهى المراتب العلية في القرآن في صورة دنية في صورة حيوان لا يصل مهما ارتقى إلى شعرة من شعرات الإنسان الذي كرَّمه الرحمن ﷻ؟!!.

ىى غ ه ه ء قق

قد يقول البعض: إني لا أنطق بذلك إلا في حالة الإنفعال، ونقول له: الرجل من يملك حاله لا من يملكه حاله، متى أصل إلى مقام الرجال؟ إذا سيطرت على نفسي في المواضـــع التي تدفعني بشــدة إلى الخروج من الطبيعة البشــرية، والســب والشــتم، كالمعاصرين والمحيطين، والمؤمن لا يليق به ذلك أبداً.

وقد علَّمنا النبي ﷺ في درســه العملي مع الصــديق ﷺ، عندما كان رجل يشــتم أبي بكر، وأبو بكر صامت:

{ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيه بَعْضَ قَوْله، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْه بَعْضَ قَوْله، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ"} [٢٨]

فيُعلم المؤمن نفســه، ويحفظ نفســه من الوقوع في هذه الأخطاء، لأنه مثال يمثل جمال الإسـلام، وكمال الحبيب المصـطفى عليه أفضـل الصـلاة وأتم السـلام، ولا يلعن حيوان، ولا طير، ولا جماد، ولا آلة، كان ﷺ ســائراً مع أحبابه فِي سَــفَرٍ، وبينا امرأة من الأنصار على ناقتها فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ:

ؤى ء ﻫ غ ء غ ﷺ

{ خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ } [٢٩]

أمرهم أن يتركوه يهيم في الصـــحراء ..... لأنـه لا يريد أن يكون معه جمل ملعون، وأيضاً :

{كانت السيدة عائشة مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَعَنَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَدَّ، وَقَالَ: " لا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ "} [٣٠]

أما من يلعن الإنســـان، إن كان إنســـان لعنه الله فهذا أمره مباح، كمن يلعن أبو جهل، أو يلعن إبليس، أو يلعن اليهود، لأن الله لعنهم في كتاب الله، أما إذا كان مؤمناً فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلا وَإِلا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا } [٣١]

ترجع اللعنه على قائلها، وأمرنا ﷺ أن ننهي أنفســـنا بلطف عن أن نكون ســـبباً في لعنة من نحن منســـوبين إليهم، إن كان الأب في النســـب، أو الأب في طريق الله، وهذه أشد، فقال ﷺ:

ؤى ه ء غن ق
ة ء غ هٰ غ ق
ى ء ء قهة هٰ ء غ ق ظق

{ إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ } [٣٢]

إذاً المؤمن لا يسب قط، ولا يلعن قط، حتى الآلة التي يستخدمها، كالسيارة، فتجد من تتعطل سيارته فيلعنها!!، هي بها عيب يريد الإصلاح!!، وبدلاً من لعنها اسأل لها الهداية مثلاً، قال ﷺ:

{ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا ، قَالَتِ الدُّنْيَا : قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ } [٣٣]

وقال أبو الدرداء ﷺ: ((**ما لعن أحد الأرض إلا قالت الأرض لعن الله أعصانا لربه**))[٣٤]ح

والأرض ليست عاصية، بل مطيعة لله ﷻ على الدوام، وكذلك الحيوانات والطيور والجمادات.

إذاً يجب على المؤمن دائماً أن يعمل بقول الله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة) فلا يخرج منه إلا الكلام الحسن.

ى ءغ ق ه ه هق
ء ءغ غ قم قم غ ق
أ ء ة غ ظ

الآفة السابعة:

ذو الوجهـــــــــــين

وحذر النبي ﷺ من آفة عظيمة من آفات النفاق، وهي أن يكون للإنسان لسانين، لسان يمدح به المرء في مواجهته وعند الجلوس معه، ولسان يذمه به ويقدح فيه عندما يغادره أو يتركه، وقال في ذلك ﷺ:

{ ذُو اللِّسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٣٥]

ه ز ﷺ!

{ شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَلْقَى هَذَا بِوَجْهٍ وَهَذَا بِوَجْهٍ } [٣٦]

ه قھ ء ها!

{ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ } [٣٧]

لكن المؤمن كلامه واحد، وهذه آفة من آفات المنافقين انتشرت في هذا الزمان، أن يمدح الإنسان الإنسان في مواجهته، فإذا تخطاه يبدأ يذم فيه، وليست هذه من عادة المؤمنين، ولا من أوصـــاف المتقين، وإنما أوصـــاف المتقين كما قال فيهم رب العالمين:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) صـــادقاً في كل أحواله.

ۂ ء ﭬ ﭬ ﮥ غ ﮭ ﭬ
ئ ء غ ء غ ء غ ق
ئ ء غ ق ہ ھ ء غ ق

الآفة الثامنة:

إفشـــــــــــاء السر

هناك آفات أخرى، وقد تكلمنا فيها قبل ذلك كثيراً، وأولها: إفشـــاء الســـر، فلا ينبغي لمؤمن أن يبيح سر مجلس من مجالسنا هذه، أو أي مجلس جالس فيه أي جالس، فلو جالسـت أي إنسـان في أي زمان ومكان، هذا المجلس خُتم بختم الأمانة، يقول فيه ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ } [38]

فلا ينبغي أن تبيح شـيئاً من هذا المجلس إلا إذا عرفت وتأكدت رضـا الجالس معك عن هذا الأمر، كيف أعرف أن هذا المجلس لا يذاع سره؟ قال ﷺ:

{ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ } [39]

أخاك يتكلم معك ثم التفت ليرى هل أحد قادم أم لا، فتعلم أن هذا الكلام أمانة ولا يذاع هذا الكلام.

وهذا الأمر يحتاج إلى درس طويل وأصـيل مع زوجاتنا وبناتنا وأولادنا، حتى يحفظوا أمانة الكلام ولا يذيعونه إلى الآخرين، كما كان ﷺ يُعلِّم رجال ونساء وصبيان المســلمين، والكلام في ذلك يطول، وقد تكرر الكلام فيه أكثر من مرة وخاصـــة في حادثة الهجرة.

ؤءغ نغ غ غ ه غ غ غ ا ء ق

ؤء غ ہھ قھة ق

فإفشاء السر يمنع البر عن الإنسان، قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((أول ما نأتمن عليه السالك في طريقنا أن نذكر له بعض أسرارنا الخاصة، فإذا أباح بها فهو غير أهل لحمل الأسرار الإلهية)) إذاً حتى يحمل الأمانة لا بد أن يكون متصف بصفة المرسلين وهي الأمانة.

لو حدثك أخاك بحديث وليس معكما جليس فيكون كما قيل: ((نحن قوم إذا قمنا من المجلس فكأننا لم نجلس)) كتماناً للسر وحفظاً للعهد ووفاءاً بالبر الذي علَّمنا إياه سيدنا وإمامنا ورسولنا صلوات ربي وتسليماته عليه.

كتمان السر سبب كل بر يأتي من الله، وكل وصل يأتي من لدن حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

الآفة التاسعة:

عدم الوفاء بالعهد

أيضاً من الآفات المذمومة عدم الوفاء بالعهد، فالمؤمن إذا وعد وفَّى، حتى ولو كان شيئاً بسيطاً إذ يروي سيدنا عندالله بن عامر ﷺ فيقول:

{ : دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّه ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ : هَا تَعَالَ أُعْطِيك، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ : " وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيه ، قَالَتْ : أُعْطِيهِ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ " } [٤٠]

إذا وعدت أولادي بشـــــيء فلا بد أن أوفي، فإن لم أســـتطع أن أوفي فلا أعد، وزوجتي حتى أكون صادقاً معها لا بد أن أوفي ما وعدتها به، فإن لم أستطع أن أوفي فلا أعد، ولكن يكون كلامي عام.

لا أقول لإبني إذا نجحت سأحضر لك كذا، ولكن أقول له: إذا نجحت وأكرمني الله ربما أحضــر لك كذا، وبذلك أكون قد خرجت من الوعد، لكن إذا وعدت فلا بد أن أوفي.

وكذلك مع الأحباب، لا يجوز أن يقول الإنســـان في وعد وعده لأخيه إني كنت أمزح، ســـيدنا عبد الله بن عمر ﷺ كان يحج بيت الله الحرام ويطوف بالبيت، وجاءه ســـيدنا عروة بن الزبير وخطب منه ابنته، فلم يرد على الكلام لأنه كان في الطواف، وكان يقول عن الطواف: ((إنا نترائى ربنا في طوافنا)) فذهب إلى المدينة فجاءه مرض الموت، فجمع أولاده وقال لهم: إني كنت قد وعدت عروة بالزواج من ابنتي فلانة، وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق فزوجوه، إذاً الإنسان لا بد أن يوفي بالوعد.

ة أ ع قهةه ة غ قغ

آفات اللسان المحرَّمة[41]

لنا وللصالحين علامة في العبد الموفق، والعبد الموفق هو الذي يوفقه مولاه في القول الذي يرضـــي به من حوله من خلق الله، لأن الناس تألفه وتحبه وتنجذب إليه، ولذلك علامة الســـالك الحق في طريق الصـــالحين أن تجد كلامه كســـيد الأولين والآخرين ﷺ، فقد قيل في شـأنه: ((كان كلامه نذراً)) أي قليلاً.

لا يتكلم كثيراً ولكن ينطق بحســـاب، وكان كلامه ﷺ ومَن بعده ممن نهج على نهجه بلسم شاف لكل من حوله، لأنه يتخير كلامه، ولا ينطق إلا بما يحب أن يسمعه من غيره، ولو وزن الإنسـان أقواله بهذا الميزان لصح وصدق في البرهان وكان من الصادقين في طريق الحنان المنان ﷻ.

لا تنطق لغيرك إلا بما تحب أن تسـمعه من غيرك، كلام تتأفف إذا سـمعته من إنسـان لماذا تقوله لغيرك من بني الإنسـان؟! والبعض قد ينسـاق إلى ذلك، ويدَّعي أن ذلك من باب المزاح والمداعبة، قد تكون الكلمة التي تظن أنها مداعبة جارحة لمن تُحَدِّثه!! ولك الاسـوة الطيبة في رســول الله ﷺ عندما كان يداعب، فكان ميزانه صلوات ربي وتسليماته عليه وميزان الصالحين:

ى أغ قه ئى ق غ ىٔ ء ئى م ئلخئلخئى ةى نـ

{ **إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا** } [42]

والمزاح إذا انزلق قليلاً يصير سخرية فيتأذى منه مستمعه، فيحتاج إلى ميزان دقيق حتى يكون المزاح عاماً في أمر عام، وليس خاصـــاً في أمر خاص، ولذلك كان الصالحون - ولا يزالون - يُقيِّمون السالكين بما ينطقون.

الكلمة الطيبة

أحياناً تكون كلمة من اللســـان أشـــد من طلقة من بندقية، لأن الطلقة تصـــيب الجسم، أما الكلمة فتصيب القلب، وتهزم الروح المعنوية في الإنسان، والكلمة قد تدمر الإنســـان من داخله، ولذلك نحتاج في مجتمعنا جميعاً الآن إلى الرجوع إلى مجتمع الحبيب المختار، وأصـحابه المزينين بالأنوار في اختيار الألفاظ التي تســر الإنســان وترفع روحه المعنوية، وتُعلي إرادته، وتوقظ همته.

ولعل ذلك ما كان عليه ﷺ منتحياً إياه في دعوته حيث يقول لصحبه الكرام:

{ **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا** – وفى رواية (**وسَكِّنُوا**)- **وَلا تُنَفِّرُوا** } [43]

لا يســوق الناس إلى الله ﷻ وإلى العمل الصـــالح إلا البشــريات والكلمات الطيبات، أما الذين يســتخدمون القهر والشــدة وجهنم والعذاب فإنهم يصــيبون الناس بالإحباط واليأس،

ى أ غ غ ق
ء أقهغ قه ع هغ غ ع لح

وإذا كانوا يعملون قليلاً يدفعونهم إلى ترك العمل بالكلية، أهكذا كان الحبيب ﷺ؟! كلا والله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران) شفوق وعطوف ورحيم وودود صلوات ربي وتسليماته عليه.

فأكبر جهاد للنفس جهاد آفات اللســـان، على ســـبيل المثال: عندما أريد أن أكلم إنســـاناً كلمة أفكر فيها كثيراً قبل أن أقولها، حتى أختار الكلمة المناســـبة له، فالأمر يحتاج إلى الروية.

والجهاد الأعظم في إمساك اللسان في ساعة الغضب، لأن الإنسان إذا تكلم وهو غضـــبان، أفلت الزمام من يده، ويطلق الألفاظ، ثم بعد ذلك يفكر، ويقول: أنا أخطأت في هذه وهذه؟! لماذا؟!! احكم الرمية أولاً.

الجندي الماهر هل يضرب أولاً أم يصوب ثم يضرب؟! يصوب أولاً، وكذلك الكلمة، لا بد أن أفكر فيها قبل أن أقولها، لمن أقولها، ولماذا؟ ولا بد أن يكون في وقت روية وحلم، حتى لا يخرج من اللســـان شـــيء يعاتبني عليه القلب والجنان، فالإنســـان أحياناً ينطق بكلمة ثم يظل يلوم نفسه ليالي متتالية على هذه الكلمة، لماذا قلتها؟!.

المؤمن السالك في طريق الله ﷻ لا يصل إلى ذلك، لكن يتدبر ويتفكر ويتروى قبل أن ينطق بأي كلمة، حتى يسير على منهج الله الذي يقول فيه الله في الصادقين من عباد الله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ إذا وصلوا إلى هذا الهَدْي فيكون:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

لماذا؟ لأن ما بينك وبين الله شيء هين أمره، فالله غفور ورحيم وحليم وتواب وكريم، ويقول دوماً:

{ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً } [٤٤]

قتل غ ذا!

{ غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي } [٤٥]

وعندما يأتي يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش ويقول:

أ أ ﻫ ه ء ق

ﯖ أ ﻐ ﻍ ظ غ ء ﻘ ق

{ يا أمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي } ٤٦

إذاً العثرة التي ســـتوقفنا هناك هي ما بيننا، فالحكيم الذي يخرج من الدنيا للقاء العزيز العليم وليس عليه مطالبات من الناس أجمعين، إلا الحاقدين والحاسدين وهؤلاء كفيل بردهم ورد غيظهم في نحورهم رب العـالمين ﷻ! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج)

لذلك هناك آفات للسـان محرمة على الإنسـان تحريماً باتاً، لا يتسـامح مع نفسـه ولو مرة واحدة في محرم من هذه المحرمات، لأنه قد يكون العائق له من دخول الجنة يوم الميقات، فصـــاحبه يريد حقه، والله ﷻ وعدنا ووعد الكل أنه لا يظلم أحداً:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصلت)

أولاً:

الغِيبَـــــة

أول هذه الآفات الغِيبَة، والبعض ينطقها الغَيْبَة، لكنها في اللغة الغِيبَة، والغيبة عندما سُئل رسول الله ﷺ عنها قال:

ئ أبم هع ـ ق ـ هوهغ غ غ هـ بم قه ق ع غ غق غغ ه غ بمط ه
عة بم ق ق! ع غ ه غ غ غبمغ غ غ! ع ق غ ظغ غ

{ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ } [47]

إذا تكلمت سواء في وجوده أو في غيابه بكلام لا يحب سماعه عن نفسه، وبيَّن الرسـول ﷺ أثر هذا الكلام في مواقف عدة، فالسـيدة عائشـة رضـي الله عنها تحكي إحدى هذه المواقف فتقول: كان النبي ﷺ يتحدث عن السـيدة صـفية زوجته، فقلت: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ:

{ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ } [48]

فما بالكم بالكلام الذي نسـمعه في هذه الأيام؟! إنسـان يتكلم وأنا أسـمعه لكن لم أنهه أو أغادر المجلس، فهذا يجعلني شريك متضامن معه في الإثم، قال ﷺ:

{ الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ } [49]

وعندما وصف الله اليهود بالصفات التي لا يحبها فيهم قال: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ (٤٢المائدة) إذاً ماذا أفعل؟ ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) إما أن تنهاه، أو تذب عن أخيك الغيبة، قال ﷺ:

{ مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ } [50]

يقيه من النار لأنه وقى عرض أخيه المؤمن، وبالله عليكم تصـــوروا لو وُجد مجتمع طبق هذه القاعدة فقط، مجتمع ليس فيه غيبة، كيف يكون حاله؟.

ئ أ ه ه ع غق
ؤ أ ع قهةه ه
ؤ أ قي غ ظ ه غ غ
ة ئ ع ه غ ع ظ ق

ثانياً:

اللمـــــــــز

والغيبة قد تكون باللســـان، وقد تكون بالحركات، كما نرى بعض الناس يشـــير إلى إنسـان ويصـدر منه حركة بعينه أو بلسـانه أو بيده، فهذه غيبة حركية لا يرضـاها الإسلام، وحذر منها نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

حتى العيوب التي في أخي طبيعية أمرني الله ﷻ ونبيه ﷺ أن لا أذكرها لأنها تكون معايرة له بما لا دخل له فيه، معايرة للصانع ﷻ.

رجل أعمى، أو رجل أعور، أو رجل أعرج، أو به أي عيب من العيوب، ما ذنبه؟! فالذي يعيب يعيب على الصانع ﷻ، وحاشا لله سبحانه وتعالى.

والذي يعيب على اللون، مَن الذي يلوِّن نفســـه؟! والذي يعيب على التقاطيع، فمن الذي يرسـم نفســه؟! ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (٦آل عمران) وقال الله ﷻ في هذه جميعها وأشـــباهها: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (١١الحجرات) وتلمزوا أي تعيبوا، لكن هل هناك أحد يعيب نفســـه؟! نعم فأخوك هو نفسك، فإذا عبت أخاك فكأنك عبت نفسك.

جعل الله ﷻ في القرآن أخوك هو أنت، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ (٦١النور) وهل أنا عندما أدخل بيتاً أقول السلام على نفسي؟ لا، لكن إذا دخلت بيت أخيك فسلمت عليه فكأنك سلمت على نفسك، وكذلك إذا عبته فكأنما عبت نفسك.

﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ ﴾ (١١الحجرات) فلا يجوز أن نعيب بعض بهذه الألقاب؛ فلان الأعمش، أو فلان الأعور، أو فلان كذا، فهذه أشياء لا تنبغي، وأظن أن الإسلام سبق البشرية كلها في هذا الحق لأصحاب الإعاقة في المجتمع كله قبل أن تظهر حقوق المعاقين، وجمعيات المعاقين في هذا الزمن المعاصر، لأن هذا من لحظة نزول القرآن، وكان النبي ﷺ وصحبه الكرام مضرب المثل في ذلك.

مواهب ذوي الاحتياجات الخاصة

كان النبي ﷺ عندما يخرج إلى الغزوات ينيب مكانه في ولاية وحكم المدينة رجل أعمى وهو عبد الله بن أم مكتوم، ينوب عن حضـــرة الرســـول في الصـــلاة بالمســـلمين وفي حكم المدينة، ولذلك أصـــر عبد الله بعد انتقال حضـــرة النبي في الفتوحات الإســلامية أن يذهب مع المســلمين في فتح العراق، وطلب منهم أن يمســك باللواء، مع أن الذي يمســك باللواء قائد الجيش، وأن يوقفوه على صــخرة، فقالوا: لِمَ؟ قال: أنا أعمى وإذا أوقفتموني على الصخرة فلن أتحرك من مكاني فيصمد الجيش في مواجهة الأعداء.

وعندما أراد الوليد بن عبد الملك أن يفتح بلاد الأندلس رأى في منامه أن قائد الفتح رجل أعرج، فانتدب الناس للجهاد فجاءه موســى بن نصــير وكان أعرج، وقال: أنا الذي رأيتني في المنام وأنا الذي سيكون الفتح على يدي.

صــفحات ناضــرة مليئة في الإســلام بهذه النماذج الطيبة، اهتموا بها فأظهرت المواهب الكامنة، لأن الله ﷻ جعل في كل إنسـان مواهب خاصـة به أعدها له حضـرة الرحمن ﷻ.

فالغيبة بالكلام، والغيبة بذكر العيوب التي لا يخلوا منها إنســـان، فمن الذي لا يخلوا من العيوب؟!! من الكامل؟ فقط رســـول الله ﷺ، وكل من ســـواه لا يخلوا من العيوب، وكل ما في الأمر أننا نطلب من الستار أن يستر هذه العيوب.

وكما يقول بعض القوم: ((لو تخلت عنا عناية الستار لرجمنا الخلق بالأحجار)) عناية الله ﷻ وستر الله ورعايته.

مواضع يباح فيها الغيبة

فالغيبة لا تنبغي لأي مؤمن إلا في بعض مواضـع أباح العلماء فيها الغيبة، منها إذا تظاهر إنسان بالفسق وأعلن به، وأخذ يجاهر به ويباهي به، وكلما يجلس في مكان يقول: أنا أفعل كذا وكذا، هذا قال فيه ﷺ:

{ لَيْسَ لفاسِقٍ غيبَةٌ } [51]

لأنه بدأ بنفسه، ولم يستر نفسه، أو إذا كنت أقدم واقعة حدثت بيني وبين إنسان للحاكم، أو للقائد ليأتي لي بحقي، فأذكر تفاصـــيل الواقعة على ســـبيل التظلم، وكذا الاســـتعانة على تغيير المنكر، وأيضـــاً ذكر الأمر للمفتي للإســـتفتاء ومعرفة الحكم الشرعي، وأيضاً إذا ذكر المسلم أمراً لإخوانه المسلمين ليُحذرهم من الشر الذي فيه، قال ﷺ:

ى ء ه ي غ ق ه غ غ غ ط غ ه

{ حَتَّى مَتَى ترعون عَنْ ذِكْرِ الْفَاسِقِ؟ هَتِّكُوهُ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ } [52]

وفي رواية أخرى:

{ أَتَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ كَيْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ وَيَحْذَرَهُ النَّاسُ } [53]

وإذا اشـتهر امرؤ بين الناس بلقب كالأعمى والأعرج؛ فذكره بهذا الإسـم ليس بغيبة، لكن غير ذلك لا يحل لمسلم أن يستبيح عرض مسلم:

{ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ } [54]

□

ى ئ غ غ
ء ئ غ هـ غ
أ ئ غ هـ قهق ع غ ق

كفارة الغيبة

نفرض أني اغتبت إنساناً في طور كنت لا أستطيع فيه جهاد نفسي، كيف أكفر عن ذلك؟ بأن أندم على ما قلت، وأتوب إلى الله ﷻ، وأتأسف على ما فعلته، ثم أستحل من المغتاب وأستغفر له، فإذا استطعت أن أجعله يسامحني ويعفو عني فقد أحسنت، وإذا كان الأمر أمراً لا أستطيع أن أخبره به - وإلا زادت الجفوة - فعليَّ أن أتصدق وأستغفر له، وأدعوا الله ﷻ له حتى أتأكد من أنني كافأته مقابل الذنب الذي وقعت فيه نحوه، حتى أدخل في هذا الحديث النبوي، قال ﷺ:

{ رَجُلانِ منْ أُمَّتي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّة، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِه شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي، قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآلِه وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا، أَوْ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا، أَوْ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآلِه وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: اتَّقُوا اللهَ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ } [٥٥]

□

ئ ئغ غ قم ع ق

بذلت ما في وسعي، وبذلت ما في طاقتي حتى أصحح خطأي، لأن آفة الغيبة أنها تدمر حسنات الإنسان وتنقلها إلى غيره، فلو اغتبت إنساناً فإنه يوم القيامة يؤخذ من حسناتك ويضاف إلى حسناته حتى يرضى، ولذلك ذهب رجل إلى الحسن البصري ﵁ وقال: فلان زعم أنك اغتبتني، قال: وهل أنا غافل حتى أعطيك حسناتي؟! لن يحدث ذلك أبداً.

ومَثل المغتاب ويجتهد في العبادات كمثل رجل يكسب في اليوم آلاف الجنيهات، ويدمرها في لحظات، ويبيت مديناً، لأن حسناتك تذهب إلى من اغتبتهم أو تكلمت في حقهم كما أنبأ القرآن، وكما بين النبي العدنان ﷺ.

إذاً المؤمن يحرم على نفسه تحريماً باتاً الغيبة لأي مسلم، أما الأمور العامة التي نسمعها، إذا لم تشهد عيني فلا يُخطيء لساني، وهذه غيبة منتشرة بين الناس، يقول أحدهم فلان حرامي، أو فلان ظالم، فهل رأيته؟! فالسماع ليس بحجة، وما دمت لم تره فلا تقع في عرضه، ويجب أن أنزه لساني عن مثل هذه الأقوال.

إذاً المســـلم والمؤمن إما أن ينطق بذكر الله، أو ينطق بنصـــيحة لعباد الله، أو يسكت: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١١٤النساء).

ولي رجاء عند الأحبة أتمنى أن يأتي يوم وأجد الكل لا يســـمع من الكل إلا الألفاظ التي يحبها، والكلمات التي يعجب بها، فمعظم الإحن في الصـدور، وما يحدث من غل وغيره في القلوب ســـببه كلمة، فيجب أن تزن الكلام حتى تكون على خير اقتداء بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ثالثاً:

النميمة

أما النميمة :

فهذه من أخلاق الشـــياطين، لان النميمة هي الكلام الذي يُنقل من إنســـان إلى إنسـان على سـبيل الوقيعة، نحن ننقل الخير، والكلام الذي يسـر، والكلام الذي يُفرح، اما الكلام الذي يُغير تقاطيع الوجه، والكلام الذي يســـيء، والكلام الذي يبدل المحبة بين الأحبة فهذا عمل الشياطين، ولذلك قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ } [٥٦]

والقتات هو النمام!!

وهذا لا شأن له بالجنة، لأنه كيف ينقل كلام من مؤمن لمؤمن حتى يوقع بينهم؟! وحتى يصنع فتنة بينهم، وحتى يُحدث قطيعة بينهم!!.

نحن نؤلف بين الأحبة ..ونزيد المحبة بين أهل المحبة، ونزيل الجفا ...

حتى يكون أهل المحبة كلهم في صـــفا ونقا ووفا، لكن لا نعكر القلوب بهذه الكلمات التي نهى عنها علام الغيوب ﷻ.

ئ ئغ ق ه ه غ ن ق

فلا يوجد سالك في طريق الله ﷻ مبتدئ وفيه خُلق النميمة، لأن هذه من الأخلاق الذميمة، والتي من مشى عليها فهو من ورثة الشيطان والعياذ بالله ﷻ، يقول فيهم ﷺ:

{ شِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ } [٥٧]

آفة نقل الكلام

آفة الآفات في هذا العصر نقل الكلام، لا بأس إذا نقلنا الكلام الحسن، والكلام الحلو، والكلام الذي لا يضر، لكن الكلام الذي يقطع بين الأحبة المؤمن منه بريء وبعيد منه بعد المشرق والمغرب، فلا بد للإنسان أن يعاهد نفسه أن لا ينقل إلا ما يحب أن يُسمعه غيره.

فضيلة كتمان الأسرار

ودائماً صدر المؤمن واسع، وأنا أرى أن السالكين الصادقين أطباء بارعين نفسيين لأهل المجتمع أجمعين، فالناس مهمومة وموجوعة من كثرة المشاكل، وتريد من ينصت لها ويسمعها، وتبث له شكواه، وتعرض عليه مشاكلها، وتستشيره وتستنيره ولا يسمع بذلك أحد، ولن يجدوا ذلك إلا عند الصالحين والصادقين من أتباع الصالحين.

ئ ئ غ غ ه ع ع غق

الصالحين والصادقين من أتباعهم شعارهم ((صدور الأحرار قبور الأسرار)) وهذا كمهنة الطب، لكنه طب راقي، طب نفسـي، وطب قلبي، وطب روحاني، فأنا أسمع أخي هذا وأهدأه، وأسمع أخي هذا واطمأنه، وأسمع أخي هذا وأعطيه روشتة من كتاب الله، واسمع أخي هذا وأعطيه روشتة من كلام سيدنا رسول الله، وأستل الضـغينة التي عنده من أخيه أو من غيره، لكن من يعرف بأمره؟ أنا وهو والله ﷻ، وكانوا يقولون: السر بين اثنين فإذا ذهب إلى ثالث شاع.

لا أخبر زوجتي ولا غيرها، فإني إذا أخبرتها وقلت لها أن لا تخبر أحد، وهي قد تكون غير مسيطرة على نفسها كما ينبغي، لأن السالكات من النساء أقل من القليل، قال ﷺ:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا أَرْبَعٌ } [٥٨]

فقد تهمس في أذن أمها أو أختها أو ابنتها أو جارتها، وتقول لها لا تخبري أحد، والأخرى نفس الأمر، فيذيع السر.

ؤ ﺋﻐ ء ق

لكن الرجال غير ذلك، فالسر الذي أسمعه يندفن، ولذلك يأتيني أحدهم ويقول لي لقد قلت لك موضــوع كذا، فأقول له: لا أذكر، ذكرني به، لأني أدفنه بعد ســماعه مباشرة، لأن هذه أسرار الرجال، والذي لا يؤتمن على أسرار الرجال في الدنيا كيف يؤتمن على أســرار الواحد المتعال ﷻ؟! كيف يأتمنه الله على أســراره؟ وكيف يجعله الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه مستودع أنواره؟!.

إذاً لا بد أن نعاهد أنفسنا أن لا ننقل الكلام خاص أو عام، إلا ما يسر الأنام حتى نفرح وتبيض وجوهنا يوم الزحام؛ يوم العرض على الملك العلام ﷻ.

رابعاً: الكذب

إذاً هذه الآفات ينبغي أن يكون مبرءاً منها كل المســلمين وليس الســالكين فقط، لقوله ﷺ عندما سأله أحد أصحابه:

{ يَا نَبِيَّ اللَّه ، هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ : قَدْ يَكُونُ ذَاكَ ، قَالَ : هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ : قَدْ يَكُونُ ذَاكَ ، قَالَ : هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ : لا : ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)) }[٥٩].

ؤ ئ ق ق ه غ ق ه

والله ﷻ عندما نادانا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) وأرفع المقامات وأعلى الدرجات بعد مقام النبوة مقام الصديقية.

ما الروشـتة التي ينال بها المرء إن كان رجل أو امرأة هذا المقام؟ فهناك امرأة قال الله في شأنها ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ ﴾ (٧٥المائدة) قال الخبير ﷺ في هذا الوصف:

{ إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا } [٦٠]

المؤمن دائماً وأبداً صادق القول، حتى في المزاح يقتدي بقول رسول الله ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا } [٦١]

لا يبيح لنفسه حتى في المزاح أن يصل إلى الكذب، وكان العرب – سبحان الله- أكبر وصـمة عار يتبرأون منها جميعاً هي الكذب، فإذا كذب الرجل بينهم مرة هزل شأنه، وضاعت هيبته بين العرب جميعاً، فكانوا محافظين على الصدق حتى قبل بعثة الحبيب ﷺ.

حتى أن أبا سفيان عندما استدعاه هرقل عظيم الروم وسأله عن النبي ﷺ، قال بعد هذه المداخلة: لولا أن يؤثر العرب عني كذبة لكذبت في هذا اليوم!! يخاف من الفضيحة أن فلان هذا كذاب، فضيحة عظمى ليس لها علاج.

وطريق الله ﷻ يحتاج إلى الصدق في الأقوال، والصدق في الأفعال، والصدق في الأحوال، والصـــدق مع الرجال، والصـــدق مع كتاب الله، والصـــدق مع حبيب الله ومصطفاه في كل شأن من شئون الإنسان في هذه الحياة، ليكون مع الصادقين الذين قال فيهم الله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء) ولذلك لا يكذب المؤمن البتة.

الكذب المباح

وما أبيح من ألوان الكذب التي ذكرها الســـادة العلماء الأجلاء، وهي الكذب في الحرب لأن الحرب خدعة، أو الكذب في الصـلح بين متخاصـمين، وهذا الكذب معناه أن يثني عليه بلسان الآخر وإن كان الآخر يذمه، والكذب على زوجته ليرضيها، وقد قلنا ســـابقاً أن الكذب على الزوجة ليس معناه الكذب في دخله من المال مثلاً، لكن الكذب هنا أن يحاول دائماً أن يســـتأثر بها فيمدحها، فيقول مثلاً: لا يوجد مثلك، أنت أجمل من رأيت، وأنت كذا وكذا .. كلمات الحب والوداد التي تقرب قلوب النساء، لأنه لو لم يقل لها هذا الكلام فربما تود أن تسمعه من غيره.

حتى هذه الكذبات قال عنها السـادة العلماء الأجلاء أنها لا تكون إلا في الضرورة القصوى التي ليس له باب غيرها، والضرورات تبيح المحظورات، كبعض مدَّعين العلم يقولون كلام وينسبونه لرسول الله على أنه حديث، وإذا قيل له: ليس هذا بحديث، فيقول: أعلم ولكني أريد أن أحبب الناس في ذلك!! هل تريد أن تكذب على رسول الله لتحبب الناس في الحديث؟!! ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ:

{ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } [62]

وبعضهم يكذب على الصالحين ليحقق مصلحة، وهذه آفة منتشرة بين الذين في قلوبهم مرض من مدَّعي السلوك في طريق الله ﷻ، يريد مصلحة من أخيه فيقول له: قال لي الشيخ اذهب إلى فلان وقل له كذا وكذا، والشيخ لم يقل له شيء!! لكنه يريد مصلحة له.

ولذلك أنا نوهت كثيراً في هذا الأمر، من يقل لك الشيخ يقول كذا، لا بد أن ترجع إلى الشيخ أولاً، لأن هذه الأمور في المعاملات، كالبعض يريد أن يستدين مبلغاً، فأقول له: ابحث عمن يعطيك هذا المبلغ، ولا شأن لي بذلك، فيذهب إلى أحد الأحباب ويقول له: الشيخ أمرني أن أذهب إليك لتعطيني مبلغ كذا، فيصدقه ويعطيه، وبعد مدة من الزمن يأتيني يقول لي: فلان الذي أرسلته لي أعطيته المبلغ ولم يرد، فأقول له لم يحدث، لماذا لم ترجع لي أولاً؟!.

ىئ غ ه ع ع غ ق٨ق

قد كان منتشـر بين المسـلمين في كل بلاد الله في السـابق القرض الحسـن، وهو الذي قضي المصالح، ما الذي جعله ينتهي؟ هذه الأساليب من الكذب، فقد قتلت الثقة، وأســاس الثقة بين المســلمين في أي أمر إن كان بيع أو شــراء أو قرض أو أي تعامل الصـــدق، لكن الرجل الكاذب كما قيل: يُقرب إليك البعيد، ويُبعد عنك البعيد! لأنه خادع، وقال ﷺ:

{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ } [٦٣]

ولا يوجد منافق سالك في طريق الله ﷻ.

المعاريض

كيف كان يخرج الصــالحين من هذه المطبات؟ كما فعل سـيدنا رسـول الله ﷺ، وكما فعل سيدنا إبراهيم بشيء إسمه المعاريض، يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ } [٦٤]

والمعاريض كلمة يقولها المرء تحتمل معنيين، فأنا أقصد معنى وهو يفهم معنى آخر، وبذلك أكون غير كذاب، وحتى في المعاريض قال العلماء: لا يلجأ الإنسان إليها إلا إذا لم يجد بد منها.

ءىغ   قهه   ء   غق
أئ   غ   هـ   غ   غن   غ   ق

سيدنا إبراهيم دخل مصر وزوجته السيدة سارة كانت أجمل نساء الأرض بعد حواء، وملك مصر كان رجلاً ظالماً، وإذا سمع عن امرأة جميلة يأخذها، فبلَّغه أعوانه عن السيدة سارة، فأرسل ليأخذها، وكان من عادته أنه إذا كانت المرأة معها زوجها يأخذها، وإذا كانت معها أخوها لا يأخذها، فقال لها إبراهيم أخبريه أنك أختي، هي زوجته ولكنها أيضاً أخته في الدين، فهل هذا كذب؟ لا، ولجأ لذلك للضرورة القصوى.

وأيضاً طلب منه قومه أن يخرج معهم عند أصنامهم في عيدهم فقال لهم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (٨٩الصافات) سقيم من أفعالهم التي يفعلونها عند الأصنام، فهل هو صادق أم لا؟ صادق، ولكن الكلام فيه تورية، واضطر لذلك لأن الدعوة كانت في بدايتها وإذا خرج لن يستطيع أن يبلغ رسالة الله ﷻ.

وأيضاً كسَّر أصنامهم، فقالوا لم يفعل ذلك إلا إبراهيم لأنه يذكرهم: ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (٦٠الأنبياء) فسألوه: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ (الأنبياء)

وأشار بأصبعه الكبير على الصنم الأكبر، هو يقصد أن من فعل ذلك أصبعه أو يده، وهم فهموا أنه يقصد الصنم، لذلك هو لم يكذب، لكن ورَّى بالكلام للضرورة، والضرورات تبيح المحظورات.

إذاً حتى المعاريض لا نأخذها في أي أمر، ولكن نعمل بقول الإمام علي رضي الله عنه: ((إن كان الكذب ينجي فالصدق أنجى)).

خامسا: اليمين الكاذبة

والكذب الأشد والأشنع إذا كان في يمين، لأنه يكون يمين زور، واليمين الزور كبيرة من الكبائر تُخَلِّد صاحبها في النار إلا إذا تاب عليه العزيز الغفار عز وجل.

فلا ينبغي لمؤمن مهما كانت الظروف أن يحلف بالله عز وجل، أو يشهد شهادة كاذباً، فأشد الجرائم في المجتمع سببها شهادة الزور، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّه، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ }[٦٥]

أكبر الكبائر قول الزور لأنه يغرر الناس، ويضيع ثقة الناس في بعضهم، لذلك المؤمن لا يقول إلا صدقاً، ولا يشهد إلا حقاً، ولا يشهد إلا ما رأت عيناه، وسمعت أذناه، حتى تكون شهادة حق، ولا يكتم الشهادة لقول الله: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلْبُهُۥ ﴾ (٢٨٣البقرة)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ئئغ ق ه ه هـ ق



الوصل السابع

مفاتيح كنوز فضل الله

المفتاح الأولى:

تركه ما لا يعنيـــــــــه

المفتاح الثاني:

تطـــــــــهير القلب

المفتاح الثالث:

الصمـــــت

المفتاح الرابع:

الإكثـــار من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ



ذكر اللسان

ذكر القلب

ذكر الجوارح (ذكر العين)

ذكر الأذن

ذكر اللسان

منزلة الذاكر لله

ضرورة الورد للمريد

آداب ذكر الله للمنفرد

آداب الذكر في جماعة

الذكر والتصفية

من كنوز أحاديث الذكر

الوصل السابع:

مفاتيح كنوز فضل الله[1]

نختم هذه الدروس من آداب المحبين لرب العالمين بوصية جامعة، وهي روشتة تحتاج إلى العمل لمن يريد تحقيق الأمل، فقديماً قالوا:

العلم يهتف بالعمل فاعمل تنل كل الأمل

والشيء الذي نعاني منه في هذه الأيام كثرة المتحدثين، وهمجية المستمعين، وقلة العاملين، وهذا كلام الله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ ﴾ (٢٤ص) ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣سبأ).

ولذلك كان بعض الصالحين يحذر كثيراً مريديه وأحبابه من قولة (مثلي مثل الناس) ومعنى ذلك أنه مثل الأكثرية، ولو نظرنا إلى الأكثرية في كتاب الله نجدها ضالة: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١١٦الأنعام).

لكن أهل الله، وأهل فضل الله وكرم الله وعطاء الله: ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ (الواقعة) نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

[1] ى غ ق ه ى ى ق غ ى ء ئ ى م ى خ خ ئ ى ة ى ن

مفاتيح كنوز فضل الله

فهذه الروشتة جامعة:

فمن أراد أن تُفتح له كنوز فضـــل الله، وأن ينال من الله ﷻ قربه وعطاياه، وأن يكون قريباً قرباً قلبياً في مشاهد روحانية مع حبيب الله ومصطفاه؛ عليه أن يعمل بهذه الوصية الجامعة المجموعة في أربع نقاط أو قل أربع مفاتيح في أربع أحاديث لسيدنا رسول الله ﷺ.

المفتاح الأول

تركه ما لا يعنيه

لا يتدخل في شئون غيره،!

ولا يُدخل نفسه في أمر ليس له فيه شأن ...

لأنه مشغول بالله، وقيل: (المشغول لا يُشغل) .

والأساس في هذا البند العمل بالقول النبوي:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [2]

المفتاح الثانى

تطهير القلب

فعليه أن يُطهر قلبه - وهو موضـــع العطايا الإلهية، وســـر الإجتباء، وســـر الإصطفاء، وسر تنزل عالم النور والضياء والبهاء - من كل ما يشغله عن الله ﷻ:

حتى يكون قلبه خالصاً بالكلية لرب البرية سبحانه وتعالى.

وصـاحب هذا القلب يقول فيه الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) سـليم من الحقد والحسد والبغض والكره والشح والأثرة والأنانية ...!

وكل الصـفات الإبليسـية والشـهوانية والحيوانية التي حذَّرت منها ونبهت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يصل في هذا إلى مقام:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } [3]

المفتاح الثالث

الصمت

إذا تناول هذا الدواء!

ى غ هـ هـ ع غق
ءغ ق هـ هـ ع ق

ثم زاد وتعاطى هذا الدواء فإنه – إن كان صـادقاً – سـيصـل إلى مقام يجد فيه نفسه صامتاً لا يتكلم إلا للضرورات!

ولذلك كان بعض الصالحين يقول:

إذا رأيت بعض المريدين يكثر من الكلام فلا تعبأ به لأنه لا يُرجى منه نفع!

فالطريق إلى الله ﷻ يحتاج - على الأقل - إلى العمل بقوله ﷺ:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ } [٤]

وعندما سُـئل ﷺ عن علامة النجاة لمن أراد أن ينجو من ظلمات هذه الدنيا ومضائق هذه الحياة، فقال ﷺ:

{ مَنْ صَمَتَ، نَجَا } [٥]

نجا من المطالبات، أو المحاسبات!!

أو الغفلات، فإذا وقع في غيبة أو نميمة أو سـب أو شـتم أو لعن أو غيره كان عليه مطالبات، وإذا تحدث حديثاً ولو لغواً كان من أهل الغفلات، ولكن طالب الله ﷻ وطالب رضـاه يبخل أن يخرج من فيه كلمة واحدة لا تكون موجهة لحضـرة الله ﷻ، أو ينال بها على الأقل رضاءه سبحانه وتعالى.

أغ ق ه ه ء غق

ۂ غ غق ه ء هق

فالصــمت دأب العارفين، وســلوك المتقين، وحال الســالكين المســتقيمين الذين يرجون فضل رب العالمين ﷻ.

المفتاح الرابع:

الإكثار من ذكر الله ﷻ

وذكر الله ﷻ؛ الكلام فيه والحديث عنه لا نســتطيع أن نوفيه وقته في هذا القدر القليل، ولكن حسبنا أن نقف مع بعض الآيات القرآنية التي وصفت ذكر الله ﷻ، الذي طالب به الصادقين من عباده الصالحين.

قال الله تعالى:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة) هذه الآية توضــح أن الذكر ذكران، ذكر بالقلب، وذكر بالقلب مع الجوارح، ولا شأن لنا بذكر اللسـان لأنهم قالوا: (ذكر اللسـان حسنات) وأهل القربات يريدون الذكر الذي ينالون به القربات والنفحات والعطاءات من الله ﷻ.

فقد كان الأكابر من القوم كســيدي أحمد البدوي ، وهو الذي يقول فيه تلميذه النجيب سيدي عبد العال: خدمت سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما وجدته غفل عن ذكر الله طرفة عين.

كان يقول هذا الرجل: (ذكر اللسان شقشقة) ذكر اللسان ستأخذ عليه حسنات، ولا بد منه لأهل البدايات، لكن لا أقف عنده إن أردت أن أصل إلى العنايات في النهايات، أبدأ به لكن لا بد أن أُشرك معه القلب والجنان حتى يُثمر ويُعطي الإنسان ما يتمناه من حضرة الرحمن ﷻ.

إذاً هناك:

ذكر للسان...

وهناك ذكر للقلب ....

وهناك ذكر للقلب مع الجوارح.

ذكر اللسان

ذكر اللسان هو المحدد في سُنَّة النبي العدنان، وفي كلام الله ﷻ ووصاياه في القرآن! ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١٣٠طه) هناك وقت محدد، ويقول فيه الله في الحديث القدسي:

{ ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا } [٦]

وهناك ذكر محدد بعد الصلاة، يقول فيه ﷺ:

ئغ ه غ هظ ع غق

{ مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صلاة ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَخَتَمَ الْمائَةَ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ }[٧]

فهذا ذكر اللسان، وهو محدد بوقت، أو محدد بصيغة، كقول النبي ﷺ:

{ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ }[٨]

كل ذلك وأشــباهه وأمثاله هو ذكر للســان: كالذكر عند الخروج من المنزل، والذكر عند الدخول للمنزل، والذكر عن بدء الطعام، والذكر عقب الإنتهاء من الطعام، والذكر عند هبوب الريح، والذكر عند نزول المطر، والذكر عند ركوب الدابة أو المواصلة في السفر، والذكر عند دخول المسجد، والذكر عند الخروج من المسجد ... وغير ذلك.

هذه الأذكار جمعناها في كتابنا (أذكار الأبرار) جمعنا فيه الأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ، وهذه لا بد منها في البداية حتى يتولى الله ﷻ العبد في النهاية، ويُذكِّره بها على الدوام، فلا ينساها نَفَساً ولا أقل.

ئ ﻫ ء ء غق
أغ قﻪﻫ ء غق

ذكر القلب

أما ذكر القلب فلا يكون إلا بعد صفاء القلب من كل الشوائب الدنيوية، والعلائق الإنسـانية، وإلا سـيكون ذكر في الأمور التي ذكرناها، لأن ذكر القلب الحقيقي التفكر والتدبر: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (٢٠٥الأعراف) كيف تذكره في نفسـك؟ تتدبر في آيات الله ﷻ التي في نفسك، لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (٢٠٥الأعراف) إذاً: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١الذاريات) وفي القراءة الأخرى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَهُ ﴾.

إذاً ذكر القلب الأصلي التفكر، ولكن التفكر بعد صفاء القلب، واستنارته بنور الله ﷻ.

إذا كان التفكر في وعد الله ﷻ ونعيمه، فهذا يؤدي إلى مقام الرجاء.

وإذا كان التفكر في وعيد الله ﷻ وعذابه فسـيؤدي إلى مقام الخوف: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن).

وإذا كان التفكر في الأسماء الإلهية، والصفات الربانية التي تهيمن على الكون عاليه ودانيه؛ فإن الكون كله مسير بسر الأسماء والصفات، فهذا الذكر يهدي الإنسان إلى معرفة الأسماء والصفات، أو إلى المعرفة، وبدايتها معرفة أسماء الله وصفاته جل وعلا.

كلها أفكار دينية من القرآن الكريم، ومن سُــنَّة النبي العظيم، وليس فيها أفكار دنيوية، لأن القلب طهر، ولا يفكر إلا في الجنة ودرجاتها، أو في الآخرة وأهوالها، أو في النار وعذابها، أو في صــفات الله ﷻ، وإما أن يفكر في حضــرة الذات والقرب منها، وكيف يحظى بالتجليات؟ وكيف يشـهد المشـاهد التي فيها مكاشـفات ومعاينات؟ وكيف يحظى بالملاطفات والمؤانســات؟ فهذا هو الفكر الحقيقي الذي هو: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (١٥٢البقرة).

وذكر الله ﷻ للعبد في هذا المقام؛ أن يحقق له المرام، يريد من الله كذا فيحقق الله له ما يريد، وهذا ذكر الله في هذا المقام.

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة) الشـكر لا يكون إلا بالجوارح التي خلقها الله في الإنسـان: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣سبأ) الشكر عمل.

وكى تكون الجوارح شـــاكرة لله لا بد أن يكون القلب حاضـــر مع الجوارح في العمل التي تعمله لله جل في علاه، لكن إذا عملت الجوارح بدون حضـــــور القلب، فيكون الإنسان في غفلة عن القريب ﷻ.

ذكر الجوارح (ذكر العين)

وذكر الجوارح يختلف باختلاف الأعضاء:

فذكر العين بأن ينظر بها إلى آيات الله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٠١يونس) ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (٦ق) فيكون ذكر العين النظر في آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية مع التدبر في معانيها العلية.

هذه آيات، وهذه آيات!!!

آيات تحتاج إلى تفكر، وآيات تحتاج إلى تدبر، فإذا قرأ القرآن يتدبر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤محمد)

وإذا نظر في السماوات وفي الأرض وفيما حوله وفي نفسه تفكر؛ فكر بيقين: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٩١آل عمران) الفكر هنا يحتوي على فكرة يعقبها نظرة يعقبها عبرة:﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (٢الحشر).

ولذلك عندما يتفكر في خلق السماوات والأرض يصل إلى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٩١آل عمران).

ذكر الأذن

وذكر الأُذن في هذا الحال سماع تسبيح الكائنات:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء)

فيكشف الله ﷻ القناع عن الأسماع، ويزيل منها الوقر: ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (٢٥الأنعام)

فتنفتح آذان القلب فيسمع كل الكائنات مسبحة لله ﷻ، ليس بلسان الحال كما يقول بعض الصالحين، وإنما بلسان فصيح يسمعه كُمَّل العارفين.

يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ في كتابه (مصباح الأرواح ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك):

ثم وصلت إلى حال رأيت كل ما فيَّ يذكر الله ﷻ وأسمعه بصوت فصيح، فالشعر يذكر، والآذان تذكر، والعين تذكر، واليد تذكر، والأرجل تذكر، وكل أعضائي تذكر الله بذكر فصيح.

وحضرة النبي ﷺ ضرب مثلاً لذلك مع أصحابه الكرام واضحاً جلياً، يحكي ذلك سيدنا أبو ذر ﷺ فيقول:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } [9]

□

ؤ ق غ غ هـ غ غ

لكن مع هؤلاء الذين انفعلوا مع الله ﷻ ســـمعهم الكل، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

نغمــات تســـبيح الكيــان يصـــغى لهــا قلبى يزيــد
قلبى لدى التسبيح يصـغى وَجْد المؤلِّـه من فصـــيح

والكيان هو الجسم، وخمرته التي تسكره سماع تسبيح هذا الكيان، والتسبيح بلسان فصيح، وليس بلسان الحال لكن بلسان القال.

فيســـمع كل ما حوله يُســـبح الله، وكل ما فيه يُســـبح الله، ويردد قول الله: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (١٠سبأ) وأوِّبي أي رددي معه، فسيدنا داوود كان ينشد مزاميره في مناجاة الله، وكانت تردد خلفه الجبال والطير والوحوش في مناجاته لربه جل وعلا: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

إذاً ذكر الأذن ســماع تســبيح الكائنات، فالأذن إذا صــفت، والأذن إذا طهرت، والأذن إذا صغت تسمع تسبيح الكائنات.

ما حالنا نحن؟ هناك آذان لاغية، وهناك آذان صـــاغية، وهناك آذان واعية، فالآذان اللاغية تسمع كلام الدنيا الفاني من أهل الدنيا الدنية، وتعيش في اللهو.

وأما الآذان الصاغية فهي التي تصغى إلى أصوات الكائنات وهي تسبح خالق الأرض والسماوات.

وأما الآذان الواعية فهي التي فنت عن الكل، وأصبحت تعي كلام من يقول للشيء كن فيكون: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق) في مقام المشاهدة والمعاينة.

الأذن اللاغية تجالس أهل اللغو وأهل الباطل، وهذه تحتاج إلى خطة تحذير، فمن أراد أن يُحَقَق له الشفاء، ويُشفى من كل داء، فليحذر من مجالسة أهل الدنيا وأهل الحظ والهوى، ولا يُجالس إلا الصالحين والصادقين: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

إذا حفظ نفسه من هذه المجالس وأصبح لا يجالس إلا الصالحين والصادقين وأهل الاستقامة وأهل الإخلاص، عَدَته أحوالهم؛ فأحوال الطريق يا أهل الطريق معظمها عدوى على التحقيق، منحة أو منة من رجل صالح أو رجل صِدِّيق يعطيها لك عطية من الله ﷻ، وهي التي توصل إلى هذه الأحوال، لكن المهم أن تستقيم على المنهج القويم الذي يصفه لك الحكيم.

لكن إذا مشيت على هواك، وتريد أن يتحقق لك مناك، فلا يكون، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه متكلماً بلسان الحضرة فيقول:

تريد أن ترى حسنى بلا حرب شديد؛ لا يكون
فمن رام الوصال إلى أُصفيه وفى هذا فتون
تمسك إن أردت القرب بسُنة أحمد فهو الأمين

الحرب مع النفس وليس مع الغير، ولذلك لا بد من مجاهدة نفسك، فآفة الأحباب أنه يريد أن يصل إلى ما يبتغيه وما يتمناه بدون جهاد!! هل هناك جيش سيحقق النصر بدون جهاد؟! لا، كذلك أنت فيك جيش، جيش الحق الذي فيك، وهو القلب، والفؤاد، والسر، والخفا، والأخفى، والروح، والعقل، وقوات الباطل التي فيك وهي النفس الأمارة، والنفس الإبليسية ، والنفس الحيوانية، والنفس الشهوانية، وأرض المعركة هي طور سيناء وهي القلب، فالكل يريد أن يسيطر على دائرة القلب.

فيَّ جيش للهدى، وفيَّ جيش للردى، فإذا انتصـــر الحق فيك على الباطل فكل يومك يوم بدر، وكل ليلك ليل قدر.

فلا بد من المعركة بداخلك، وجهاد النفس، فإذا جاهد الإنســـان نفســـه وجالس الصـالحين يرزقه الله ﷻ الصـفاء واليقين، فلن يسـمع بأذنه الطينية، ولكن يسـمع بأذنه القلبية، فتصبح أذن صـاغية تصغى لأصوات الكائنات، وأصوات الأعضـاء الموجودة فيه، والكل يسـبح لحضــرة باريء الأرض والسـماوات ﷻ، وهذه من يسـمعها فإنه يسمع موسيقى شجية ليس لها نظير ولا مثيل ولا شبيه في عالم الوجود.

فإذا فني عن ذلك ســـتظهر الأذن الواعية وهي أذن الروح، وقد أذن له الله ﷻ بالفتوح، فيســـمع القرآن إما من الحبيب، وإما من المُتكلم به ﷻ: ﴿ **أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ** ﴾ ألقى الســـمع لله، يســـمعه من حضـــرته جل في علاه ﴿ **وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ **(٣٧ق)** في مقام الشـهادة، ولكل حقيقة أُذُن، فهناك أُذن القلب، وأُذن الروح، وأُذن السـر .. وغيرهم من الحقائق.

ذكر اللسان

أما ذكر اللسان فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة بالطريقة الصحيحة، وتخفيف الأعباء عن الأحبة، ومواساة المنكوبين، وإرشاد الضالين، وتلاوة القرآن، ودراسة العلم، وأن يكون رطباً بذكر الله تعالى .. وهذه بدايته.

فإذا حُلّت عقدته تكلم مع الأحباء، فيتكلم مع الملائكة: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠فصلت)

فإذا طاب واستطاب تكلم مع الحق ﷻ إما مكافحة وهذا هو المقام الأعلى، وإما من وراء حجاب وهذا هو المقام الأدنى.

ومن وراء حجاب لها معنى عندنا: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ (٥١الشورى) فالبشرية هي الحجاب، فطالما أنك في البشرية وفي الحياة الإنسانية فلا تستطيع أعضاؤك سماع كلمات الحق ﷻ.

لا بد أن يُدك الجبل إذا تجلى ربه عليه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ وموســى إشــارة إلى القلب: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١٤٣الأعراف)

{ لَمّا كَلّمَ اللّهُ مُوسٰى يَوْمَ الطُّورِ كَلّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلاَمِ الّذي كَلّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ، فَقَالَ مُوسى: يَا رَبِ هٰذَا كَلاَمُكَ الّذي كَلّمْتَني بِهِ ؟ قَالَ: يَا مُوسى إنّمَا كَلّمْتُكَ بِقُوّةِ عَشْرَةِ آلاَفِ لِسَانٍ، وَلِي قُوّةُ الأَلْسُنِ كُلّهَا وَأَقْوٰى مِنْ ذٰلكَ، فَلَمّا رَجَعَ مُوسٰى إلٰى بَنِي إسْرَائيلَ قَالُوا: يَا مُوسٰى صِفْ لَنَا كَلاَمَ الرّحْمٰنِ، قَالَ: لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ، أَلَمْ تَرَوْا إلٰى أَصْوَاتِ الصّوَاعِقِ الّتِي تَصِلُ فِي أَجْلٰى حَلاَوَةٍ سَمِعْتُمُوهُ فَذٰلِكَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَيْسَ بِهِ }[10]

صار كله سمعاً ...: { **كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ** }[11] كل الأعضاء تسمع إذا كان الكلام كلام الله ﷻ.

وهذا كلام أهل التحقيق لا يعرفه ولا يشعر به إلا غريق في بحار التحقيق، فإن ذقت ما ذاقوا عرفت ما عرفوا.

وهذا الذي به الإشـــارة إلى قول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب)، وكثيراً أي بالجوارح مع القلب، فالجوارح كلها تذكر الله مع القلب، اليد تذكر، والرجل تذكر، والأنف يذكر، والبطن تذكر، والفرج يذكر، والكل يذكر الله ﷻ بذكر صـــحيح متبعاً في ذلك النهج القويم الذي أتى به النبي الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ.

ةى ط وقي غ يةط غ هغ لح
ىى غ قهغ ن ع غق

وذكر الأنف ظهور الحي النافع في كل نَفَس ...

وذكر البطن أن تتغذى بقليل من الحلال الخالص .....

وذكر اليد دفع الأذى ونصــرة المظلوم، والبســط بالعطية للفقراء، والجهاد في سبيل الله .....

وذكر القلب مداومة مراقبة الله تعالى، واستمرار رعاية أحكامه، واستحضار عظمته العالية، وعقده على كمال التوحيد والحب الخالص ....

وذكر الفرج التدبر فيما أودعه الله فيه من عمارة الكون، وحفظه من معصـــية الله تعالى، وذكر الرجلين الصبر على الشدائد في الجهاد، وسرعة إغاثة الملهوف.

منزلة الذاكر لله

وهذا الأمر أشار إليه رسول الله ﷺ بحديث بسيط ، ونضعه في الروشتة، ويا ليتنا نعيه، قال ﷺ:

{ لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي } [١٢]

أنت تريد أن تتكلم، فإذا كنت رجل عاقل ووجدت نفراً من العوام يتحدثون، ولفت نظرك مجيء رجل من الوجهاء، فمن تختـار لتتكلم معـه، العوام أم الرجـل العظيم الوجيه؟ لا شـــك مع الرجل العظيم الوجيه، فما بالك إذا كان رب العزة يقول لك:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي } [١٣]

هذا الحديث يجعل الصالحين والسالكين يفرون من الخلق، فأنا عندما كنت طالباً كنت أســـافر، وكان يســـافر معي كثير من أحبابي من بلدتي، وأثناء ذهابي لمحطة القطار كنت إذا رأيت نفراً منهم يســبقوني أتأخر، وإذا رأيت نفراً يتأخروني أســرع، لماذا؟ حتى لا أترك الكلام مع الله وأتكلم مع الناس!.

ويقول الله أيضاً:

{ أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ } [١٤]

معه بتأييده ولطفه ورحمته وعنايته واســتجابته ونصــرته .. معه بكل المعاني التي لا تخطر إلا على قلب إلى ربه داني، ومفارق بالكلية للفاني، فكيف لإنســـان أن يتحدث مع خلق الله ويترك ذكر الله؟! ولذلك كانت هذه سيما الصالحين.

ىى غ هه غ ق
ءى غ غ قطه ق ء غ غ ء هنغ ق
أى ء ه ن ء غق

وحتى أتباع الطريق، كان الواحد منهم أثناء سيره لا يترك التسبيح، وإذا كلَّمه أحد يرد عليه بحساب، حتى لا يتعطل عن ورده، وكانوا يسمونه صاحب طريق، أو من أبناء الطريق، فكانت علامة ابن الطريق الذكر الدائم لله ﷻ.

ضرورة الورد للمريد

ولا بد أن يكون له ورد حتى يلتزم به، لأن النفس تحتاج إلى ذلك، لأنك لو تركتها على حريتها فإنها ستتحلل من كل شيء، لكن لا بد من إلزامها بورد، لذلك كان الصالحون يلزمون أنفسهم بأن يُصلي على النبي مثلاً كل يوم ألف مرة، ويستغفر خمسمائة مرة، ويسبح كذا مرة، ويختم القرآن كل عدة أيام مرة ... لماذا؟ لأن النفس تحتاج إلى الجهاد، فإذا تركتها لهواها فإنك ستقرأ في أول يوم جزء مثلاً، وفي اليوم الثاني ستقرأ سورة صغيرة، وبعد عدة أيام ستتوقف عن الورد.

لكن النفس تحتاج إلى الالتزام، مثل الطب، فهل هناك طبيب يكتب دواءاً لمريض ويتركه يأخذه حسب هواه؟! لا !!!

ولكن يعطيه جرعات بمواعيدها حتى يتم الشفاء.

إذاً الذكر المُوَصِّل وليس الذكر المُحَصِّل، فالذكر المحصل يُحصِّل حسنات، لكن الذكر الموصِّل لا بد أن آخذه من رجل واصل وألتزم به، وأُلزم نفسي به، ولا يحاسبني إلا أنا، فإذا احتجت لأحد يحاسبني فلا أصلح لطريق القوم:

حاسب ضميرك والحظن واعكف على باب الصفا

إذا حاسبت نفسي فسأعكف على باب الصفا، وخلفه الحبيب المصطفى مباشرة، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ذكر لنا عبارة غريبة فقال: ((إن نفساً لا تُقَوَّم إلا بالشدة حيوانية، وإن نفساً لا تُقَوَّم إلا بالمداراة طفيلية)) لكن أنت الذي تبدأ بنفسك، فالصالحون لا يريدون منك شيء إن كان دنيوي أو غيره، ولكن أنت الذي تحتاجهم، فيجب أن تبحث عن الطبيب وتلتزم حتى تُحقق المراد، وتفوز بالقرب والوداد، وتحظى بنظرات الرشاد من سيد العباد ﷺ.

فلا بد أن يكون للإنسان ذكر، وهذا الذكر يكون له ورد، يمشي عليه، بحيث أنه يشغل وقته كله مع مولاه، إلا الضرورات التي لا غِنى عنها، إن كان سعياً لمعاشه، أو قضاءاً لمصالح نفسه، أو قضاءاً لمصالح أهله، هذه الضرورة لا بد منها، ويحرص كما قال الإمام أبو العزائم:

إلا الضرورة فالإباحة إن دعت فيها الضرورة فاطلبنها من معين

يطلبها من الحلال الصافي حتى يظل منوراً بذكر الله ﷻ.

آداب ذكر الله للمنفرد

إذا أخذ الورد وأراد أن يذكر الله، فلا بد له من آداب الصالحين، فلا بد أن يكون متوضئاً، ويجلس في مكان طاهر، ويكون وجهه للقبلة، ويتطيب، ويكون المكان بعيداً عن تشويش الخلائق، وبعيد عن سماع الأصوات كالتلفزيون وما شابهه، ويبدأ بما تيسر من القرآن ولو حتى الفاتحة، ويستحضر صورة شيخه في قلبه حتى يأتيه المدد من رسول الله مباشرة عن طريق شيخه، ويذكر الله ﷻ، فإذا انتهى من الذكر يختم بالفواتح لنفسه وللصالحين الذين يتبع منهجهم، ويُغمض عيونه لحظات حتى تَرِد عليه الواردات الإلهية.

آداب الذكر في جماعة

لكن إذا كنا في جماعة:

فنقرأ في البداية ما تيسر من القرآن.

ثم الصلوات، أو نقرأ على الأقل الفاتحة والإخلاص ثلاث مرات والمعوذتين ...

ثم نبدأ الذكر، والذكر يكون في مكان بعيد عن الغوغاء، فلا يصلح في الموالد، ونصطف حلقات لأن النبي ﷺ قال فيها:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ } [١٥]

ونضع أصابعنا في أصابع بعضنا حتى تسري الروح فينا كلنا، وننطق إسم الجلالة بعبارة فصيحة، لا فيها تحريف، ولا فيها التواء، وكذا لو نطقنا أي إسم من اسماء الله ننطقه بنطق فصيح صحيح، وإذا ذكرنا بإسم (الله) فاللسان يقول (الله) والقلب يردد معه صفة من صفات الله، فمثلاً اللسان يقول في الملأ (الله) والقلب يقول حى، أو اللسان يقول (الله) والقلب يقول قيوم، أو اللسان يقول (الله) والقلب يقول حفيظ أو وكيل أو شهيد أو أي إسم من أسماء الله ﷻ.

إذا انتهى الذكر نختم بـــ (لا إله إلا الله) ونجلس لنسمع ما تيسر من آيات كتاب الله، والذي يقرأ لا بد أن يكون حكيما، وكذلك المنشـــد، فإذا كنا في مكان عام فيأتي بالقصائد التي فيها كلام عام؛ عن الصلاة أو الجنة أو الذكر، حتى لا يُصعِّب على الآخرين، وكذلك القارئ يستحسن له أن يأتي بآيات البشريات، فليس من الحكمة أن يقرأ بعد الذكر بسورة القارعة، فنحن في روضة من رياض الجنة فيجب أن تبشرنا بالجنة، ويقرأ ما تيسر، فلا يطيل في القراءة.

ئى غ ه‍ ه‍ ع ع ق

إذا كان هناك بعض الأحبة يريد أن يلقي مما أفاض عليه الله من العلم فلا مانع، على أن لا يترك الإخوان حتى يملوا لقوله ﷺ:

{ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا } [16]

وكان شيخنا الشيخ محمد علي سلامة رضي الله عنه يقول دائماً:

(لأن نتركهم راغبين خير من أن يتركونا زاهدين).

وبعد ذلك إذا كان هناك بعض الأحبة ينشد ما تيسر حتى يُرَوِّح النفوس، ثم نختم بالفواتح وننصرف.

الذكر والتصفية

ذكر الله هو الدواء الوحيد الذي ذكره الحبيب صـــلى الله عليه لطهرة القلوب وتصفيتها، قال ﷺ:

{ القَلْبِ يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى } [17]

□

ئىغ قهه ق
ئىغ ق ة ق غغ غ ق

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ } [18]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ، كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلاؤُهَا؟ قَالَ: كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ } [19]

كم علاج؟

أربعة:

الذكر، والاستغفار، وتذكر الموت، وتلاوة القرآن، فكل حديث يُعطي معنى.

ما الذي يؤدي إلى صدأ القلب؟

الغفلة عن ذكر الله، أو الوقوع في الذنب، فإذا غفل عن ذكر الله يصـــدأ القلب، وإذا وقع في الذنب فكما قال ﷺ:

ؤى غ غ ﻫ ء ق
ؤى غ ن غ ق

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ ، صُقِلَ قَلْبُهُ ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[20]

فعلاج الغفلة الذكر.

وعلاج الذنوب الاستغفار!

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال)

إذاً لا يوجد شيء يُصفي القلب ويُطهره لله ﷻ إلا ذكر الله ﷻ.

من كنوز أحاديث الذكر

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ }[21]

عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَالضَّحَّاكِ، كلاهما من أهل الشام، قَالَ:

ةى غ ﻫ ه ء غق

ى ء قهةه ء

{ سُئلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أيُّ الْمَسْجِد خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُم ذكْرًا للَّه، قَالَ: فَأيُّ الْجَنَازَة خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذكْرًا للَّه، قَالَ: فَأيّ الْجهَاد خَيْرٌ؟ قَالَ: أكْثَرُهُم ذكْرًا للَّه، قَالَ: فَأيّ الْحُجَّاج خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذكْرًا للَّه، قيلَ: فَأيُّ الْمُجَاهدينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: أكْثَرُهُمْ ذكْرًا للَّه، قيلَ: فَأيُّ الْعُوَّاد خَيْرٌ؟ قَالَ: أكْثَرُهُمْ ذكْرًا للَّه ، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ ﷺ: ذَهَبَ الذَّاكرُونَ اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّه، قَالَ: وَمنْهَا الذِّكْرُ بَعْدَ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالذِّكْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ } [٢٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

{ مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ } [٢٣]

وعن معاذ بن جبل قال:

{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [٢٤]

{ وعنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ،

□

ىى غ ن
ءى غ غق ه ه غ
ئى غ ن ه غ

وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }

{ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [25]

{ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [26]

{ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ، وَيَخْتَضِبَ دَمًا، لَكَانَ الذَّاكِرُ لِلَّهِ كَثِيرًا أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً } [27]

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضرين، وأن ينظر إلينا ويجعلنا من الذين إذا ذكروه ذكرهم، وإذا استغفروه غفر لهم، وإذا شكروه زادهم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ☐

ئى غ ہ ھ
ىئ غ ہ ھ
ىئ غ ہ ھ ء

الوصل الثامن

آداب المؤمنين في سورة الحجرات

التثبت عند سماع الأقاويل

أثر النبوة

الإيمان وزينته

الصلح والإصلاح

أُخوة المؤمنين

النهي عن السخرية

اللمز والتنابز وعاقبتهما

اجتناب الظن السيئ

التجسس والتحسس

تحريم الغيبة

ميزان التكريم الإلهي

□

بسم الله غلرحمن غلرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ
عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ
لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ
وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾
وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ
فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ
بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا
يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [غلحجرغ]

الوصل الثامن

آداب المؤمنين في سورة الحجرات[1]

آيات سورة الحجرات .... هي الآيات التي لو تحققت في أي مجتمع من المجتمعات صلح جميع أهله، وأصلح الله ﷻ لهم جميع أعمالهم ...

آيات الحجرات آيات الآداب العالية، والأخلاق الراقية، والمعاملات السامية التي يرجو الله ﷻ أن يكون عليها عباده المؤمنين في كل وقت وحين، منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

هذه الآيات في غاية الأهمية لكل من أراد إصلاح أحواله الدنيوية، وأن يرتقي في المواطن العلية، وفي المنازل الجنانية، وفي الدرجات الوهبية عند الحضرة الإلهية، ولذلك يحرص الصالحون أجمعون على تطبيقها عملاً وحالاً وسلوكاً، لا قولاً فقط.

التثبت عند سماع الأقاويل

أول هذه الآيات هو خطاب للمؤمنين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (٦الحجرات)

[1] ىغ ةهئى ن ئءئى م ىخىخئى ةىﻨ

الخطاب للمؤمنين، غير أن الله ﷻ حذَّر المؤمنين تحذيرٌ شـديد، ووصـف نفر منهم بوصف لا يتحمله بشر: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ﴾ والفسق يكون للكافرين والمشركين الخارجين عن طاعة رب العالمين ﷻ، تشنيعاً لهذا العمل، وحتى يعلم المؤمنون شدة وقعه عند الله فلا يقتربوا منه من بعيد أو من قريب لشناعته ....وشدة وقعه عند الله.

وسبب نزول هذه الآيات أن رجلاً من المسلمين كان أخو سيدنا عثمان بن عفان ﷺ من أمه، وكان يسمى الوليد بن عقبة، أسلم في عام الفتح، وبعد إسلامة هاجر إلى المدينة، وجاء قوم من قبيلة خزاعة، وكانوا مسـلمين بايعوا النبي ﷺ، واتفق زعيمهم على أن يجمع له الزكاة ممن عنده، على أن يبعث له النبي ﷺ عاملاً من عنده ليأخذ نصيب رسول الله ﷺ في هذه الزكاة، فأرسل إليهم ﷺ الوليد بن عقبة.

والوليد كان قد قتل منهم رجلاً في الجاهلية، فخشـي منهم، وحدثته نفسـه بهذا الإثم، لأنهم ربما يريدون أن يقتصـوا لقتيلهم ويأخذوا بثأره، وهم عندما علموا بأن رسـولَ رسـولِ الله ﷺ قادماً عليهم خرجوا لاسـتقباله، فظن ووهمت له نفسـه أنهم خرجوا للقبض عليه وقتله، فرجع، وذهب إلى رسـول الله ﷺ وقال: إن القوم امتنعوا عن دفع الزكاة وهموا بقتلي.

وهناك روايات بعد ذلك فيما حدث بعد هذه الحادثة، منها أن القوم عندما رجع ظنوا أن رسول الله ﷺ غير راض عنهم فأرسل باستدعاءه، فخرجوا إلى المدينة لاسترضاء رسول الله ﷺ، وهذا من سلامة نيتهم، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: أنت أرسلت تطلب عودة رسولك، فهل قصرنا في أمرنا؟ هل فعلنا شيئاً لا يرضيك؟ فقال ﷺ: أنتم الذين منعتم الزكاة، وهممتم بقتله، فأقسموا بالله أنهم ما نكثوا عهده، وأنهم جمعوا الزكاة، وأنهم خرجوا لاستقباله، وأنهم يحافظون على طاعة الله ﷻ، فنزلت هذه الآيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ وفي قراءة أخرى "فتثبتوا " لا بد أن تتثبت من أي كلام يُقال لك.

فقد يُقال لك بحُسن نية، ولكن يصادف في قلبك هماً غير طيبة، فتتحول النية إلى نية سوء، وقد يكون الذي ينقل الكلام يفهمه فهماً خاصاً غير ما يقصده قائلوه، ولذا لا بد للإنسان أن يتروى، وأن يتثبت، وأن يتيقن، وأن يتأكد من أي كلام تسمعه أُذناه، أو يُلقى إليه في أي وقت أو أي حين.

وأظن أن من جملة الآفات في زمننا هذا؛ هذه الآفة الغريبة والعجيبة وهي نقل الكلام.

وهناك رواية أخرى: أنه عندما رجع الوليد جهز النبي ﷺ خالد بن الوليد ومعه رجال وأمره أن يذهب إليهم ويغزوهم لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة وهَمُّوا بقتل رسوله، لكن سيدنا رسول الله ﷺ كان حكيماً، فقال له: إذا ذهبت إليهم فاصبر حتى تراهم عند الصلاة، فإذا استمعت الأذان ووجدتهم يقيموا الصلاة فلا تهجم عليهم، واعلم أنهم مؤمنون، فذهب سيدنا خالد، فاستمع إلى الأذان، ودخل عليهم ووجدهم يؤدون الصلاة، ووجدهم قد جهزوا الزكاة ليعطوها له، لأنه عامل رسول الله ﷺ.

فحذر الله ﷻ من هذا الأمر، ومن هذه الفتنة، وبيَّن عاقبتها: ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾.

ثم بيَّن الله ﷻ لهم حقيقة مرة كيف غابت عنهم؟! ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾

كيف يسمح إنسان لنفسه أن يكذب ويعلم أن بين ظهرانينا رسول الله، ورسول الله يأتيه الغيب من الله ﷻ في وقته وحينه؟! وهذا أمر غريب وعجيب.

ولذلك تذكر كتب التاريخ:

أن الوليد بن عقبة هذا ولاَّه عثمان بن عفان إمارة البصرة عندما كان أميراً للمؤمنين، فذهب ليصلي الصبح بأهل البصرة وكان شارباً للخمر، فصلى بهم الصبح أربعاً، وبعد أن سلم قال: إن شئتم أزيدكم، فشكوه إلى عثمان فعزله.

وكان ممن أصـــدر النبي أمراً لأصـــحابه بقتلهم في فتح مكة، لتطاوله على الحضرة المحمدية، إلا أن عثمان تدخل وحماه لصلة القرابة التي بينهما.

والأمر في القرآن لا يخص شخص !!

وإنما هذه الصــفة تخص من يقوم بهذا العمل، لا نســتطيع أن نقول الوليد لأنه صحابي وإن كان هو سبب نزول الآيات، لكن هذا الوصف الإلهي لمن تكون فيه هذه الصـفة، ويقوم بهذا العمل في أي زمان أو مكان، مع عدم وقوعها في أصـحاب النبي العدنان ﷺ.

أثر النبوة

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ونحن جماعة المؤمنين وإن كنا بعد عصــر النبوة إلا أن الله ﷻ أبقى فينا أثراً من نبوة حبيبه ومصطفاه ﷺ، فقد جعل في قلب المؤمن إذا اتقى الله، وارتقى بتقواه إلى درجات القرب من الله ملَكٌ يلهمه ويسدده: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) قال ﷺ:

{ ضرب اللّهُ مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنَبتي الصِّراط سوران، فيهما أبوابٌ مفتّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ، وعند رأس الصراط داعٍ يقول: استَقيموا على الصراطِ ولا تعوّجُوا، وفوق ذلك داعٍ يدعو، كلما همّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك ! لا تفتحْه، فإنك إنْ تفتحْهُ تلِجْهُ». ثمّ فسّره فأخبر: «أنّ الصِراط هو الإسلام، وأنّ الأبواب المفتّحةَ محارمُ الله، وأنّ الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظُ الله في قلبِ كلّ مؤمن } [2]

فجعل لكل مؤمن واعظاً من الله فى قلبه ... أو ملكاً يُلهم الإنســـان لفعل الخير، ويحضـه على البر، ويحثه على العمل الصـالح إن استمع إليه، فإن لم يُصـغِ إليه بآذان قلبه، واسـتمع إلى وسـاوس الشـيطان تحركت الجوارح نحو الجانب الآخر الذي فيه غضب حضرة الرحمن ﷻ.

لكن المؤمن إذا استقام على طاعة الله، ورزقه الله في قلبه خشيته، والخوف من حضـرته وخالص تقواه، برز في داخله داعي الإلهام الذي يقول فيه الله: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ (٢٩الأنفال) هذا الفرقان يقول فيه ﷺ:

ى غ ه غ ع ع غغ ق ح

{ **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ** } [٣]

وفي رواية أخرى:

{ **احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ** } [٤]

فمَلَك الإلهام إذا أعطينا له مجال يكون بمثابة منبه ينبه الإنسان عند كل أمر من أموره، فيعرف طريق الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه، ويعرف الحسن فيمشي فيه، ويعرف السيء فيتركه، وهكذا: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام).

﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ لو ترك الإنسان مَلك الإلهام الذي يسدده، واستمع إلى ما في نفسه من وساوس، وما يصدر في صدره من الشيطان من هواجس، سيصيبه العنت، والعنت يعني المشقة البالغة، ومعظم مشاكل الناس في عصرنا سببها هذين الأمرين، الاستجابة إلى وساوس النفس، أو هواجس الشيطان.

٣ غ هـ غ ء غ قهق

٤ غ ن ه نق

وهواجس الشيطان ووساوس النفس تجول في صدر الإنسان، ولكنها – من فضل الله – لا تدخل في قلوب أهل الإيمان، لأن الله حفظ قلوبهم سر قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس) لكن لا يصل إلى القلوب.

الإيمان وزينته

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ عرَّفنا الله ﷻ بتعريفه أن الإيمان فضل من الله ﷻ ومنَّة علينا جماعة المؤمنين، لا بمهارة منا، ولا بشيء قدمناه، ولا بعمل عملناه، وإنما هو محض فضل من حضرة الله، فأدخلنا الله بمنِّه في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢٢المجادلة).

﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ زيَّن الإيمان في قلوبنا، وزينة الإيمان الخوف من الله، والخشوع بين يدي الله، وخشية الله في السر والعلانية، والحضور الدائم مع حضرة الله، والإخلاص في أي عمل يقدمه المرء لله جل في علاه ... كل هذه زينة يزين الله ﷻ بها القلوب.

ولا يكون العبد عبد محبوب إلا إذا زيَّنه الله ﷻ بهذه الزينة التي أشار إليها وقال فيها: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ ﴾ (٣١الأعراف) فقه منها قوم (خذوا زينتكم) أي طهروا ثيابكم، وضعوا عطركم، وادخلوا بهذه الشاكلة على حضرة الله، لكن لو دخل الإنسان في الصلاة وطهر ثوبه وكواه، وملأ جسده بأفخر العطور المصنوعة في هذه الحياة، وقلبه مشغول بالكلية عن مولاه، هل يفوز في هذه الصلاة بالفلاح الذي قال فيه الله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى صَلَاتِهِمۡ خَـٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون)؟!.

لكن الزينة التي نأخذها هي التي ينظر إليها الله، فالزينة التي ذكرناها للخلق، والزينة التي يحبها الله هي التي يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } [5]

وفهم الصالحون من قول الحبيب:

{ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ الْبَيَاضُ } [6]

أن الله يحب القلب الذي ليس فيه شائبة، وليس فيه غل، ولا حقد، ولا حرص، ولا كره، ولا شيء من ذلك، وإنما خالصاً مخلصاً لله ﷻ، نقي تقي، قال ﷺ:

---

٥ هـ ء غ رضي الله عنه

٦ غ غق غ كق

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[7]

فالزينة التي نرتديها عندما نهم لملاقاة الله، أو مناجاة الله الصفاء والنقاء والخشوع والخشية والحضور والإقبال والإخبات والتمسكن والتذلل والافتقار إلى الله ﷻ ... تلكم هي بعض الزينات التي يلبسها الصالحون ليقابلوا الله ﷻ فيرضى عنهم الله ﷻ.

﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ حتى نعلم أنه كما قال عبد الله بن مسعود ﵁: ((لا قوه للعبد على طاعة الله إلا بتوفيقه ومعونته، ولا طاقة للعبد بالبعد عن معصية الله إلا بحفظه ﷻ وصيانته)).

هو الذي يتولانا بولايته ،ويرعانا برعايته، فيُكرِّه إلينا الأعمال التي تؤدي إلى الكفر، والأوصاف التي تؤدي إلى الفسوق، والأحوال التي تؤدي إلى العصيان، ليدخلنا ﷻ، ونطمع أن نكون من المخاطبين بقول الرحمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ الذين أرشدهم الرحمن بخير الأقوال، وأفضل الأعمال في حضرة ذي الجلال والإكرام ﷻ.

---

٧ ه ء ه ء ك ﵁

كل ذلك: ﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ تفضل من حضرة الله، وامتنان من حضرة الله، وإنعام من حضرة الله على عباد الله الصالحين، لأن الله ﷻ أحبهم فقرَّبهم إلى حضرته، وجمَّلهم بجمال أهل محبته، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الله ﷻ عليم بخفايا الصدور، وعليم بغيب السرائر، حكيم في كل أحواله، وأفعاله، وأقداره، وتصرفاته، وعلينا جميعاً أن نُسلِّم له في قضاءه وقدره، وخيره وشره ﷻ.

الصلح والإصلاح

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ وهناك قراءة أخرى:﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلَتا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ :

وأصل هذه الآية أن الرسول ﷺ كان لا يسكن عن الدعوة إلى الله طرفة عين ولا أقل، وكان لا ينتظر الناس حتى تذهب إليه في بيته أو في مسجده المبارك، بل يغشى الناس في أنديتهم ومنتدياتهم ومجالسهم، ويركب ما تيسر، ولا يشترط ركوبة معينة أو محددة، مزخرفة أو مزركشة أو ما شابه ذلك، وأحياناً كان يمشي على قدميه، المهم أن يقضي وقته كله في الدعوة إلى الله جل في علاه.

فركب سـيدنا رسـول الله ﷺ حماره، وذهب ليُبلِّغ دعوة الله ﷻ، وكان عندما يمشي في المدينة، وكلما وجد قوماً يجلسون في موضع عرَّج إليهم ووعظهم ودعاهم إلى الله ﷻ، وهذا حال رسول الله.

وينبغي أن يكون على ذلك حال الدعاة الصادقين أجمعين، لا ينتظر الناس تأتيه إلى المسجد، ولكن يغشى الناس في أماكن تجمعها، وخير دروس رمضان بعد صلاة العصـر تكون في الأماكن التي يجتمع فيها الناس خارج بيوتهم ليتبادلون أطراف الحديث، فأجلس معهم وأمسـك بدفة الحديث، وأجعل الحديث عن الصـيام، أو عن القيام، أو عن تلاوة القرآن، أو عن ذكر الله، أو عن أي شيء نافع، ولا أُكثر عليهم، ثم أتركهم وأذهب إلى غيرهم.

ونحن نحتاج إلى مثل هؤلاء الرجال الذين يقومون بهذه المهمة، نحتاج إلى الداعي الذي يرجو من دعوته وجه مولاه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣فصلت).

فرأى النبي ﷺ عبد الله بن أُبي جالسـاً في نفر من الأنصـــار، وهم قديماً الأوس والخزرج، فكان نفر من هؤلاء، ونفر من هؤلاء جالســون يتحدثون، فعرَّج عليهم النبي ﷺ وحدَّثهم، لكن عبد الله بن أُبي كان في نفســه شـــيء من النبي والنبوة، ولذلك كان رجال الأنصــار الأكابر يقولون للنبي: يا رسـول الله اصـبر عليه فأنت قد سـلبت تاجه، فقد دخلت المدينة ونحن قد صنعنا له التاج لنجعله ملكاً على المدينة.

فقد كان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة، وقبل الرســالة مباشـــرة اجتمعوا واتفقوا على أن يجمعوا أمرهم واختاروا عبد الله بن أُبي ليكون ملكاً عليهم، وصــنعوا له التاج ....!!!!

ولكن جاء رسـول الله، فظل هذا الرجل في صـدره شـيء من رسـول الله، لأنه منع عنه الملك الدنيوي الذي كان حريصاً عليه ويتمناه.

وبعد أن انتهى رســول الله ﷺ من حديثه قال عبد الله بن أُبي: أيها الرجل إن ما تقول حق، ولكن ارجع إلى مكانك، ومن أراد أن يسـتمع إليك فليأتك، ومن لم يرد فلا، ومشـــى الحبيب ﷺ، فثار ســيدنا عبد الله بن رواحة، وثار معه قومه، وقام الطائفتين على بعضـــهما بالجريد، وبسـعف النخيل، وبالنعال، فرجع النبي ﷺ وأصــلح بينهما، فنزل قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾.

وانظر إلى كلام رب العالمين، الطائفتين من المؤمنين، لذلك إياك أن تُكفر أحد، ولذلك عندما سُـــئل الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه عن الخوارج عندما قاتلوه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فرُّوا، قالوا: أمشـــركون هم؟ قال: من الشـــرك نفروا، قالوا: بم تصفهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

فماذا علينا؟ ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ لا ننتظر أن نُنتدب للصـلح، وهذا حال لو طُبق

كما أراد الله ما بقيت مشكلة في مجتمعات المسلمين كلها، وهذا ما رأيناه ونحن صغار في قُرانا، كان إذا حدثت مشكلة بين عائلتين في شارع أو في البلدة لم ينم أهل الشارع أو أهل البلدة حتى يُصـلحوهما، وللأسـف لا يوجد الآن مثل ذلك، فالكل يقول لا شـأن لي، وكأنهم غير مسلمين، وهذا أمر يتعارض مع صريح القرآن، وسُنَّة النبي العدنان ﷺ.

إذا حدث خلاف بين مسـلمين، أو بين طائفتين، لا أنتظر حتى ينتدبوني لأصـلح بينهما، لكن ينبغي أن أتحرك فوراً، وأسـتعين بمن شـئت من المسـلمين معي، لنقضـي على هذه الفتنة في مهدها، لأن أمرها يكون ســـهلاً، ولو تركناها لاســـتفحل الأمر، وتعذر العلاج، هذه العبادة يقول فيها ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ } [٨]

ويقصد النبي النوافل من الصيام والصلاة والصدقة، فإذا أصرَّت طائفة على عدم الاستجابة، فهذه فئة باغية، كما قال الإمام علي: (إخواننا بغوا علينا) فالباغية التي بدأت بالعدوان، او أصرت على عدم الانصياع للصلح.

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ ما واجبنا؟ **﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾** وهذه مشروعية الحرب التي نخوضها ضد هؤلاء الذي يُقتّلون المسلمين كداعش وغيرهم، لأنهم لم يستجيبوا للنصح ولا للصلح، وإنما تمادوا في غيِّهم وضلالهم، وروعوا المسلمين، وقتَّلوا المؤمنين، فتطبيقاً لأمر الله: **﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾** حتى ترجع إلى شرع الله، وإلى كتاب الله، وإلى هدي رسول الله، **﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾** أي رجعت: **﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾**

---

٨ غ ه ه قهة ع غ ق قظق

والمقسـطين هنا يعني العادلين، لأن كلمة مقسـط في اللغة العربية تؤدي للمعنى وضـده، فمقسط تعني عادل وظالم أيضـاً، والذي يُفرق بين المعنيين سياق الكلام، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ } [٩]

يقصد العادلين في كل أحوالهم، وفي كل أفعالهم.

أُخُوة المؤمنين

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ دعانا الله ﷻ إلى تحقيق الأُخوة بين جميع المسـلمين، وأن نُصـلح جميع المسـلمين، ولا نخص طائفة منهم دون طائفة، لنُحقق كلام رب العالمين، والذي لا يسـتجيب يُحذره حضـرة النبي ﷺ فيقول فيه:

{ مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا، فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ } [١٠]

ومتنصــلاً أي معتذراً، فإذا جاءك أخوك واعتذر وتأســف ورغب في الصــفح والعفو، لماذا لا تعفو عنه؟! ولماذا لا تصــفح عنه؟! ولماذا تركب رأســك؟! وكان المؤمنون الأولون الذين لحقناهم داخلون في قول الحبيب:

---

٩ ه هق

١٠ غ غ قم ء غق

{ الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ } [11]

لكن وجدنا المؤمنين في هذا الزمان وقد تمادوا في الغي، وتمادوا في العصيان، فإذا دعوته لينصلح مع فلان، يرفض، وقد يقول: إلى أن أموت لا أريد أن أعرفه، ولا يعرفني، ولو كان سـبب دخولي الجنة فلا أريد هذه الجنة!! لماذا هذا الكلام؟! لكن المؤمن دائماً أهل عفو، وأهل صفح: **﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ (٢٢النور).**

وضرب الله لنا مثلاً بالصديق الأعظم رضي الله تبارك وتعالى عنه، ابن خالته مسـطح، كان يطعمه ويكسـوه ويُنفق عليه، ورغم ذلك هو الذي أشـاع حادثة الإفك ونشرها في المدينة، فانظر إلى جزاء الإحسان، فقال أبو بكر: لا أُنفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله ﷻ: **﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ (٢٢النور)**

---

١١ غ غه غ ق

فقرأها عليه حضرة النبي فقال: بلى يا رب، ورد عليه نفقته وزادها، ورد عليه كسوته، ورد عليه كل ما كان يعطيه له طمعاً في مرضاة الله، رغم الأذى البالغ في زوجة النبي التقية الطاهرة النقية، واتهمها في أعز ما يتهم به إنسان امرأة صالحة، ومع ذلك عفا عنه.

هل هناك في المجتمع كله ما يضاهي هذه الفعلة؟ أبداً والله، والدنيا كلها لا تساوي نقيراً ولا قطميراً ولا قليلاً ولا كثيراً، قال ﷺ:

{ إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ سِرَاعًا، فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا رَأَيْنَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا فَضْلُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذْ ظُلِمْنَا صَبَرْنَا، وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[١٢]

فأول طائفة ستدخل الجنة أهل العفو، وأهل الصفح، ولذلك يجب علينا أن نعفو عمن ظلمنا، وأن نصلح إخواننا، ونعاهد بعضنا أن نكون في أنقي قلوب، وفي أتقى صدور، وفي صفاء دائم مع حضرة الغفور ﷻ.

---

١٢ غ ه هق

النهي عن السخرية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (٢٧٣البقرة) ، و ﴿قَوۡمٍ﴾ أي رجال، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾، أي لا يحتقر أحد أحداً فلعل من يُحْتَقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره، فينبغي للإنسان ألا يسخر بأخيه في الدين بل ولا أحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن سخر به، ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم : "لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع" ، وقال عبدالله بن مسعود : {البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً}

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ قال أنس: "نزلت في صفية بنت حي

{عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ ، قَالَتْ لَهَا : ابْنَةُ يَهُودِيٍّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ : ﷺ :"وَمَا يُبْكِيكِ ؟" ، قَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ : إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَبِمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ؟" ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : "اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ }[23] .

وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال.

اللمز والتنابز وعاقبتهما

﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ اللمز في الأصل الإشارة بالعين ونحوها، والمعنى (ولا تعيبوا فتعابوا) وذلك لأن الإنسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير، فيكون قد عاب الشخص نفسه، وهناك معنى آخر أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ومن هذا المعنى قول الإمام الشافعى رضي الله عنه:

إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى   وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ   فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا   فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى   وفارق ولكن بالتي هي أحسن

﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ ﴾

---

[23] ى‌ق‌ه ع ه ه‌ه غ ه

أي لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب يكرهه مثل يا فاسق أو يا كافر ، وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري:

{ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي بَنِي سَلَمَةَ ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾ سورة الحجرات آية ١١ ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ، وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلا وَلَهُ اسْمَانِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ يَدْعُو الرَّجُلَ بِالاسْمِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَهْ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الاسْمِ فَنَزَلَتْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ } [14]

ومن ذلك أيضاً الشتم :

كقول الإنســان لأخيه يا كلب أو يا حمار ونحو ذلك، فالمراد إذاً بالألقاب كل ما يكرهه المخاطب، وأما الألقاب التى صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها ، وأما الألقاب التى تشعر بالمدح فلا تكره كما قيل لأبي بكر : "عتيق" ولعمر : "الفاروق" ولعثمان : "ذوالنورين" ولعلي: "أبوتراب" ولخالد: "سيف الله" ونحو ذلك.

ئىقﻫع ﻫ قﻫ غ ق غغ قﻫ قﻫقﻫ ﻫﻫ ﻫ غ

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ أي الإثم المذكور للسخرية واللمز والتنابز، فهو وإن كان صغيرة إلا أنه لخروجه عن الطاعة يصير كبيرة يفسق بها: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفتهم.

اجتناب الظن السيئ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً كأن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً ، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهياً ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم.

وقيل أن هذه الآية نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين ليخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل، ويهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب:

{ فضم سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عينه فنام، ولم يهيء لهما شيئاً فلما قدما قالا له : " ما صنعت شيئا؟ قال : لا غلبتني عيناي ، قالا له : انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً ، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ فسأله طعاماً فقال رسول الله : "انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له : إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك، وكان أسامة خازن طعام رسول الله ﷺ وعلى رحله فأتاه فقال : "ما عندي شيء" فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا : كان عند أسامة ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالوا : لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما : " ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟" قالا : والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: "ظلمتما بأكل لحم سلمان وأسامة " فنزلت الآية } ١٥.

وجملة ﴿ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ في الآية تشير إلى أنه ينبغي الإحتياط والتأمل في كل ظن خوف أن يقع في منهي عنه ، قال سفيان الثوري: " الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به".

ئى ق غ ه ه غ ذغ ظن

التجسس والتحسس

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ وقرئ شذوذا بالحاء "ولا تحسسوا" ، التجسس يكون في الشر

ويكون بالبحث عما يكتم عنك، والتحســـس يكون في الخير أو في طلب الأخبار والبحث عنها، والآية تنهى عن تتبع عورات المسلمين لأن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته.

تحريم الغيبة

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أي لا يذكره بشـــيء يكرهه وإن كان فيه،

والغيبة في كتاب الله على ثلاثة أوجه: "الغيبة والإفك والبهتان"

فأما الغيبة: فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الإفك: فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان: فهو أن تقول فيه ما ليس فيه.

وهذه الأمور كبائر تحتاج لتوبة فينبغي على المغتاب أن يســتحل من اغتابه إن استطاع وإلا فليستغفر له فقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال:

{ إِنَّ كَفَّارَةَ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ ، تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ } [16]

وعليه أيضـــاً أن يبادر بالتوبة بينه وبين الله ﷻ، ويســتثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله:

تظلم واســتغث واســتفتى وعـرف بـدعـة فســـق

أي يجوز للإنسـان في حالة تقدمه بمظلمة لولي الأمر أو الاسـتغاثة من ظلم يقع عليه أو الاســتفتاء من العلماء في مســألة أو تحذير لأخيه المؤمن من الوقوع في أمر مكروه أن يذكر أحداً بما فيه .....

وذلك ليس لمن اشتهر بالبدعة وجاهر بالفسق غيبة ، قال ﷺ:

{ لَيْسَ لِفَاسِقٍ غِيبَةٌ } [17].

وتقبيحاً لهذا العمل الذي لا يليق بمسلم نحو أخيه المسلم مثَّلَ الله المغتاب لأخيه بمن يأكل لحم الميت !!!!

ومعلوم أن لحم الميت حرام في الدين وقبيح في النفوس!!

ئىقﻫ غ غ غغ ﻫ غ ﻫعغ م ء لح
ئىقﻫ غ غ غ ﻫ غ ﻫ غلح

وهذا في قوله سبحانه:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ، وفي هذا إشارة إلى

أن عرض الإنسان المسلم كلحمه ودمه. فإن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الإنسان فكذلك لا يحسن منه قرض عرض أخيه الإنسان.

وذكر الله المؤمنين بعقابه في الإغتياب بتخويفهم منه بقوله"

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ولفرط رحمته ﷻ فتح لهم مع ذلك باب التوبة واسعاً لمن يندم على

ما فعل ويرجع إليه ....

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يقبل التوبة للتائبين ويرحم النادمين.

ميزان التكريم الإلهي

﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ وهما آدم وحواء، قال ﷺ: { **كُلُّكُمْ لآدَمَ وَحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ بِالصَّاعِ** }[18] ط ه ذع ه! { **النَّاسُ وَلَدُ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ** }[19]

□

ؤىقۿ غ غ ن ء ء ﷺ

ؤىقۿ غ ه ه قهقۿ غ ء غ ﷺ

وكذا إتمام الخلق إلى يوم القيامة لا بد أن يكون من رجل وامرأة ، واختلف في سبب نزول هذه الآية وقال ابن عباس:

{لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام : ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو : وإن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبوسفيان : أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجراً لهم عن التفاخر في الأنساب والتكاثر بالأموال والإزدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى} [20]

وقيل: نزلت في أبى هند:

{ أَمَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَنِي بَيَاضَةَ أَنْ يُزَوِّجُوا أَبَا هِنْد امْرَأَةً منْهُمْ " ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، نُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِينَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} [21]

وقيل نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل:

ﺔﯨ ﻗ ﻏ ﻏ ﻨﻏ ﻈﻦ ﻫﻏ ﻪ ﻋ ﻐﻏ ﻫ ﻧ ﻫ ﻪ
ﯨﻗﻫ ﻋ ﻘﻬﻗ ﻫ ﻏ ﻨﻏ ﻈﻦ

{ افسح لي ، فقال : إن ابن فلانة يقول : افسح لي ، كناية عن استخفافه به ، فقال رسول الله ﷺ : "من الذاكر فلانة؟" قال ثابت : أنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : "انظر في وجوه القوم " فنظر فقال له النبي ﷺ : " ما رأيت؟" قال ثابت : رأيت أبيض وأسود وأحمر ، فقال : "إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى"} [٢٢]لح

ونزل أيضا فيه قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ (١١المجادلة)لح

﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا ﴾ جمع شعب وهو أعلى طبقات النسب، فالشعوب رؤوس القبائل وسمي شعباً لتشعب القبائل منه.

و﴿ قَبَآئِلَ ﴾ وهي دون الشعوب ويليها فصائل أخرى آخرها العشائر.

﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أي ليعرف بعضكم بعضاً فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم لا لتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بينكم بالتقوى.

ىىة غغ ه ع هغ هزه ه ه غ زغ ظن

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ ، فالإفتخار المحمود إنما يكون على أهل الكفر

بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعائره، وأعزكم عند الله أكثركم تقوى فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة ولم يكن أكثركم مالاً ولا جاهاً ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التى تفنى.

وأكد ذلك عزشأنه في قوله سبحانه ... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ :

أي يعلم ظواهركم ﴿ خَبِيرٌ ﴾ أي يعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شيء لا في

الصدور ولا في القلوب ولا في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□

□



وصل الختام

نصائـــــــح

لحفظ روابط الأُخوة الإيمانية

الشورى في الإسلام

منهج الحبيب

اجتناب سوء الظن

وصل الختام

نصائح لحفظ روابط الأُخوة الإيمانية[1]

الشورى في الإسلام

الذي نحن متفقون عليه هو كتاب الله، والذي يقول فيه الله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشــورى) فمعنى الشـــورى هي الإجماع الذي يجتمع عليه أكبر عدد من الجماعة، وهو الذي نسير عليه، حتى ولو كنتُ أنا القائد.

سيدنا رسول الله في غزوة أُحد كان له رأي، وأصحابه كان لهم رأي، والقرآن نزل على رأي أصحابه؛ ليعلِّمنا.، فأملي الوحيد الذي أريد أن يسير عليه الأحباب هو الشـــورى, فكثير من الأحباب يســير على الدكتاتورية، وكل شـــخص يريد أن يكون دكتاتورًا إن كان في منزله أو مع إخوانه، يريد أن تكون كلمته (ســـمعنا وأطعنا) فقط ولو كانت خطأ، ولو اعترض أحد تكون مشكلة المشاكل ويعلن عليه الحرب

ى غ لج ى ذ ئ ء ئى م ئىخ ةىخ ئى ةى ذ

.

لِمَ كل هذا؟! أهكذا كان الإسلام؟! الإسلام ليس كذلك، لكن الإسلام ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٢٨٥البقرة) سمعنا وأطعنا لله ورسوله، لكن نحن مع بعضنا البعض يكون: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشورى).

ما معني الشورى؟ هو أن تعرض الرأي على الجماعة بشفافية، وكل شخص نعطي له فرصة؛ لكي يعبر عن وجهة نظره، والذي يتفق عليه أكبر عدد من الحاضرين؛ نسير عليه؛ لأن يد الله مع الجماعة ... هذا هو المفروض أن أكون عليه، سواء في منزلي أو في عملي أو بين الأحباب، لكن كل شخص يسير على رأيه، ولا يستمع لي أو لغيري، يسمع كلام الأميرة التي بداخله؛ نفسه, هؤلاء قد يقول أحدهم لك سمعنا، وبعد ذلك يشاور نفسه وتقول له: لا، بل كذا، فيسير على رأيه على الفور، ولا يرجع لك مرة أخرى، ولذلك مصيبة السالكين وغيرهم، الهوى، والهوى من النفس، لكن الإنسان لو طبق مبدأ الشورى؛ يرتاح.

فانظر إلي الرجل الصالح الذي يقول: ((لو استشار آدم الملائكة ما خرج من الجنة)) لماذا خرج من الجنة؟ لأنه لم يشاور الملائكة، لكنه لو استشار الملائكة لدلته على الصواب، وما كان خرج من الجنة، ولا اقترب من الشجرة، لكنه سمع نصيحة أحد اعتقد أنه من الملائكة، وهو إبليس.

فالذي يوفقه الله يأخذ بمبدأ الشـورى, وفي منازلنا نعلّم أولادنا، ما رأيك يا بني، أو يا بنيتي؟ ولا استهزئ به، لكي يخرجوا مكَّونين على الشورى الإسلامية.

الرجل يريد أن يكون في المنزل لا أحد له رأي معه، لا زوجة ولا أولاد ولا أي شـخص، يقول كذا وهي النهائية وبذلك يصـنع مشـاكل ليس لها حد، يظن أن ذلك هو الرجولـة، يفرض كلامـه عليهم وتكون مثل حد السـيف، وهذا كان في الزمن الماضي فهل ذلك يجوز في هذا الزمان؟! لا يجوز في هذا الزمان.

فكان في الماضـي مثل العبيد، لكن نحن الآن أحرار، لا تستطيع أن ترغم أحدًا, فكان الرجل يقول لابنته سـتتزوجين فلانًا ولم تره ولم تعرفه ولا تراه إلا يوم زفافها، وهل هذا يصلح الآن؟! فما الأصح؟ الذي كان أم الموجود الآن؟ الآن طبعًا، فقد ذهب شـاب إلي النبي ﷺ وقال له إني خطبت فلانة، فقال له النبي: { هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا "؟ قَالَ: لا. قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا } ٢

ى غ غق غ غ هـ غ ذ غ هـ

وفي روايـة أخرى: { جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَـى النَّبِـيِّ ﷺ فقَـالَ: إِنِّـي تَـزَوَّجْـتُ امْـرَأَةً مِـنَ الأَنْصَارِ، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا، قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا "}٣، فقد كانت تحدث مشـاكل بسبب هذا الامر، يعقد قرانه على واحدة، ويأتون له بواحدة أخرى عند زفافه، كأختها أو غيرها، لكن ما يحدث في هذه الآونة التي نحن فيها هو الأصـح في ظل زيادة العلم والثقافة، وهذا هو رأي الإسـلام! لابد أن يكون عنده وعندها رضـــا: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (٢٥٦البقرة) فالزواج من الدين، ولا يجوز فيه الإكراه، فكانت الناس تحطم شــخصــية الناس، فلا يوجد لهم أي كلمة، وقد يرون الخطأ ولا يستطيعون التحدث، وهذا ليس من الإسلام، فقد ذهبت فتاة لرســول الله فقالت: { أَبِي زَوَّجَنِي رَجُلاً، وَأَنَا كَارِهَةٌ، وَقَدْ خَطَبَنِي ابْنُ عَمٍّ لِي، فَقَالَ: لا نِكَاحَ لَهُ، انْكِحِي مَنْ شِئْتِ }٤، لنرى كيف جرَّأ رسـول الله ﷺ النسـاء، وقد سـألت امرأة رســول الله ﷺ عن غســل المحيض، فأجابها النبي ﷺ، فقالت الســيدة عائشـــة رضي الله عنها:

ء ﻫ غ قم ع غق
أ غ ﻫ ء

{ نِعْمَ النِّسَاءُ، نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يمْنَعهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ } [٥]

الدين الحرية، فلا يجوز أن يكون فلان هو لفلانة، فمن الذي قال هذا؟! أين الدين في ذلك؟! هذه عبودية نعوذ بالله ﷻ منها، وقد رأيت بنفســـي، قال رجل لابنه: ســـتتزوج فلانة، فقال الابن لأبيه: ليس لي رغبة فيها، والإبن مثقف وهي أمية، فقال له: إنْ لم تتزوجها أنت ســـأتزوجها أنا على أمك، فماذا يفعل الإبن؟! تزوجها بغير رضا نفس، هل هذا يجوز في هذا العصر؟!لا.

نحن الآن فهمنا الدين الفهم الصـحيح، وهؤلاء لم يفهموا الدين الفهم الصـحيح، فهم يســـيرون على قوانين الحَجْر الجاهلية، ولذلك يوجد أحباب لنا كثير ومثقفون ولديهم وظائف محترمة، لكن تعامله مع أهل بيته دون المستوى، فيقول: أنا رأيت أبي وأمي هكذا!! ما شـأنك بهذا؟! هؤلاء في زمن، وأنت في زمن آخر، وقال سـيدنا علي ﷺ: ((لا تَحْملوا أولادكم على أخلاقكم فإن لهم زمان غير زمانكم)).

ءغ غ ق ه ه

فعلى سبيل المثال أمك كانت على الدوام في المنزل، ولا يوجد لها أي مصلحة إلا المنزل، لكن زوجتك قد تكون موظفة، وأنت تريدها أن تعمل في المنزل كما كانت أمك تفعل تماماً، ولا تريد أن تساعدها، بل تقول: الرجل عندنا لا يفعل هذا، فماذا تصنع هي؟!. ... كانت أمك ليس لها شأن بدراسة الأولاد، أما الزوجة تريد أن تنتهي من المنزل، وتدرس لأولادها وإلا فلن يتعلموا، والرجل ليس له شأن بهذا أيضًا، فهل ذلك يجوز؟! فيجب على الإنسان أن يراعي كل هذه الظروف والاختلافات.

منهج الحبيب

فما المنهج الذي نسير عليه؟ نسير كما كان النبي ﷺ وصحبه الكرام، وكان هذا رجلًا عصريًا تجد له في كل عصر ثوبًا يلبسه، فلابد أن يسير على هذه الأمور.

ابني قبل البلوغ يجب أن أصاحبه، فهل تجوز الأوامر والنواهي في هذا الزمان؟ لا، فالأولاد يريدون الحب فيحبونك، صاحبْه وتعامل معه كأنه رجل، في كل موضوع أجمعهم وأقول لهم: ما رأيكم في هذا الأمر؟ مع أني أعلم أن الرأي الصواب كذا، لكني لا بد أن أمرّنهم، وهذا تدريب عملي، ولذلك نجد أن الإبن كَبِرَ وتزوج ولا يوجد عنده أي خبرة في الحياة، فمن أين يأخذ الخبرة؟ ليست في المدرسة، لكن يأخذها من أبيه ومن أمه ومن الذين حوله.

لكن إذا تكلم الإبن ينهره الأب، ويقول كيف تتكلم وأنا موجود؟ وأنت ليس لك كلمة، فهذا مثل نظام الجاهلية الأولي، فيسكت، وهذا يحطم شخصيته مع زملائه في التعامل في كل مكان، لكن يجب أن تربي شخصيته، فما أساسها؟ أساسها: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾ (٣٨الشورى).

إبنك أخذ الإعدادية، فأقول له ما رغبتك؟ أتريد أن تدخل ثانوي عام أم مدرسة صناعة أم مدرسة زراعة أم مدرسة تدريب مهني؟ فقل لي الذي تريده وأنا سأنفذه، فهذه حياتك ولك الحرية، فيقول: فما رأيك يا أبت؟ فهو مهذب، فيقول الأب: أنا رأيي كذا، لكن الذي تقول عليه سأنفذه لك.

بعد ذلك الزواج، إن كان للولد أو للبنت، أيوجد أحد يأكل شيئًا لا يريده؟! لا، فلماذا تؤكلها طوال عمرها رجلًا لا تريده؟ هل ذلك يجوز؟! فبذلك ربما – والعياذ بالله - تذهب إلي طريقٍ آخر، ومن السبب؟ أنت.

فلو كان هناك مبدأ شورى من البداية؛ سيأتي ليستشيرني، لكني عندما أغلق الطريق فلن يستشيرني، بل يذهب إلي أصحابه يستشيرهم، ويأتي الأحباب ويقولون: ابني يفعل كذا وكذا وعندما أريد شيئًا منه أذهب إلي أصحابه لكي أقنعه أو أبلغه ما أريد، فما الذي يجعلني أدخل من هذا الطريق البعيد! وأحكي لكم قصة حدثت.

ذهب شــاب يريد خطبة فتاة، فأرســلت له رســالة وقالت: أنا درســت في كذا وتوظفت، وكلما يأتي شــخص لخطبتي أبي يرفض لراتبه، إلي أن وصــل ســني إلي تسع وعشرين سنة، وهو يصر على رأيه فماذا أفعل؟ هربت، وعندما هربت، لم أجد أمامي غير طريق المعصـــية، وهربت إلي دولة أخرى وظللت أمارس الخطيئة، ورجعت ودخلت إلي بلدي سرًا واستأجرت شقة وأحضرت بفتيات يعملن معي في ذلك، فمن السبب في هذا؟ أبوها، فمن أجل المال يبيع كل شــيء، فلو أردنا أن نسير على المنهج الإسلامي، فهذا هو الطريق الصحيح الذي نتكلم فيه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (١٥٩آل عمران) .... التربية أولًا على الحرية، يقول رأيه وأنا أصــححه له وأســمع منه، فإذا قال رأيه خطأ فلا أتزمت، وهذا الذي أريده، فأنا أريد أن يُخرج الذي بداخله لي أنا، بدلًا من أن يخرجه للآخرين، ويدلونه على الخطأ، لكن أنا لن أدله إلا على الصحيح.

فالأمور كلها لا بد فيها من الشـــورى ونحرص على عدم الفرقة، لا تفترقوا أو تحترقوا، فالفرقة يأتي بعدها احتراق، وأي شـخص يسـعى في الفُرقة بين الأحبة فهو شـيطان، أيوجد أحد صـالح يسـعى للفُرقة بين الأحبة، فلو رأينا أحدًا يفعل ذلك؛ نتركه ولا نلتفت له؛ لأننا لا نريد أن نزيد الفتن، فنحن جميعًا ننصـح بعضـنا البعض, نحاول أولًا أن ننصحه باللطف وباللين ولا نستجيب له؛ لأنه لو استجاب واحد له فيكون بذلك صنع جبهة، وتكون فرقتين، وهذه هي المشكلة ويبدأ القيل والقال.

اجتناب سوء الظن

ـظ ـغغ غط غ ـظه ه ىغ طه غ غغ

غ ظغ طه ف ظغ عفءغ رط ﷺ!

{ إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ } [٦]

وقال ﷺ في الحديث الآخر:

{ إِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ } [٧]

أرأيت بعينك؟ أيوجد دليل مادي ملموس؟ فإن وجد، أترك الظن على الفور، لأن شـــياطين الإنس والجن إذا جدوا رجلًا موفقًا في طريق الله؛ فيدخلون مع الأحبة عن طريق سوء الظن.

ىءغ قهه ء غق

ىء غ غ ق غ نق

فمثلًا، ماذا يعمل هذا؟ لا بد أن يكون له مكتب! لابد أن يكون له منافع، وهذا الكلام لا يسلم منه أحد، فهذه سنة الله في الأرض، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وأنا شخصياً لم أسلم من هذا الأمر فقد قيل: لماذا يذهب إلي بلاد الصعيد، وغيرها؟ فهو يأتي من هناك بحقائب مملوءة بالمال، وأنا لم أر هذه الحقائب.

فهذا نظام الناس، والمصيبة العظمى هي عندما يستجيب له الذين معك أو بعضهم، فالشياطين يقولون ما يريدون، وأنا علي أن أزن هذا الكلام، فسوء الظن هو سبب المشاكل كلها التي تكون بين الأحبة.

والله ﷻ قال في القرآن: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ** ﴾

(٣١**الفرقان**) فالمجرمون موجودون في كل مكان، والله ﷻ أسماهم المجرمين، فمرة قالوا عن النبي أنه ساحر، ومرة قالوا عنه مجنون، وهذا إرث إلي يوم الدين، فهم يقولون ما يريدون، لكن المصيبة أن بعضنا يمشي على ما يقولون.

فلابد أن يكون عندنا حسـن ظن في بعضـنا البعض، فعلى سـبيل المثال كل بلد يوجد بها جمعية، وأقمنا بها مشـروعًا، وجاء أحدنا وتبرع لوجه الله، فلو دخل سـوء الظن بيننا فسـيقال: أنه يفعل هذا لكي ينتفع من وراء المشـروع؛ فتفشـل جميع المشـاريع، أتجد أحدًا يقيم مشـاريع بعد ذلك؟ لا، بل يقول: أنا أذهب معهم وبعد ذلك يتهمونني؟!! فلن أذهب.

فعليّ أن أحسـن الظن بالله رسـوله، وبكل إخواني المؤمنين، فإذا وجدت شـيئًا واضحًا وضوح الشمس ووجد دليل؛ فعليّ أن أعالجه بالسبيل النبيل الذي ذكره الله في القرآن، وذكره سيدنا رسول الله ﷺ، وأقول له يا فلان أنا أرى كذا فهل هذا صحيح أم لا؟ فلا أُشـهّر به، فربما أقول في نفسـي أنني إذا فعلت ذلك فهو لن يقبل مني بعد ذلك، بل أتذكر قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (١٩النور) وليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة، فلا بد أن يكون المؤمن على هذه الشاكلة.

وأضرب لكم مثلًا: كان هناك رجل من الصالحين، وكان من أهل الجذب، وبعد ذلك أقامه الله، وكان لا يسـعى، فكان من المتوكلين على الله، ولم يُر معه مال ولا شيء، ولا يأخذ شيئًا من أحد، فكان الناس يأتون له بأكل وشرب، وكان هناك شخص وكيلًا عنه، هو الذي يأخذ هذه الأشـياء ويتولى رعايته، فيأتي البعض ويتهم وكيله، فرد الرجل الصـالح قائلًا: هل أنا سـأحاسـب عنه، فمعاملته بينه وبين الله، فإذا فعل صالحًا فلنفسه، وإذا فعل سيئة سيحاسبه الله حسابًا شديدًا، فبذلك يقطع الشك باليقين.

وقد رأينا الذي كان ينحرف؛ ينجرف ويبتعد عن طريق الله ورسـوله بالكلية, أيوجد أحد يحاسِب مثل الحسيب ﷻ؟! لا، فإذا كان يعتقد أنه يخدع الناس فلا يستطيع أن يخدع الله: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩البقرة)

الشـاهد هنا أنه لا بد أن يكون بيننا حسـن ظن بالله في كل شـأن، مثلًا كلفنا فلانًا ليشـتري لنا كذا، فلا يجوز أن أتجسـس من بعده وأقول للبائع: بكم أخذ فلان منك هذه الأشـياء؟ فمن الممكن أن يذهب البائع إليه ويُحْدِثُ فتنة بينكم، وليس لها علاج، فإذا شك مرة واحدة فلن يثق فيّ مرة أخرى.

لكن نحن إخوة في الله، الذي يفعل شـيئًا يفعله لله، والذي يحاسب الكل ويثيب الكل ويرفع الكل هو الله ﷻ، فنحن ليس عندنا قسم حسابات ولا قانون عقاب ولا لائحة جزاءات، ولا شـيء من هذا القبيل، فهذه معاملة ملك الملوك ﷻ، فلماذا نُفْقِدُ الأخوة روحَها، والتي من صفاتها المحبة والمودة والإخلاص والثقة فهذا الشيء لا بد أن نحرص عليه،: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١٠٣آل عمران) ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥آل عمران)

فلا نكون كبلد من البلاد، اختلفوا مع بعضهم في وقت، وهذا مصرّ على رأيه وهذا مصرّ على رأيه؛ فتفرقوا إلي حزبين، لماذا؟!! النهج المحمدي ليس كذلك، فيجب أن أعرض الأمرين، وأنا وأنت ليس لنا شأن، فالله أهم شيء، نجعل هدفنا الأول هو الله، فهذا الأمر أفعله لله، وليس لإرضاء فلان، هذا هو الأساس، إذا فعلناه لإرضاء فلان؛ فنكون بذلك قد انحرفنا، لكن لو جعلنا الغاية كلها إرضاء الله، ولمصلحة الدعوة، لن يحدث خلاف.

اجتمعنا وهذا له رأي وهذا له رأي، نجلس مع بعضنا البعض على حسب عددنا، فرأي الأغلبية هو الذي يسير على الجميع، ولا نصنع حزبية لكي لا ندخل في الدائرة المكروهة، فلا يجوز ذلك، لكن لا بد أن نترك هذه الأشياء وتكون عفوية، نجلس مع بعضنا البعض، وكل شخص يقول رأيه، وإذا لم نصل إلي حل؛ فعلينا أن نرده لجهة أخرى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (٨٣النساء) وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، وتكون الصدور منشرحة، والقلوب سليمة، ولا يوجد مشاكل بين الأحبة وأحْرص ما نحرص عليه هو جسد الأحبة، قال ﷺ:

{ إنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا } [٨]

بارك الله فيكم وعليكم، وهذه وصيتي لكم أجمعين، وكلام الآخرين كما قلت، ليس لنا شأن به، فكل ما يشاع في إخوانك أو في أحبابك من الآخرين أو غيره كحقد أو حسد؛ فلن يكون ذرة من الذي أشيع عني، ولا يزال يوميًا تأتي لي أناس وتقول كذا وكذا، وأقول لهم ليس لي شأن بذلك، أنا رجل عالم، أقول قال الله وقال الرسول، فيقولون: أنت لا تريد أن تخدمنا،

ؤغ ق ه ه ق

ويقولون لماذا يزور البلاد إن لم يكن له يد في ذلك؟!. ... يوميًا أناس يريدون عشـرة آلاف، أو خمسـة آلاف، وأناس آخرون يريدون مصـالح، منهم الذي يريد أن يدخل كلية الشـرطة، أو الذي يريد أن يكون محافظًا، أو الذي يريد أن يكون وزيرًا، فهم يعتقدون أنني أنا على صـلة بكل المسـئولين، وأقول لهم: أنا رجل عالم فقط؛ ولا يصدقون ذلك ولا فائدة معهم، ويقولون: هو لا يريد أن يخدمنا، لكن هذه هي سنة الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (١١٢الأنعام) لا بـد أن يوجد أعداء، فمن الذي ليس له أعداء؟ لا يوجد إلا المجانين، هل يوجد عالم ليس له عدو؟ أيوجد أحد ليس له حاسد؟ قال ﷺ:

{ **إِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ** } [٩]

ماذا يريد الحاسـد؟ يريد زوال النعمة ولا يرتاح إلى أن تزول، يقال أن الحاسـد لا يكون بين المؤمنين، نقول: إخوة يوسـف كانوا مؤمنين، حسـدوه وكانوا يريدون أن يقتلوه، وألقوه في البئر، فما الإساءة التي قدمها لهم؟ لا شيء، وكان يعلم بذلك.

ؤ غ ه ة ق

فعلينا جميعًا أن لا نصغي لها ولا نسمع لها؛ لكي نحافظ على الصفاء والنقاء؛ لكي يتنزل علينا دومًا النور والجمال والبهاء والضـــياء، هذا هو العهد الذي تعاهدنا عليه ونسير عليه، ولا أحد يسيطر عليه ويسمع كلمة ذم أبدًا في إخوانه أيًا كان، لكن أسمع مدحًا فهذا جائز لأني لو سمعت وسكتّ؛ فالذي قال لك يذهب إليه ويقول فلان يتكلم على فلان كذا، وتكون على لســـانك أنت، والمجتمع موبوء يا أحباب وهو أكثر من الأمراض الظاهرة، وأنتم ترون هذا في كل وقت وحين، فلا بد أن نحافظ على صحتنا الروحانية وعلى أخوتنا الإيمانية، ويكون بيننا كما قال ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى } [١٠]

وقد رأينا الأحباب كانوا يشـعر بعضـهم ببعض، يشـعر أن فلانًا هذا مريض؛ فيتصل به يجده مريضًا، أو فلان هذا عنده مشكلة، فالقلوب مترابطة فيذهب إليه ويجد عنده مشكلة، فقد كانوا يشعرون ببعضهم، وعندما يري شخص أخاه؛ يشعر أنه لم يأكل، يقول له: إنك لم تأكل اليوم، ينظر بنور الله، لأنه يشـــعر أنه ليس بنفســـه بل بإخوانه، فالعيب الذي حدث الآن، أن كل فرد يريد أن يعيش بنفســـه، أو أن ينتفع بإخوانه، إن كان معهم مصلحة، فالأُخُوة ليست كذلك، فالمؤمن بإخوانه:

ق ن غ ق ه ه غ ى ة

المرء بالإخوان لا بجدوده كثير نعم والذل فى

وآخر كلام لنا في هذا المجال كلمة رجلٌ من الصالحين، فيا ليت جميع الإخوان يسيرون عليها، التي يقول فيها: ((اجعل مَنْ يراك يدعوا لمن ربَّاك)) فعندما يرى الناس شخصًا مهذبًا ومؤدبًا؛ يقال له: ونعم التربية، ويحسن له، فعلا أن فلان ربَّى، وهذه أكثر في التربية الروحية ... فلان هذا ابن من؟ ابن أبو العزائم، فلا بد أن يلمس فيه الشمائل المحمدية والقيم القرآنية والمواصفات التي كانت عليها الحضرة المحمدية، فعندما يراه ويرى تصرفاته فيقال: ونعم التربية.

الإمام الجنيد ﷺ، مع علو مقامه رأي أحد الصالحين مع أبنائه، وكان قد رباهم تربية تامة، فعندما رآهم الجنيد؛ قال له: ((لقد ربيتهم تربية الملوك)) أدب، ولا ينطق إلا بحساب، لا يتحرك إلا بنية صحيحة لرب البرية، فقال للجنيد: لولا الأدب ما وصل أي امرئ إلي عليِّ الرتب .... فكيف يكون الوصل إلي الرتب الإلهية؟ بالأدب، ليس بالآداب الظاهرية، بل بالآداب القلبية، وأول الآداب التي توصل إلي الله، الخشية والخشوع والحضور والإخلاص ... آداب قلبية، وهي التي يحرص عليها المُرَبّون؛ لكي يرتفع المريدون للدرجات العالية في معية سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فهذه الآداب عندما يضعها الإنسان في صدره، فيأخذ في باله على أن الذي ينظر إليه ينظر باعتبار أنني ابن فلان، فيجب أن أكون على قدر هذه الغاية العلية, أنا كلي صفات سيئة سريع الغضب وكذا، لكن لو رأوني سينسبون هذا لأبي، فلا يجوز أن أفعل ذلك، فلا بد أن أغيّر كل هذه الأوصاف ليفرحوا بي عندما يروني ويدعون لأبي وأول من يراني زوجتي وأولادي ... فأول المعترضين على كثير من السالكين الزوجة والأولاد، فيقال إياكم أن تتزوجوا من هؤلاء الجماعة يكفينا الذي رأيناه، يكون في الخارج ملكًا من الملائكة، فعندما يدخل إلي المنزل يكون وحشًا كاسرًا، فهي لم تر إلا هذه الصورة، أرأت الصورة التي في الخارج؟ لم ترها، فهي تري هذه الصورة فقط، أتزوج ابنتها لوحش من هذه الوحوش؟ لا، لماذا؟

لأنها تظن أن الكل على هذه الشاكلة فيسيء للمجموعة كلها.

تخيل دائمًا أنك صورة للمجموعة التي تنتمي إليها، الذي يراك يري فيهم البضاعة، فهؤلاء معهم بضاعة حضرة النبي أم بضاعة الشيطان؟ بضاعة النبي، نريد أن نراها، ليس في المسجد بل في التعاملات وفي الأخلاق، في الصدق في الأمانة في المروءة في المعاملات الطيبة؛ لذلك أنا أعجب عندما أرى شخصًا من أحبابنا يكذب, فأنا أتعامل مع الأحباب على أنهم أناس صادقين،

فيقول لي كلمة أصـــدّقه على الفور، وأفاجأ بعد ذلك أن الكلمة كذب، فأين الصـــدق؟ لماذا تكذب عليّ؟ وقد قيل: ((إذا كان الكذب ينجي فالصـــدق أنجى))، فإذا أردت أن تصل إلي مقام الصديقين، فسر على الصدق؛ فتكون مع الصادقين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) شـــرط فيهم أن يكون من الصادقين، فهل يجوز أن يكون فيهم واحد كاذب؟ لا، حتى في اللغو وفي اللعب، قال ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا } [11]

ن ـــ قه غ كه غ قه هه قظ غ ـــ ظج ق

غ ف ط ف م ط نعن م ع ! أغ

ية غم غ ق م قغ لح

عقفوع غغ ط قع غ غ غ ط ه ه ن غ

غط ن ! ط ن غ ق ط غ ط غ غط ه

غ غاط ه غ ط غ غ ط ه ع غ غ ط ه غ

غ فغ هغ ﷺ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم

تمّ بحمد الله وتوفيقه

ىى غ غ غ ق

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعـوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة المؤلفات

قائمة المؤلفات :٩٨ كتابا في أربع عشرة سلسلة

أولاً : فى تفسير القرآن الكريم (٥)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثانياً: الفقه (٧)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثالثا : الحقيقة المحمدية: (١١)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

[illegible]

خامساً: الدين والحياة: (٧)

[illegible]

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

[illegible]

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

[illegible]

ثامناً: المرأة المسلمة (٤)

ٱؤ ٱ ـ غ ظن ـ غ ـن ٱى ﻟ ٱ ٱ ع ﮬطٓ ٱ ء ئ ٱغ ـ غ غ ـ ـ غ (ٱرجمع ﮬطٓ

ٱ ئ ئ ٱ ﮬﮭ ظ ٱى ﻟطٓ ٱ ئئ ٱغ ﮪ غ ط

ثامناً: الطريق إلى الله: (١٢)

ٱئ ٱ غ ـ ع ق ـغن ق غغ ٱى ﻟ ٱ ٱ ﮬ ـ طٓ ٱ ئى ٱ غ ﮬقﮪ ط

ٱؤى ٱغ ـ ـغ ـ ـظ ﮬ غ ـ ـغ ٱى ﻟطٓ ٱ ﺔ ء ٱ ـ ـ غ ـ ـ ـ غ ـ ـ ط

ٱى ء ٱق ـ غ ـ ط ٱى ء ٱ غ غ ـ ط ٱئ ئ ٱ غ ﮬ غ ـ ـ ﻨ

ـ ـقظ ـ ـ ـ ـ ٱ ـ ـ طٓ ٱ ﺔئ ٱ ـغ ـ غ ـ ـ ط ٱ ئئ ٱ ع ـ غ ـ ـ ﮪ

ٱؤئ ٱ ﺔـغ غ ـ غ ـ ـ ـ ـ ﻴﺢ ٱؤ ؤ ٱ ـ ـ ـ غ ـ ـ ك ﻔﻰط

ٱؤ ؤ ٱ غ ك ﻔﻰﺢ

تاسعاً: الأذكار والأوراد (٧)

ٱؤ ٱ ـ ـ غ ـ ـ ﻑ ٱى ﻟ ٱ ـ ـ ع ـ ـ ﮬ ـ ـ ـ طٓ ٱ ئى ٱعﻘ ـق غ ـغط

ٱئ ء ٱ ـ ـ ـ ـ غ ـ ـ ﻑ ٱ ئ ﻟ ٱ ٱؤ ء ٱعﻘ ـق غ ـغق ٱ ـ ـ ٱ ٱ ء ﻟطٓ

ٱ ﺔ ئ ٱعـغﺔ غ ـ ق ٱ ـ ـ ﮬ ـ ـف ٱى ﻟطٓ ٱئ ئ ٱ ـ ـ غ ـ ـ ـ ق ﺔ غ ـ ظ ط

ٱ ءئ ٱ غ ﺔ ق ﮪ ـغﻘﺢ

عاشراً: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

[illegible]

حادى عشر: الفتاوى (٥)

[illegible]

ثانى عشر: أسئلة صوفية (٢)

[illegible]

[illegible] الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية

ثالث عشر: حوارات مع الآخر (٣)

ﱠﻯﺆ ﱠ ـــــﻐ ﻍ ــ ﻍ ـــــ ﻍ ـــــــﻁ ﱠﻯﺆ ﱠ ـﻐﻐ ﻍ ﻍ ـــﻦ ﻏـــ ـــﻁ

ﱠﺉﺆ ﱠﺀ ﻍ ﻍ ﻫ ﻟ

رابع عشر: شفاء الصدور: (٤)

ﱠﻯﺉ ﱠ ـ ﻓﻐـﻘﻐﻢ ـــ ﻍ ﻘﻐﺢ ﱠﻯ ﻟﻄ ﱠﻯﺉ ﱠ ــــ ﻏـــ ﻏـ ــ ﻏـ ﻍ ﱠﺀ ﻟﻄ

ﱠﺀﻯ ﱠ ﻐﻍ ﻍ ﻐﺢ ﱠﻯﺉ ﱠ ﻍ ﻍ ﻁ

قائمة المكتبات ودور النشر

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

ع غ	ق غ	غ ـغ
غ غ	ئى ئئى ؤ ئى	ىئى قل غ غ ق
غ ه	ؤى ئى ةؤ ئى	مءنغ ن غنغ
قغ	ئى ؤ ئؤئى	ى ئ قلغ ق ط
غ غ	ؤى ةؤؤ ئى	ئىغ غ هغ قغ
غ	ئئى ئةؤ ئى	ى قغ ه م
قغءغغ	ى ءؤ ئئ ئئئى ة	ىق مغ غ
غ	ئى ئى ؤ ئى	ىى غن غ هه
غ نغ	ئ ؤئ ة ةؤ ئى	ة ءى قل غ قغ
غ	ى ئ ئى ةؤ ئى	ىى قلغ غ
غ	ؤ ةى ؤ ةى ئى	ى قل غ ق
غ	ى ئ ئ ةى ئى	ؤ غنغ غ لح
غ غ هغ	ئىى ئ ءؤ ءى	قغ غظ ى قل
غ ق	ؤ ئ ئى ئ ؤ ءى	ؤى قلغ ن غغ م
قغ ن	ء ءة ة ئ ءءء	ؤ ةى قلغ ط غنغ
	ى ئ ئ ئئ ئى	ئ غن غ
	ى ةئ ئى ة ئى	ة ة ةط قلغ
غ غ	ئؤؤ ةى ؤ ءى	ؤ قل غغ غ ذ
ه ق	ؤ ءى ؤ ئ ئ ءء	ئ ك قل ق ط ق هغ
غ غ ق غ ف	ئؤئى ئة ئة ةى ة	ق غغ غط غ غ ق
ءنغ ه	ء ئى ؤ ؤ ئى	ؤى قل غ غ ق
غ غ ق غ	ى ؤ ؤ ئ ءؤ ئى	ؤ قلغ ق ق
غ ه غ	ؤ ؤئ ئ ئ ئى	ىى قل قلع ع ط غ غ

		غ ـــ ق
	ى ؤ ة ؤ ةئ ئى ى ة	غ ط ع ئ ق
غ غغ غ	ؤ ؤئى ءى ة ةى ة	غ ط ق ئ
	ة ة ء ئى ئى ى ة	ىئ قل غ ق ظ م
غ ق	ؤ ئ ئؤى ؤ ءج ء ة	ئ كغ ق ظ
	ؤ ء ئى ئ ئج ء ة	ءى غ ع ع ط ه
غ غ	ئ ئ ئ ء ئ ء ؤ ؤى ة	غ جعخ ء غ
		غ ـــ
غ	ججججججج	غ ق ج غق ق غ
قغ	ةى ةى ى ءى ج ئ ئ ة	غ ق قل ق غ
ف	ى ئى ئ ء ء ءج ة ئة	جء ئ غ غ هه
	ئؤ ئ ءى ء ءج ة ئة	ج ؤ ك ه ع ئ غ قغ
غ	ى ؤى ئ ء ؤ ة ةى ة	غ ج قل غ قن ء ئ غ غظغ ع غ ئ
غ	ء ئى ئ ؤ ى ة ةى ة	غ قغ ج قل ن غق غ غق ظ عخ ق ن
غ غ غغ	ؤئ ئى ئى ة ةى ة	غ قغ ط كغ قهاعخ ه ه
غ	ة ئ ئى ءئ ئ ة ةى ة	غ قغ ج كغ غق ق غ طف نغ ع
ع قغ ئف غ	ئ ئئ ئى ؤ ئى ى ة	غ قغ ج غق ق ف غ قط ع ئ ه
غ ن	ة ؤ ة ؤئ ئى ى ى ة	جء ق غ ه
غ	ؤ ة ئة ئ ؤ ئى ى ى ة	غ ط كغ غطف ه
ءه ق غ ف غ ن	ؤ ؤ ئى ءى ج ء ؤ ة	فج قل غ غ ع ئ غ غ
ع غ	ى ى ئ ؤى ئؤ ئ ةى ة	جء ئ ه غ غ هه
غ غ جع	ئى ئ ؤ ؤ ئ ؤ ة ةى ة	غ غ جع ج كغ غق جغ ف غ ه ق ق ن غ
	ءى ؤى ؤ ئى ى ى ة	غ غ ع ئ غ جغ

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية.
ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com **وعلى موقع** www.askzad.com **موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠ ، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨**

الفهرست

تحت الطبع إن شاء الله

المؤمنات القانتات (طبعة ثانية)

أوراد الأخيار (طبعة ثانية)